



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة بابل – كلية العلوم الإسلامية

قسم علوم القرآن / الدراسات العليا

(القيم الإنسانية في سور الدعوة السرية – دراسة تفسيرية -)

رسالة قُدمت الى مجلس كلية العلوم الإسلامية-قسم علوم القرآن وهي جزء من
متطلبات نيل شهادة الماجستير

إعداد الطالبة

سداس جواد عليوي

بإشراف

أ . د محمد طالب مدلول

٢٠٢١ م

١٤٤٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال تعالى : (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم : ٣٠]

قال تعالى : (قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) (الانعام : ١٦١)

قال تعالى : (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [يوسف: من الآية، ٤٠]

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

إلى حضرة الحبيب المصطفى (صل الله عليه واله وسلم) وإلى ال بيته الاطهار

إلى من غرس في نفوسنا بذرة العلم والحب

إلى من جاهد وكافح من أجل أبصالنا إلى النجاح

إلى من فارقنا ظلما وغدرا والدي الشهيد (رحمه الله تعالى)

أهدي هذا الجهد الذي مهما تطاولت لن أصل إلى تلك النفس المعطاء والمقام

السامي الذي كرمه الله به ولكن اعتراف بالفضل وتقديم الثناء .

شكر وعرفان

مصدقاً من قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ﴾ لقمان: (١٢)

إنطلاقاً من قيم الرسول (صل الله عليه وآله وسلم) وأخلاقه : (من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل) (١)

الحمد لله حمد كثيراً على ما أنعم علي واكرمني به من إنهاء هذه الدراسة العلمية وأن يجعل عملنا هذا قربة اليه تعالى ،نرجو نيل رضاه وإحسانه .

وبعد : فإني أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي ومشرفي الأستاذ الدكتور محمد طالب الحسيني على ما قدمه لي من نفع وإرشاد وعطاء متميز ،على ما بذل من جهد وعمل متواصل ونصح وتوجيه ، له الفضل بعد الله تعالى، فمهما كتبت من عبارات الشكر تضل عاجزة عن إعطائه حقه فجزاه الله خير جزاء وجعلها في ميزان حسناته.

ويسرني أن أتقدم بالشكر الى عمادة كلية العلوم الاسلامية متمثلة بعميدها الأستاذ الدكتور عامر الخفاجي والشكر موصول إلى جميع اساتيد الدراسات العليا في هذه الكلية المباركة .

كما أتوجه بأسمى عبارات الشكر والامتنان إلى رئيس اللجنة المحترم الدكتور حكمت عبيد الخفاجي والشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المحترمين كل من الدكتورة امل سهيل عبد حسين والدكتور هيثم خضير عباس لإسهامهم في تحكيم البحث وقبولهم مناقشة الرسالة فلهم الثناء الجميل والشكر على ذلك .

(١) منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، حبيب الله الهاشمي (ت: ١٣٢٤ هـ) ، نياد فرهنگ امام المهدي (عج) ، طهران-ايران ، د.ت ، ط٤ ، ٣١٩/١٣

أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من مد لي يد العون ،واسدى لي معروف ، وقدم لي النصح والمساعدة خلال مرحلة كتابة البحث حتى الانتهاء منه،

وأتوجه بالشكر والثناء إلى اهلي واقربائي واصدقائي لمواصلتهم الدعاء ورعايتهم لي إستكمال دراستي .

واخيراً... احمد الله أولاً وآخراً لتوفيقه إياي لإكمال هذه الدراسة فله الفضل والمنه على ذلك ،والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ت	الشكر والعرفان
ج	الفهرست
٩-١	المقدمة
١٠	الفصل التمهيدي : مقارنة مفاهيمية واصطلاحية في عنوان الرسالة
١٢	المبحث الأول القيم : مفهومها .. مصدرها .. أنواعها .. أهميتها
١٤	المطلب الأول : مفهوم القيم
١٧	المطلب الثاني : مصادر القيم في الفكر الإسلامي والغربي
٢٥	المطلب الثالث : أنواع القيم في الفكرين الإسلامي والغربي
٢٩	المطلب الرابع : أهمية القيم
٣٣	المبحث الثاني مقارنة بين القيم الإسلامية والقيم في الفكر الغربي
٣٥	المطلب الأول : الفرق بين القيم في الفكرين الإسلامي والغربي
٣٧	المطلب الثاني : أسس القيم في الفكرين الإسلامي والغربي
٤٧	المبحث الثالث الدعوة السرية .. مفهومها .. أهميتها .. مراحلها .. سورها
٤٩	المطلب الأول : ماهية الدعوة وأهميتها
٥١	المطلب الثاني : مراحل الدعوة السرية
٥٤	المطلب الثالث : سور الدعوة السرية ومميزاتها
٥٩	الفصل الأول القيم الإنسانية العقائدية في سور الدعوة السرية
٧٥-٦١	المبحث الأول القيم الإنسانية العقائدية وأهميتها وعلاقتها بالقيم الإنسانية

٦٣	المطلب الأول : مفهوم العقيدة وعلاقتها بالشريعة
٦٦	المطلب الثاني : أهمية العقيدة
٧٠	المطلب الثالث : علاقة العقائد بالقيم الإنسانية
٧٥	المبحث الثاني القيم الإيمانية في سور الدعوة السرية
٧٧	المطلب الأول : القيمة الإيمانية في اللغة والمصطلح
٨٠	المطلب الثاني : أثر الإيمان في حياة الإنسان
٨٤	المطلب الثالث : جزاء المؤمنين في سور الدعوة السرية
٩١	المبحث الثالث قيمة التوحيد في سور الدعوة السرية
٩٣	المطلب الأول : ماهية التوحيد ومراتبه
٩٨	المطلب الثاني : أهمية التوحيد في تحرير الناس من عبادة الأصنام
١٠٤	المطلب الثالث : عقاب من أشرك بالله في وحدانيته
١١٠	المبحث الرابع قيمة العبادة في سور الدعوة السرية
١١٢	المطلب الأول : مفهوم العبادة وأقسامها
١١٥	المطلب الثاني : قيمة العبادة في سور الدعوة السرية
١٢٠	الفصل الثاني القيم الإنسانية الأخلاقية في سور الدعوة السرية
١٢٢	المبحث الأول : قيمة الصدق في سور الدعوة السرية
١٢٤	المطلب الأول: ماهية الصدق ومعانيه وأنواعه في القرآن الكريم
١٢٨	المطلب الثاني : الصدق الإلهي في سور الدعوة السرية
١٣٣	المطلب الثالث : صدق الانبياء في سور الدعوة السرية

١٣٧	المطلب الرابع : فائدة الصدق في سور الدعوة السرية
١٤٢	المبحث الثاني : قيمة الصبر في سور الدعوة السرية
١٤٤	المطلب الأول : ماهية الصبر وفضله في سور الدعوة السرية
١٤٩	المطلب الثاني : الأمر بالصبر في سور الدعوة السرية
١٥٦	المطلب الثالث : جزاء الصابرين في سور الدعوة السرية
١٦٤	المبحث الثالث: قيمة الحق في سور الدعوة السرية
١٦٦	المطلب الأول: مفهوم الحق وأهميته وأنواعه
١٧٣	المطلب الثاني : قيمة حق الإنسان في العدالة
١٨٩	المطلب الثاني : قيمة حقوق الإنسان في سور الدعوة السرية
١٨٦	الفصل الثالث القيم الانسانية الاجتماعية في سور الدعوة السرية
١٨٨	المبحث الأول القيم الانسانية المتعلقة بالتكافل الاجتماعي في سور الدعوة السرية
١٩٠	المطلب الأول : مفهوم التكافل الاجتماعي والتأسيس الإسلامي له .
١٩٥	المطلب الثاني : انواع التكافل الإجتماعي
٢٠٠	المطلب الثالث : التكافل الإجتماعي في سور الدعوة السرية
٢٠٧	المبحث الثاني قيمة الأخوة في سور الدعوة السرية
٢٠٩	المطلب الأول : مفهوم الأخوة وأهميتها
٢١٤	المطلب الثاني : أنواع الأخوة في القرآن الكريم
٢١٨	المطلب الثالث: أثر سور الدعوة السرية في ترسيخ مبدأ الأخوة
٢٢٤	المبحث الثالث قيم العدل والمساواة في سور الدعوة السرية
٢٢٦	المطلب الأول : مفهوم العدل والمساواة في المنظور الإسلامي

٢٣٠	المطلب الثاني : أنواع العدل
٢٣٤	المطلب الثالث : العدل والمساواة في سور الدعوة السرية
٢٤٠	الفصل الرابع : خصائص ومميزات القيم الإسلامية
٢٤٢	المبحث الأول : القيم الربانية
٢٤٧	المبحث الثاني: القيم العالمية
٢٥٢	المبحث الثالث : القيم الإنسانية
٢٥٦	المبحث الرابع : القيم الوسطية
٢٦١	المبحث الخامس: القيم التكاملية
٢٦٧	المبحث السادس : القيم الواقعية
٢٧٢	الخاتمة
٢٧٦	التوصيات
٢٧٨	المصادر والمراجع :
٣٠٧	الملخص
٣٠٩	الملخص بالإنجليزي
٣١١	الواجهة بالإنجليزي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين (عليهم السلام) وصحبه الكرام المنتجبين.

أما بعد :

رَحِمَ اللهُ تعالى العالم أجمع بنزول القرآن الكريم على نبيه الكريم (صل الله عليه واله وسلم) ، فنزلت التشريعات والأحكام التي أنقذت الأمم من الظلم والجاهلية ، ونقلتهم من الظلام إلى النور، فأنبأى العلماء على دراسة علوم ذلك الكتاب العظيم لما لها من أهمية كبيرة في حياة البشرية أجمع ، فكانت الدراسات القرآنية المفصل بين مجتمع ناجح ، و آخر لا يستطيع النهوض بسبب اختلال منظومة القيم فيه .

فالدراسات القرآنية فضلاً عن أهميتها المعنوية في تدبر أحكام القرآن الكريم ومعرفة إعجازه ومتشابهه ومختلفه فهي تقرب الإنسان من ربه أكثر فأكثر ، لما لها من أهمية تتمثل في صيانة المجتمعات من الانحراف فهي بمثابة السياج الحامي الذي يصون المجتمع ويحميه من خلال تثبيت القيم الإيمانية والإخلاقية والاجتماعية ، فتلك القيم التي بينتها الدراسات القرآنية هي الوسائل التي من شأنها أن تنتشل المجتمع من واقعه المرير وترفعه وتطوره وترتقي به روحياً ، لهذا نرى اليوم الهجمات الشرسة من قبل المذاهب المادية والإلحادية ضد تلك القيم من أجل شل المجتمعات وضمان عدم تطورها وبالتالي تحقيق مصالحها .

فالقرآن الكريم ركز تركيزاً كبيراً على تلك القيم ، ومن ذلك كان في مرحلة الدعوة السرية لما لها من أهمية كبيرة لأنّ المجتمع كان يعيش في عصر الجاهلية والإنحطاط وكانت القيم فيه قليلة جداً إنّ لم تكن مختفية أصلاً ، فأراد الله تعالى أن يزيل عنهم أفكار ذلك العصر ، ويؤدّبهم ويعلمهم بما يجعلهم مجتمع صالح ، فأمرهم الله تعالى بما ينفعهم ، ونهاهم عن كل ما يضرهم ، فنزلت الآيات الكثيرة الزاخرة بالقيم المختلفة من أجل اصلاحهم وتأديبهم ، حتى يكونوا مجتمعاً إسلامياً يُحتذى به ، ويكون الإنسان المسلم المثل الراقي والحسن لغيره .

ولتلك الأهمية وقع الاختيار على دراسة القيم القرآنية في مرحلة الدعوة السرية ، خاصة مع ندرة الدراسات الموسعة في هذا الخصوص ، ولم يفرد لها بحث مستقل ، بل أنّ مفسرينا القدامى والمحدثين لم يتطرقوا الى هذه القيم في سور الدعوة السرية بشكل يلبي متطلبات العصر وحاجة المجتمعات .

فضلا عن مجموعة من الأسباب الذاتية :-

١- الرغبة والميل إلى البحث في الموضوعات الدينية والاجتماعية والاخلاقية وإلى دراسة القيم وفق هذه الموضوعات وجعلها من محددات السلوك المجتمعي.

٢ - أنّ المتتبع لواقع القيم في القرآن الكريم والسيرة الإسلامية يلمس آثار عناية الله بالقيم وترسيخها في حياة المجتمعات كلها لما للقيم من مكانة هامة تجعلها ركيزة لقوام المجتمع ونهضتها و أمنها وامانها

أهمية الدراسة :

١. تعلق موضوع الدراسة بأشرف و اعظم الكتب واجلها وهو كتاب الله القرآن الكريم .
- ٢ - التوجيهات الربانية العظيمة التي احتوتها سور الدعوة السرية .
- ٣- القيم تعد الدافع المهم لتحريك سلوك الإنسان وتوجهه، بالقيم تحقق رغباته وتشبع احتياجاته.
- ٤- تصحب سلامة القيم سلامة الفكر والسلوك.
- ٥ - أن غرس القيم وتنميتها في النفوس أمر ضروري و فريضة على كل أمة.
- ٦ - إن الاهتمام بالفرد وتربيته على القيم يعزز الأمن بالمجتمع واستقراره.
- ٧- تتجلى قيمة البحث وأهميته من تسليط الضوء على دور القيم القرآنية في المجتمعات الإسلامية من خلال تفعيلها في جميع المؤسسات.
- ٨ - تعد القيم من الموضوعات الهامة والحساسة ؛ لكونها تمس المجتمع وحضارته كما يمكن من خلالها فهم المجتمع .
- ٩- إن تنظيم تلك الآيات القرآنية تكون موصلة لقوانين أخلاقية ترسخ القيم لدستور حياة لو التزمته البشرية بلغت أعلى مراتب النجاح والفلاح .
- ١٠- يُعد موضوع القيم ضرورة على المستويين الفردي والاجتماعي.
- ١١- فقد المجتمع الإسلامي اليوم اكثر القيم الاسلامية التي جاء بها الدين الحنيف، فجاءت هذه الدراسة محاولة إصلاح ما يمكن إصلاحه وذلك بالتذكير بهذه القيم العظيمة لا حياءها في النفوس .

أهداف الدراسة :

١. الوقوف على اهم القيم التي ذكرها القرآن الكريم وانعدمت في تلك الحقبة وحياتها.

٢ . بيان القيم التي يحتاجها المجتمع في تلك المرحلة والتي أسهمت بتغييره.

٣. معرفة آثار القيم التي ساهمت في إحياء المجتمع واصلاحه.

٤ . التعرف إلى القيم القرآنية اللازمة لإعداد المسلم الصالح .

مشكلة البحث :

اهتم الاسلام كثيراً بمسألة بناء الحياة الصحية والسليمة لأفراده ، فنزلت التشريعات الإلهية التي تمهد إلى تلك الحياة السليمة ، فكان القرآن الكريم بما يتضمنه من تشريعات هو الدستور الضامن لمستقبل واعد وحياة سعيدة ، خاصة وأنّ نظرة القرآن المستقبلية تختلف عن أي نظرة بشرية أخرى قد تخطأ أو تصيب ، فضلاً عن أنّ القرآن الكريم يُعدّ منهجاً قائماً على العلم الكلي بحقيقة الكائن الانساني ، والحاجات البشرية ، وبحقيقة الكون الذي نعيش فيه، وبناءً على ذلك فإنّ القيم التي أمر بها القرآن الكريم تحقق غاياتها في حياة مستقبلية سعيدة للإنسان ما أنّ التزم بتلك الأوامر .

وعلى الرغم من أنّ القيم نزلت في أوائل الدعوة الإسلامية نجد اليوم مجتمعاتنا الإسلامية على الأغلب لم تلتزم بالقدر الكافي -على أقل تقدير - بتلك القيم التي صاغها لنا القرآن الكريم ، وهذا أحد الأسباب في ما حدث من مشاكل جمة فيها ، فلهذا كان واجبا على الإنسان المسلم أن يتعرف على أنواع القيم التي أمر بها الله تعالى في سور الدعوة السرية ؟ وما هي فائدة وأهمية تلك القيم حتى تحقق تلك

الحياة السعيدة ؟ وكيف تتميز تلك القيم الإلهية عن القيم البشرية التي دعت إليها المجتمعات الغربية ؟

الدراسات السابقة :

وما يخص الدراسات السابقة فإننا لم نجد دراسة ولا بحثاً أكاديمياً تخصص في إبراز القيم الإنسانية في سور الدعوة السرية ، ولكن هناك مؤلفات ودراسات كتبت في القيم لمجالات إسلامية متعددة أفادت دراستنا هذه منها:

١ . القيم الضابطة لنظام البشرية ، تأليف أنس صلاح أحمد السامرائي ، وهذا البحث يُشكل عليه أنه لم يتضمن القيم المختلفة ، فاعتمد مؤلفه على مجموعة قليلة من القيم ، فلم يكن شاملاً للقيم، فضلاً عن أنه لم يُحدد بفترة معينة .

٢ . الاخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية، كتاب من تأليف الدكتور راجب السرجاني .

وهذا البحث أيضاً لم يكن شاملاً لمختلف أنواع القيم ، بل كان مختصراً على مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية . ولم يكن متخصصاً في الدعوة السرية .

٣ : قيم حضارية في القرآن الكريم ، كتاب من تأليف توفيق محمد سبع ، دار المنار القاهرة .

الباحث هنا لم يخصص في كتابه إلا باب واحد للتكلم عن ست قيم فقط ، فلم تكن دراسته كاملة عن القيم .

٤ : دور المدارس القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية ، رسالة ماجستير اعداد الطالب زيرق دحمان . كاتب هذه الرسالة أعتمد على أثر المدارس القرآنية في ترسيخ بعض القيم الاجتماعية ، فالرسالة أيضاً غير شاملة لمختلف أنواع القيم .

٥ : القيم الاجتماعية المنتظمة في كتب التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير اعداد الطالبة سارة طربان الشراري الجامعة الأردنية سنة ٢٠١٥ م .

الرسالة هذه اعتمدت فقط على القيم الإجتماعية الموجودة في الكتب المنهجية للتربية الإسلامية ، ولعدم شمول تلك الكتب على القيم الإسلامية ، فالرسالة لم تكن شاملة لأنواع القيم .

٦ : القيم بين الاسلام والغرب ،دراسة تأصيلية مقارنة ، اطروحة دكتوراه مانع محمد المانع

. ركز الباحث في اطروحته هذه على بيان الفوارق النظرية فقط بين الفكرين الإسلامي والغربي ، ولم يتطرق إلى ذكر الجانب العملي ، فلم نجده قد ذكر مجموعة نماذج قيمية بين الفكرين .

منهجية الدراسة :

وقد اعتمدنا في كتابة هذه الرسالة على منهج التفسير الموضوعي على مستوى أغلب سور القرآن الكريم ، وذلك لأهمية التفسير الموضوعي من خلال معالجة الكثير من القضايا المعاصرة وإصلاحها من خلال الاستناد إلى آيات القرآن الكريم ، فضلاً عن بيان أنَّ القرآن الكريم صالح لكل مكان وزمان ، فهو كتاب حيوي غير جامد كما بقية الكتب السماوية الأخرى، زيادة على اتباع مجموعة أخرى من المناهج البحثية مثل المنهج المقارن الذي كثر استخدامه في الفصل التمهيدي ، والمنهج التحليلي أيضاً ،وقد انتظمت الرسالة على مقدمة وتمهيد وأربع فصول وقائمة بالمصادر والمرجع تليها النتائج والتوصيات.

أما التمهيد فكان بعنوان (مقاربة مفاهيمية وأصطلاحية في عنوان الرسالة) وانتظم بثلاثة مباحث وكما يأتي :-

المبحث الأول القيم : مفهومها .. مصدرها .. أنواعها .. أهميتها

المبحث الثاني : مقارنة بين القيم الإسلامية والقيم في الفكر الغربي

المبحث الثالث : الدعوة السرية .. مفهومها .. أهميتها .. مراحلها .. وسورها

أما الفصل الأول من الرسالة كان بعنوان: القيم الإنسانية العقائدية في سور الدعوة السرية

وانتظم على ثلاثة مباحث وكما يأتي :-

المبحث الأول : القيم العقائدية وأهميتها وعلاقتها بالقيم الإنسانية

المبحث الثاني : قيمة الإيمان في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث : قيمة التوحيد في سور الدعوة السرية

المبحث الرابع : قيمة العبادة في سور الدعوة السرية

والفصل الثاني كان بعنوان: القيم الإنسانية الأخلاقية في سور الدعوة السرية ، وانتظم

بثلاثة مباحث وكما يأتي :

المبحث الأول: قيمة الصدق في سور الدعوة السرية

المبحث الثاني : قيمة الصبر في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث: قيمة الحق في سور الدعوة السرية

أما الفصل الثالث كان بعنوان : القيم الانسانية الاجتماعية في سور الدعوة السرية ، وانتظم

على ثلاثة مباحث وكما يأتي :-

المبحث الأول : القيم الانسانية المتعلقة بالتكافل الاجتماعي في سور الدعوة السرية

المبحث الثاني : قيمة الأخوة في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث : قيم العدل والمساواة في سور الدعوة السرية

بينما كان الفصل الرابع بعنوان : خصائص ومميزات القيم الإسلامية ، وكان على ست

مباحث وكما يأتي : -

المبحث الأول : القيم الربانية

المبحث الثاني: القيم العالمية

المبحث الثالث : القيم الإنسانية

المبحث الرابع : القيم الوسطية

المبحث الخامس: القيم التكاملية

المبحث السادس: القيم الواقعية

أما الصعوبات التي واجهت البحث فهي صعوبات علمية بحتة ، تتمثل في أنَّ أغلب المفسرين لم يحددوا آيات الدعوة السرية بشكل دقيق ، مع اختلافهم في تحديد عدد مراحل تلك الدعوة السرية .

وفي النهاية فإنَّ هذا العمل هو جهد بشري ، والجهد البشري لا يرتقي إلى الكمال ، فلا كمال الا الله تعالى ، فإنني لا أدعي العصمة فيما كتبت ، ولكننا بذلنا جهداً كبيراً في خدمة هذا الموضوع لتعلقه المباشر بالنص القرآني .

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين

الباحثة

الأصل التمهيدي : مقارنة مفاهيمية واصطلاحية في عنوان الرسالة

المبحث الأول

القيم : مفهومها .. مصدرها .. أنواعها .. أهميتها

المبحث الثاني

مقارنة بين القيم في الفكر الإسلامي والفكر الغربي

المبحث الثالث

الدعوة السرية .. مفهومها .. أهميتها .. مراحلها .. دورها

توطئة :

عُني الإسلام كثيراً بمصلحة الفرد المسلم وبالمجتمع الإسلامي ، فبعد أن كان الإنسان يعيش في ظلمات الجاهلية والعادات الهمجية التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، جاء الإسلام بما حمله من تشريعات أنقذت المجتمع والفرد ، وكانت القيم التي غرسها الإسلام بل أوجب العمل بها هي المنقذ لهم .

إذن ما يجعل عيش المجتمع سعيداً هو الالتزام بالقيم الإنسانية ، والعمل على أساسها ، فالقيم التي أسس لها الإسلام وبنى قواعدها الرصينة كانت كفيلة لضمان بقاء المجتمع واستمرار ديمومته .

والدعوة الإسلامية مرت بمراحل مهمة وعديدة ، ومن أهم تلك المراحل مرحلة الدعوة السرية التي تضمنت الكثير من المبادئ الإنسانية ، إذ إنَّ سور هذه الدعوة كانت زاخرة بالقيم الإنسانية كالقيم الإيمانية والعقائدية والأخلاقية والاجتماعية ، حتى أنَّ هذه المرحلة تميزت بتلك القيم لترسيخها في قلوب وعقول المسلمين .

ففي هذا الفصل التمهيدي سنتناول أهم ما يتعلق بتلك القيم مع إجراء مقارنة مع الفكر الغربي لبيان تفوق القيم التي نزل بها الوحي على نبيينا محمد (صل الله عليه و آله وسلم) مع بيان الدعوة السرية بما تحمله من مراحل وميزات، وهي المكونات الرئيسية في عنوان الرسالة .

المبحث الأول

القيم : مفهومها .. مصادرهما .. أنواعها .. أهميتها

المطلب الأول : مفهوم القيم

المطلب الثاني : مصادر القيم في الفكرين الإسلامي والفربي

المطلب الثالث : أنواع القيم في الفكرين الإسلامي والفربي

المطلب الرابع : أهمية القيم

تُعد القيم على اختلاف أنواعها من أهم الأمور التي غرسها الإسلام في نفوس أبنائه ، وتميزت تلك القيم بأنها قيم مصدرها رباني لا تقبل الخطأ ، فكانت هي الهوية التي تميز بها الإنسان ، حتى أنّ تلك القيم التي جاء بها الإسلام بينت بشكل كبير العيوب الكبيرة عند الفكر الغربي قديما وحديثا .

ففي هذا المبحث سنتناول القيم في الفكرين الإسلامي والغربي من حيث مفهومها ومصادرها وأنواعها وأهميتها

المطلب الاول : مفهوم القيم

في الحديث عن القِيم ، لا بُدّ من الإطلالة على معنى الكلمة ومدلولاتها العلمية ، فهي مادة تتعلق في حقلها الدلالي بمعان عدة تدور غالبيتها حول قيمة الشيء وقدره . وأما من الناحية العملية أو من الناحية الأخلاقية الصفاتية النظرية المتأصلة في الفكر الإنساني بعامة ، وما يمكن أن تعنيه هذه الكلمة من حيث مُنطلقاتها المركزية في القرآن الكريم ، وفي بعض الدراسات العلمية للمجتمع العربي والغربي في آنٍ معاً، وما هو مدى إنعكاسها على الواقع المُجتمعي الإنساني، من حيث تنظيم السير والسلوك فيما بين الأفراد أو الجماعات وبهذا فإن القيم عبارة عن ميزان يستطيع الإنسان التحرك من خلاله ويتصرف بوحى من إيماءاته وتوجهاته بحيث تكون هذه الحركة في إستقامة وثبات وبه يكون لهذه الحركة قَدْرُها وفاعليّتها ، وبالتالي تفاعل الحركة الإنسانية في إطار الضوابط القِيَمِيَّة تُشكّل مرتكزاً هاماً في التعامل والتواصل بين أبناء البشر بعامة، والمجتمعات المحلية بخاصة. وسيكون البحث عنها وفق الفقرات الآتية :

أولاً : معنى كلمة قيم :

١ - القيم لغة :

أ- جاءت كلمة القيم في المعاجم اللغوية للدلالة على عدة معان حسب ما بينه اللغويون فلكمة (قيم) ؛ جمع (قيمة) ويعني بها قِيَمَةُ الشَّيْء ، لِقَوْلِ أَهْلِ مَكَّةَ اسْتَقَمْتُ الْمَتَاعَ أَيُّ قَوْمَتِهِ أَيُّ : حَدَدْتُ لَنَا قِيَمَتَهَا. وقد تأني مُفردة قيمة بمعنى آخر :

كقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ ﴾ ^(١) ؛ أَي : مُسْتَقِيْمَةٌ تُبَيِّنُ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ عَلَى اسْتِواءٍ وَبُرْهَانٍ . كما قد دلت مفردة قِيَم على معنى البعل وهو قِيَمُ الْمَرْأَةِ ؛ أَي : زَوْجُهَا الذي تقع عليه العيلولة ، كما دلت أيضاً على معنى آخر وهو أمر رعاية المصالح وتدبير الأمور ، ومنه قِيَمُ الْقَوْمِ : الَّذِي يُقَوِّمُهُمْ وَيَسُوسُ أَمْرَهُمْ ^(٢) .

- (١) سورة البينة ، الآية ٣ .

- (٢) ينظر ، لسان العرب ، ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل ؛ جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، (ت : ٧١١ هـ) دار صادر - بيروت - لبنان ، ، ١٤١٤ هـ ، ط ٣ ، ١٢ / ٥٠٠ - ٥٠٢ ، (فصل الفاء) .

ب-وقد جاء في تاج العروس أن: ((القيمة بالكسر واحدة القيم وهو ثمن الشي بالتقويم ، وأصله الواو؛ لأنه يقوم مقام الشي ، ويقال : ماله قيمة، اذا لم يدم على شيء ، ولم يثبت واستقام الامر : اعتدل .. والقوم بالكسر: نظام الامر وعماده وملاكه الذي يقوم به.. وكل من ثبت على الشي وتمسك به ، فهو قائم عليه.... وتقاوموه فيما بينهم :اذا قدروه في الثمن . وامر قيم : مستقيم ، وخلق قيم :حسن ،ودين قيم :مستقيم ، لا زيف فيه ، وكتب قيمة : مستقيمة تبين الحق من الباطل ؛ والقيم : السيد وسائس الامر))^(١) .

إذاً فهي مُفردة لها عدة معاني في دلالتها وتتمحور اكثرها في تقدير الشيء ومعرفة مقداره من خلال تقييمه ، والقيم بهذا الاعتبار مفهوم جامع لكثير من المعاني والدلالات التي تسوغ إطلاقه على كل ما من شأنه أن يُمثل معياراً أو ميزاناً^(٢) .

٢- القيم اصطلاحاً : تعددت تعريفات القيم في الاصطلاح ، منها :

مستوى أو مقياس أو معيار نحكم بمقتضاه ونقيس به ونحدد على أساسه المرغوب فيه والمرغوب عنه^(٣). وأيضاً عُرِفَت القيم بأنها : عبارة عن المبادئ والمعتقدات الاساسية والمثل والمقاييس أو أنماط الحياة التي تعمل مرشداً عاماً للسلوك ، أو نقاط تفصيل في صنع القرار ، أو لتقويم المعتقدات والافعال والتي ترتبط ارتباط وثيقاً بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص^(٤) ، كما في قوله تعالى ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۖ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^(٥) فقله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ فالقيمة لأنها من عند الله عز وجل ، فهي معايير مسلمة بين جميع أفراد المجتمع أو غالبيتهم، لا تتغير بتغير الزمان والمكان . إنما تجمع بين حق الفرد وحق الجماعة ، وبين السعادة في الدنيا والاخرة^(٦) .

-(١) الزبيدي : محمد مرتضى الحيني،(ت : ١٢٠٥ هـ) ، تاج العروس من جواهر القاموس ١٧ / ٥٩٧ ، (باب قوم).

-(٢) ينظر ، الخطيب: محمد عبد الفتاح ، قيم الاسلام الحضارية نحو انسانية جديدة ، ص ٢٠ .

-(٣) كاظم : محمد ابراهيم، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية ، ص ١١ .

-(٤) ينظر ، السلمي: احلام عتيق مغلي مفهوم القيم واهميتها في العملية التربوية ٣ / ٨٢ .

-(٥)سورة الروم ، الآية ٣٠ .

-(٦) ينظر ، قاطرجي : نهى ، القيم الغربية وأثرها على الأسرة المسلمة ، ص ١٢٠ .

فتعرف القيمة في المنظور الإسلامي : ((بأنها مجموعة الأخلاق التي تصنع نسيج الشخصية الإسلامية وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل مع المجتمع والتوافق مع أعضائه وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة الإسلامية))^(١).

وهذا التعريف الاقرب والادق إلى المنظومة الإسلامية والذي يميل إليه البحث .

وهناك تعريفات متعددة للقيم في مجالات أخرى وهي :-

أ - القيم في الفلسفة : تطلق القيمة في الفلسفة على ((كل ما هو جدير باهتمام الانسان وعنايته ، لاعتبارات اقتصادية ، او سيكولوجية ، أو اجتماعية أو اخلاقية ، أو جمالية))^(٢).

ب- القيم في علم النفس والاجتماع : ((القيم أحكام مكتسبة من الظروف الاجتماعية يتشربها الفرد ويحكم بها ، وتحدد مجالات تفكيره ،تحدد سلوكه وتؤثر في تعلمه كما يرى بأن القيم الاجتماعية تعني الصفات التي يفضلها أو يرغب فيها الناس في ثقافة معينة ، وتتخذ صفة العمومية بالنسبة لجميع الأفراد لما تصبح من موجهات السلوك أو تعتبر أهدافا له " وهو يعتبر القيم موجهات للسلوك، و تفضيلات أساسية لما هو مرغوب فيه ، وهي أحكام قيمية لأنها تؤثر في الأفراد))^(٣)

. كما تعرف أيضاً بأنها تنظيمات لأحكام عقلية أنفعالية مصممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني التي توجه رغباتنا واتجاهاتنا نحوها ؛ وبهذا تعتبر القيمة مفهوم مجرد ضمني ، غالبا ما يُعبر عن الفضل أو الأمتياز ودرجة التفضيل التي ترتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني^(٤) .

ح - القيم عند الغرب : عُرِفَت القيم في الفكر الغربي على أنها : ((نمط أو موقف أو جانب من السلوك الإنساني ، أو مجتمع أو بيئة طبيعية ، أو العلاقات المتبادلة التي تمارس من شخص أو أكثر ، كما لو كانت في حد ذاتها ، إنها شيء يحاول الناس حمايتها والاستزادة منها والحصول عليها))^(٥)

(١)- ثابت : خولة، مصادر القيم في الفكر الإسلامي عابد الجابري - نموذجاً، ص ١٣ .

(٢)صليبيا جميل ، المعجم الفلسفي ، ٢ / ٢١٢.

(٣)- لمعاينة : عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي، ص ٢١٤.

(٤)- تنمية المجتمعات المحلية ، نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع ، الأزاريطة - أسكندرية - مصر ،

المكتب الجامعي الحديث ، د ط ، ١٩٩٩ م ، ص ١٨٨ .

(٥)عبد الرزاق : علي، المجتمع والثقافة الشخصية ، ص ١٤٨.

يجدر بالذكر أنّ المفكرين الغربيين يختلفون في تحديد مفهوم القيم لديهم ، بل أنّ بعضهم يشعر بغموض هذا المفهوم لديهم . يقول : " رالف با رتن بيرى " (١) .
والحقيقة أنّه لا يوجد للقيمة معنى ثابت عام فمختلف الناس يعنون أشياء مختلفة في سياقات مختلفة (٢) ومصطلح القيم لدى الفكر الغربي مصطلح حديث لا يتجاوز القرن التاسع عشر الميلادي ، وأنّ كان موضوعه موجودا في الفلسفة والأديان منذ القدم (٣) . ويرى علماء الاجتماع الغربيين أنّ القيم من صنع المجتمع تعبيرا عن الواقع، والقيم عندهم حقائق واقعية توجد في المجتمع ، وتعتبر عنصراً مهماً ومشاركاً في عملية تركيب البناء الاجتماعي ، ويحاول عالم الاجتماع عند دراسته للقيم أنّ يحللها ويفسرهما ويقارن بين الجماعات المختلفة وتأثير القيم في السلوك (٤) .

المطلب الثاني : مصادر القيم في الفكرين الإسلامي والغربي

قبيل الخوض في الحديث عن مصادر القيم يلزم أن تُبين معنى الفكر لغةً وأصطلاحاً بشكل موجز .

الفكر لغة : إعمال الخاطر في الشيء ؛ وَقَدْ فَكَّرَ فِي الشَّيْءِ وَأَفْكَرَ فِيهِ وَتَفَكَّرَ بِمَعْنَى . وَرَجُلٌ فِكْرٌ ، وَفِكْرٌ ؛ أَيُ : كَثِيرُ الْفِكْرِ ؛ وَمِنْ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ : الْفِكْرُ الْفِكْرَةُ ، وَالْفِكْرَى ؛ وَيُقَالُ : لَيْسَ لِي فِي هَذَا الْأَمْرِ فِكْرٌ أَيُ لَيْسَ لِي فِيهِ حَاجَةٌ (٥) .

(١) - د. رالف بارتن بيرى ، عالم أمريكي شهير ، ولد سنة ١٨٧٦ م ، حاضر في الفلسفة والأديان الطبيعية في العديد من كبريات الجامعات الأمريكية والفرنسية . ينظر ، افاق القيمة ، دراسة نقدية للحضارة الانسانية ، رالف بارتن بيرى ، ترجمة : د. عبدالمحسن سلام ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ١٩٦٨ م ، د ط ، ص ٢٠٠ .

(٢) - ينظر ، افاق القيمة ، دراسة نقدية للحضارة الانسانية رالف بارتن بيرى ، ص ١٢ .

(٣) - ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي القيم بين الإسلام والغرب ، دراسة تأصيلية مقارنة ، ص ١٧ .

(٤) - ينظر ، فرح : محمد سعيد البناء الاجتماعي والشخصية ص ٣٨٠ - ٣٨١ .

(٥) - ينظر ، لسان العرب ، ابن منظور : جمال الدين محمد مكرم ٥ / ٦٥ .

اصطلاحاً : هو نتاج العقل الناشئ في المجتمع الإسلامي في ظل القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح (١) .

وقد تعددت مصادر القيم ، وكل مجتمع تختلف فيه المصادر عن مجتمع الآخر وتكمن مصادر القيم في الفكر الاسلامي فيما يأتي :

أولاً : القيم ومصادرها الرئيسية والثانوية وهي :

١- المصادر الرئيسية :

أ - القرآن الكريم : يُعد القرآن الكريم هو المصدر الاول للتشريع الإسلامي وبالتالي فهو المصدر الأول للقيم ، فقد بينت الآيات القرآنية التنظيم المحكم الذي انتظمت فيه القوانين وقررت الاصول والقواعد لكي تكون ضابطه للمجتمع المسلم والامة الإسلامية، ومن خلال تلك القواعد والاصول بنى المسلمون حضارتهم المشيد من القيم القرآنية كالحق والصدق والمساواة والعدل وغيرها (٢). فإن ((الله تعالى أنزل هذا القرآن لهداية البشر ولتنزيههم عن الشرك وإنقاذهم من النار . القرآن يدعو الناس الى الخير والى الجنة، يوجه القرآن البشر بأن القيم والأخلاق السامية هي التي تجعلهم صالحين ومستحقين للدخول في الجنة)) (٣).

إضافة إلى ذلك فإن القرآن وضع ما يحقق تلك القيم ، إذ إن ((القرآن الكريم يستخدم أسلوب الثواب والعقاب الذي يتفق مع الفطرة الإنسانية ، والذي ثبتت صلاحيته في كل زمان ومكان ، في حث المؤمنين على فعل الخير ... وكل ما يقرب الى النار ، فلا يمكن تحقيق القيم المرجوة ما لم يعرف الإنسان أن هناك نتائج سارة ، أو مؤلمة وراء عمله وسلوكه ... ومن هنا يظهر أثر هذا الأسلوب ، فهو وسيلة لتحقيق القيم التي ينشدها الإسلام في إلزام الفرد بها ، ولذا فهي تعين على تحقيق القيم كلها ، وجدانية كانت أو أخلاقية أو اجتماعية)) (٤) .

وأن الانبياء دعوا إلى دين واحد في اصول العقائد والاخلاق ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥)

(١)- ينظر ، البهي: محمد ، الفكر الإسلامي في تطوره ، ص ٧ .

(٢)- ينظر ، السياني :احمد بن مسعود ، منظومة القيم القرآنية في مجال الكلامي الاخلاقي ، ص ٦- ٧ .

(٣) أمين : محمد القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع، ص ٣٢٧.

(٤) ياسين : طه، القيم التربوية في موعظة لقمان لابنه، ص ١٣٨.

٢سورة يوسف ، من الآية ٤٠ .

فقوله تعالى ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ يدل على أنَّ جميع الأوامر بالأفعال والأقوال إنما تصدر منه حصراً ، ولذلك أمر الجميع بعبادته ^(١)، ثم بين الله تعالى أنَّ ما أمر به من الأفعال والأقوال واللذان تمثلان في الدين الإسلامي لا اعوجاج فيه ، حيث قال تعالى : ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ ومعناها هو : ((الدين المستقيم الذي لا عوج فيه)) ^(٢) إضافة إلى عدد كبير من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ ^(٣) وقوله تعالى : ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ ^(٤) وقوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ ^(٥)

ب - السنة النبوية : لا شك في أنَّ السنة النبوية مصدراً مهماً من مصادر ومنابع القيم ، فهي تعد التطبيق العملي للقيم حيث ((كان الرسول محمد (صل الله عليه و آله وسلم) يزواج بين النظر التطبيق في تعليم القيم الإسلامية ؛ بحيث يصلي بالناس ثم يقول : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) ^(٦) ، ويحج بهم ثم يقول : ((خذوا عني مناسككم)) ^(٧) وينحر ويحلق في صلح الحديبية فيفعل الناس بعد امتناع ^(٨) فبما إنَّ الله تعالى هو مصدر القيم فقد تميزت السنة النبوية بالقداسة وكان لها هيبه في قلوب الناس ، وكانوا يحترمون هذا السنة احتراماً ينبع عن اختيار بسبب إيمانهم بالله تعالى ^(٩) ((فبالتالي هي هبة الله للأمة الإسلامية وهي مقدسة ولا يجوز التفريط بها ، والتخلي عنها ، وهذا ما يولد ضبط اجتماعي عالي فلا يستطيع الأفراد ولا الجماعة تجاوزها)) ^(١٠) وما يدل على أخلاق الرسول الكريم هو ما رواه الصنعاني (ت :

(١) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن (ت: ٤٥٠ هـ) ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٤٣/٦ .

(٢) الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ) مجمع البيان ، ٤٠٣/٥ .

(٣) سورة النحل ، الآية ٨٩ .

(٤) سورة الكهف ، الآية ٤٩ .

(٥) سورة الأسراء ، الآية ١٢ .

(٦) المجلسي : محمد باقر (١١١١ هـ) و بحار الأنوار ، ٨٢ / ٢٧٩ ، باب التشهد وأحكامه .

(٧) - النيسابوري : مسلم (ت ٢٥٦ هـ) صحيح مسلم ، ٤ / ٧٩ ، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ، وبيان قوله ل((لتأخذوا مناسككم)) .

(٨) - الصمدي : خالد ، مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة ، ص ١٤٣ .

(٩) ينظر ، رسلان : صلاح الدين القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية ، ص ١٤٣ .

(١٠) ضياء: أكرم ، قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ، ص ٦٤-٦٥ .

(: ((ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خادماً له ولا امرأة ، ولا ضرب بيده شيئاً قط ، إلا أن يجاهد في سبيل الله))^(١) و قيل في حق الرسول الكريم ((كان خُلْفُه القرآن))^(٢)

وورد عدد من الأحاديث فروي عن رسول الله (صل الله عليه و آله وسلم) ((إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))^(٣) وقوله أيضاً : ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))^(٤)

ت - أئمة أهل البيت عليهم السلام : لا شك في إنَّ آل بيت النبوة (عليهم السلام) هم من الأصول النابعة للقيم الإنسانية ، بل هم تطبيق عملي لتلك القيم ، وأمثال تضرب للقيم أيضاً ، ولأمثلة والأدلة على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها هنا ، فمن تلك الأمثلة هو الاقتداء بالقدوة الحسنة : فعن جابر بن عبد الله قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((اقتدوا بالشمس ، فإذا غابت الشمس فاقتدوا بالقمر فإذا غاب القمر فاقتدوا بالزهرة ، فإذا غابت الزهرة فاقتدوا بالفرقدين قالوا : يا رسول الله فما الشمس؟ وما القمر؟ وما الزهرة؟ وما الفرقدان؟ فقال : أنا الشمس ، وعلي القمر، وفاطمة الزهرة ، والفرقدان الحسن والحسين))^(٥) ومن الأمثلة الإمام عليُّ بنُ الحسين المعروف بزين العابدين ؛ حيث كان يطوف على بيوت الفقراء ليلاً للتصدق عليهم وقد قيلَ : إِنَّهُ كَانَ يَعُولُ مِائَةَ أَهْلٍ بَيْتٍ بِالْمَدِينَةِ، وَلَا يَدْرُونَ بِذَلِكَ حَتَّى مَاتَ ؛ وَلَمَّا مَاتَ وَجَدُوا فِي ظَهْرِهِ وَكَتَافِهِ أَثَرَ حَمَلِ الْجُرْبِ إِلَى بُيُوتِ الْأَرَامِلِ وَالْمَسَاكِينِ فِي اللَّيْلِ فَعَرَفُوا أَنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يَأْتِيهِمْ فِي اللَّيْلِ بِمَا يَأْتِيهِمْ بِهِ^(٦) .. ومن الأمثلة أيضاً ما ذكر عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام فقد كان (عليه السلام) مهتم بالجانب التربوي لأتباع مدرسته الخاصة وكان حريص على تنمية السلوكية الإسلامية لدى الأفراد والجماعات على ضوء المرسوم الإمامي ليس منا من لم يُحاسب نفسه كُلَّ يوم وكان يوصي أولاده بالسلوكية الإنسانية مع الناس ولقد أجمع

(١) الصنعاني: عبد الرزاق، المصنف ، ٤٤٢/٩

(٢) بن حنبل : أحمد (ت: ٢٤١ هـ) مسند أحمد ، ، ٩١/٦ .

(٣) المازندراني : محمد صالح (ت: ١٠٨١ هـ) شرح أصول الكافي ، ٣٢/٨ .

(٤) المجلسي : محمد باقر، بحار الأنوار ، ٢١٠/١٦ ، باب مكارم أخلاقه وسيره وسننه صلى الله عليه وآله وما أدبه الله تعالى به .

(٥) المجلسي : محمد باقر، بحار الأنوار ، ٢٤ / ٧٤ ، باب أنهم عليهم السلام النجوم والعلامات ، وفيه بعض غرائب التأويل فيهم صلوات الله عليهم وفي أعدائهم ، حديث ٩ .

(٦) ينظر ، ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي ، (ت : ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، ١٢ / ٤٨٣ .

المؤرخون إنّ الإمام موسى الكاظم كان جواد كريماً سخياً وقد أنفق ما عنده من أموال على الفقراء والملهوفين ^(١) .

كما كان دور الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) دوراً بارزاً وهو دور القدوة التي يجب أن يُقتدى بها حيث كان عليه السلام يؤدي هذا الدور المُطابق مع قيم الإسلام الثابتة ؛ حيث أبرز أنموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الحسن ، وكان أماماً صادقاً وقمةً في الصدق وأداء الأمانة والوفاء بالعهد والتواضع للآخرين والعمل على أحترامهم وقضاء حاجاتهم ^(٢)

ث- العقل : يُعدُّ العقل مصدراً من مصادر القيم لقدرته على معرفة قبح الأعمال وحسنها ، فمن خلال العقل العملي* إذ إنه ((حجة أيضاً وذلك : لأنّ مدركات العقل العملي لا خلاف فيها في أنفسها فإنما يدركه العقل بنحو الإقتضاء أنّه ينبغي أو لا ينبغي ، فالكذب لو لوحظ بنفسه يحكم العقل بأنّه يقتضي أن لا يُرتكب ، والصدق فيه إقتضاء أن يكون هو الصادر من الإنسان)) ^(٣) حيث إنّ للعقل الدور الكبير في حفظ النظام من المفاصد الكبيرة ((فإنّ ملاك الحسن والقبح العقلانيين هي المصالح العمومية الموجبة لحفظ النظام ، والمفاصد العمومية الموجبة لاختلال النظام)) ^(٤)

فمن خلال مبدأ التحسين والتقبيح العقليين يستطيع الإنسان تمييز القيم الصالحة ، والعقل العملي يدرك من صميم ذاته أنّ " العدل حسن " " والظلم قبيح " وعلى ذلك جميع القيم الأخرى التي يمكن اخذها من خلال العقل والعمل بها ^(٥)

٢- المصادر الثانوية :

أ- الإجماع : وما نعينه من الإجماع هنا هو : ((أنّ يستفيض اتفاق أهل العلم من جهة دلائل الأحكام، وطُرق الاستنباط على قولٍ في حكمٍ لم يختلف فيه أهل عصرهم، وتكون

- ^(١) ينظر، بحر العلوم : محمد، المنهج التربوي عند الإمام الكاظم، ص ٩ - ١٠ .

- ^(٢) ينظر ، الغرابي : مها نادر عبد محسن ، التربية عند أهل البيت ، (دراسة فلسفية) ، ص ٢٥٠

* القوة المدركة للقضايا التي ينبغي أن يقع العمل عليها تمييزاً له عن العقل النظري ، أي العقل الذي له القدرة على معرفة قبح الأفعال وحسنها ، ينظر الطباطبائي: محمد حسين ، حاشية الكفاية، ١٨٧.

^(٣) الجواهري : حسن بحوث في الفقه المعاصر ، ط ١ ، ٤ / ٧٨ .

^(٤) - الاصفهاني : محمد حسين ، نهاية الدراية في شرح الكفاية، ٣ / ٢٨ .

^(٥) ينظر، السبحاني: جعفر ، الإلهيات ، ص ٢٤٢.

استفاضته عند أمثالهم من أهل العلم بعد عصرهم) ^(١) هو المصدر الثالث عند أهل السنة ، أما الشيعة فقد اشترطوا وجود قول المعصوم فيه : ((ان مستند حجية الإجماع أمور ثلاثة أحدها دخول شخص الإمام عليه السلام في جملة المجمعين)) ^(٢)

يُعد الإجماع من المصادر التشريعية المهمة ، حتى عده البعض من الضروريات المهمة ((وأما الإجماع : فقد ادعى كثير من معاصرنا كونه من الضروريات والبداهيات ، فضلا عن كونه من الاجماعيات . والظاهر أنه كذلك)) ^(٣) فهو أصل عظيم من الأصول الدينية ، ومصدر مهم من مصادر التشريع الإسلامية ، بعد القرآن الكريم والسنة النبوية ^(٤) ولذلك ذهب علماء الأصول وعلماء الفقه الى أنَّ الإجماع مصدر من مصادر القيم الإسلامية ^(٥).

فمن أهمية الإجماع : ((متعلق بحل مشاكل المسلمين في كل عصر بعد الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ... لأنَّ المسلمين المعاصرين محتاجون الى التوحيد والتقوى أكثر من سائر الأزمان .)) ^(٦)

ب- **القياس** : والقياس يُعد مصدراً من مصادر التشريع عند مدرسة الصحابة ، والقياس عامل أساسي من عوامل تطور هذه الشريعة الإسلامية كونه يعالج ما استجد من قضايا وأحداث في جميع مجالات الحياة ، وخاصة أنَّ النصوص مقصورة محصورة والحوادث غير محصورة ، يقول الجويني في بيان منزلة القياس وضرورته ((القياس مناط الاجتهاد واصل الرأي ، ومنه يتشعب الفقه ، وأساليب الشريعة ، وهو المفضي إلى الاستقلال بتفاصيل أحكام الوقائع ، مع انتقاء الغاية والنهائية ، فان نصوص الكتاب والسنة محصورة ، ومواقع الإجماع ماثورة فيما ينقل منها تواترا ، فهو المستند إلى القطع، ونحن نعلم قطعاً أنَّ الوقائع التي يتوقع وقوعها لا نهاية لها والرأي المبتوت المقطوع به عندنا أنه لا تخلو واقعة عن حكم الله تعالى متلقى من قاعدة الشرع ،

(١) الماوردي : علي بن محمد ، أدب القاضي ، (ت : ٤٥٠ هـ) ، ١ / ٤٥٠ .

(٢) الحائري : عبد الكريم (ت : ١٣٥٥ هـ) ، درر الفوائد ، ط ٥ ، ٣٧١ / ٢ .

(٣) الأنصاري (ت : ١٢٨١ هـ) ، الحاشية على استصحاب القوانين ، ص ١١٥ .

(٤) ينظر ، أبو حبيب : سعدي ، موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي ، ٢٧ / ١ .

(٥) ينظر ، حدادي : وليدة ، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ص ٦٦ .

(٦) وهبي : يونس ، حقيقة الاستحسان والإجماع ودورهما في التشريع ، ص ٩٨ .

والأصل الذي يسترسل على جميع الوقائع القياس، وما يتعلق به من وجوه النظر والاستدلال ((^(١))

ت- **العرف** : ويُقصد به ما تعارف عليه الناس وساروا عليه ، وينقسم العرف على قسمين ، الأول العرف الصحيح وهو الذي يكون مطابقاً للقرآن الكريم أو السنة النبوية ، أو هو الذي يجلب مصلحة ويدفع مضرة ، أما النوع الثاني فهو العرف الباطل وهو الذي يكون مخالفاً للقرآن والسنة ، ويعتبر القياس الصحيح مصدراً مهماً من مصادر القيم في المنظور الإسلامي لكنه غير مستقل لأنه يرجع الى الأدلة الأخرى المعتبرة ، فيجب أن تستند تلك الأعراف الى أدلة أخرى ، ثم تُعتبر قيمة إسلامية مفيدة للمجتمع^(٢)

ث- **المصالح المرسلّة**: تُعد المصالح المرسلّة من المصادر التشريعية عند مدرسة الصحابة فقط ، حيث إنّ ما تميزت به الشريعة الإسلامية هو أنها كانت غنية بمصادر عديدة قسمها المسلمون إلى رئيسية كالقرآن والسنة وفرعية مثل الاجماع ومن تلك المصادر الثانوية هو المصالح المرسلّة ، حيث يمكن من خلالها احداث القوانين والتشريعات الضرورية لكل مستجد من وقائع وأمر لازمة لحياة الإنسان حتى تتحقق المنفعة العامة الجميع^(٣) ((والمصلحة المرسلّة وما ينبني عليها من أحكام تعتبر مصدراً من مصادر اشتقاق القيم في المجتمعات المسلمة ، لأنّ هذا يحدد قيمة الواقعة بالنسبة للتشريع ، ومن ثم يعتبر قيمة من القيم التي تحدد سلوك الأفراد حيال تلك الواقعة))^(٤)

ثانيا : مصادر القيم في الفكر الغربي

إنّ مسألة القيم الإنسانية هي مسألة عالمية تتعلق بالإنسانية ، لهذا فإنّ الغرب لم يكونوا بعيدين عن هذه وإن اختلفت مفاهيم القيم وخصائصها عندهم ، وقد يكون من أهم خصائص القيم لديهم

(١) الجويني ، البرهان، ٢/٤٨٥.

(٢) ينظر، سليمان: خالد احمد ، القيم الإسلامية المتضمن في كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث لطلبة العراق، ص ٧ .

(٣) ينظر، صالح: عبد الله محمد ، المصالح المرسلّة وتطبيقاتها المعاصرة، ص ٢٥٦.

(٤) سليمان: خالد احمد ، القيم الإسلامية المتضمن في كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث لطلبة العراق، ص

ما نادوا به بعد ثورة التنوير في فرنسا عندما طالبوا بفصل الإخلاق عن السياسة ، حيث اختلف علماء الغرب على مجموعة من المصادر التي تتعلق بالقيم .

١-الإنسان : وذهب اصحاب هذا الرأي إلى أنَّ ((الإنسان هو مصدر القيم والمنبع الوحيد لها ، وما القيم إلا ترجمة للمشاعر الفردية الشخصية في كل فرد، والملكة الفردية في وسعها تصور الأمور وإدراك المثل العليا ، وبناءً على ذلك فإنَّ قيم الأشياء يتعلق بتقديرها بالمثل العليا المدركة من قبل الأفراد))^(١) وأنَّ أكثر من دعا الى ذلك هم اصحاب الماركسية في القديم ، وتنشئته حديثاً ، حيث ذهبوا إلى أنَّ الإنسان هو مصدر القيم جميعها^(٢) مبدأ الإنسانية الذي يقضي بأنَّ الإنسان قادر على أن يأخذ زمامه بنفسه ، ويُحدد مصيره بإرادته من دون الإستعانة بقوة غيبية أو التوكل على موجود مُتعالٍ .^(٣)

٢ -المجتمع : اتفق أصحاب هذا المذهب على أنَّ مصدر القيم الإنسانية هو المجتمع ، إذ يردوه إلى " العقل الجمعي " لأنَّ المجتمع بحسب رأيهم هو المشرع الوحيد لكل القيم ، فهو الذي وجدها وحفظها ، وهو معيار القيم الأخلاقية بما يمتلكه من قوة القهر^(٤) حيث إنَّ ((مع تراكم الخبرات واتفاق الأفراد داخل البنية المجتمعية تصبح الأفعال الصالحة مقدسة لتكون قيماً أخلاقية ثم تتوارثها الأجيال))^(٥)

٣-القانون الطبيعي : اعتبر أصحاب هذا المذهب بأنَّ القانون الطبيعي هو مصدر كل التشريعات الموجودة ، حيث أنَّ هذا القانون يعبر الأخلاق والقيم العامة والثابتة ، والقابلة للتطبيق على الناس ، حتى وأنَّ كانت غير مكتوبة ، لأنها مفهومة بالبداهة ،ونابعة من العقل السليم ،^(٦)

(١) حدادي : وليدة ، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ، ص ٥ .

(٢) ينظر، عوفي : مصطفى، القيم الإسلامية ودورها في حفظ التماسك الأسري، ص ٩٢ .

(٣)- ينظر، الرحمن: طه عبد روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية) ، ١٠٠ - ١٠١ .

(٤) ينظر، اسماعيل: قباري محمد، قضايا علم الأخلاق، ص ٩٦ .

(٥) حامد : محمد نجي، القيم بين النسبية والثبات : دراسة في المصادر والنتائج ، ص ٣٦٤ .

(٦) ينظر، سهام : عبير، مبادئ القانون الطبيعي وتطوره في الفكر السياسي الغربي، ص ٨٦ .

٤- التعاليم الدينية : وذهب أصحاب هذا الرأي إلى أنّ التعاليم الدينية هي المصدر الوحيد للقيم وليس الأفراد أو المجتمع ، حيث بينوا أنّ كل القيم في العالم أنّما تستمد من شرائع وتعاليم دينية بحتة ، ومن أهم أتباع هذا الرأي هم كل من " بارسونز " و " وبيير " ^(١)

المطلب الثالث : أنواع القيم في الفكرين الاسلامي والغربي

تعددت أنواع القيم لدى كل من الفكرين الإسلامي والغربي ، وذلك التنوع كان بحسب المصادر والاتجاهات السائدة في كل من الفكرين ، وهذا ما سنبينه في هذا المطلب

أولاً : أنواع القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي :

وما نقصد به بالقيم الإنسانية هي : ((القيم المرتكزة على المبادئ الإنسانية وهي المبادئ التي أجمعت عليها كل الأديان السماوية وكل الحضارات الإنسانية والتي يقرها العقل والمنطق والفطرة السليمة كالصدق والعدل والأمانة وإتقان العمل والتسامح والحوار واحترام الآخرين)) ^(٢). وهذه القيم بشكل عام ؛ هي المساواة والحرية والكرامة والتأخي والتكافل والتراحم ^(٣)

١- القيم القرآنية : وتتمثل بمجموعة من أوامره ونواهيه وأخباره وكل وجوهه التي ترسم الحياة الإسلامية المتصلة بالله عقيدة وشريعة " فذلك هو منهج الله ^(٤) ؛ ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ^(٥) اذن يتضح من خلال ذلك أنّ القيم في القرآن هي دين الله عز ذكره هو دين الاسلام ويعتبر القرآن الكريم الاصل والاصيل للإسلام وذلك ما ذكره الله بقوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمَ ﴾ ؛ ﴿ قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

^(١) حدادي : وليدة، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ، ص ٦.

^(٢) العيتي : ياسر ، دور القيم الإنسانية للارتقاء بواقع الانسان والمرأة في العالم العربي ، ص ٢.

^(٣) - ينظر، السامرائي : انس صلاح احمد، القيم الضابطة لنظام حياة البشرية (دراسة في قيم الشريعة الإسلامية التكاملية على ضوء القرآن والسنة ومقاصد الشريعة الإسلامية، ٢٣ .

^(٤) - ينظر، مصطفى: نادية محمود، القيم في الظاهرة ، ٥٦ .

^(٥) - سورة المائدة ، من الآية ٤٨ .

لِّلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ وتتضمن قيم القرآن الكريم

أ- قيم اعتقادية تتعلق بالعقيدة وما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

ب- قيم خلقية تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلّى به من الفضائل وما يتخلّى عنه من الرذائل.

ت- قيم عملية تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ونحوها، ويقصد بها تنظيم علاقات الإنسان بربه، والمعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنایات وغيرها، ويقصد بها تنظيم علاقات المكلفين ببعض سواء كانوا أفراداً أم أمماً أم جماعات،^(٢)

٢- القيم الوطنية : تعني تهيئة الفرد واعداده للحياة مما يجعله مواطن صالح للعيش ، يسعد بانتمائه لوطنه ، ويشعر بالتزاماته ويساهم في بناء مجتمعه كعضو فاعل يمارس ما عليه من حقوق ويؤدي ما عليه من واجبات ، فيصبح متشبعا بالقيم الوطنية ، ومستبصرا القيم العالمية^(٣). وورد عدد من الأحاديث التي تبين أهمية تلك القيمة الوطنية منها ((محمد بن علي بن الحسين قال : قال (عليه السلام) : السفر قطعة من العذاب ، فإذا قضى أحدكم سفره فليسر العود إلى أهله))^(٤)

٣- القيم الجمالية : وتعني ميل الشخص إلى الاعتناء بمظهره وشكله من حيث التناسق والتوافق لأنه ينظر إلى الوجود الذي حوله نظرة احترام له من ناحية التكوين والتنسيق والتوافق الشكلي فالفرد ذو القيم الجمالية يذهب وراء الشكل والتنسيق ويحكم على كل خبره من حيث التماثل والتناسب .^(٥) ومن الأحاديث التي تؤكد ذلك ((محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن القاسم بن يحيى ، عن جده الحسن بن راشد عن أبي بصير ،

(١)- سورة الانعام ، الآيات ١٦١-١٦٣ .

(٢)- ثابت : خولة ، مصادر القيم في الفكر الإسلامي - عابد الجابري نموذجاً - ، ، ، ص ١٦ .

(٣)- ينظر، دحمان : زريق، دور المدرسة القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية للتلميذ، ص ١٥ .

(٤) الحر العاملي (: ١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة ، ، باب استحباب سرعة العودة الى الأهل .

(٥)- ينظر، دحمان : زريق، دور المدرسة القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية للتلميذ اعداد، ص ٩٥ .

، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر النعمة على عبده ((^(١))

واختار البحث القيم القرآنية في بحثها لأنها شاملة لجميع القيم .

ثانياً : أنواع القيم في الفكر الغربي

اتفق أغلب المؤلفين على أنَّ أنواع القيم في الفكر الغربي تنقسم على ثلاثة أقسام وهي قيم ((القيم العقلية أو المتعلقة بالحق ، والقيم الجمالية أو المتعلقة بالجمال ، والقيم الأخلاقية أو المتعلقة بالخير))^(٢)

١- القيم العقلية أو المتعلقة بالحق : يحتل الحق مكان الصدارة في تاريخ الفلسفة قديماً وحديثاً ، فالحق هو الغاية التي تسعى الفلسفة لمعرفة كنهها ، فالفيلسوف يبدأ تفكيره الفلسفي بالاستفسار عن طبيعة الحق وصورته ومقاييسه والمعايير التي يطمئن إليها ويمكن استخدامها في التمييز بين الحق والباطل ، وحدث اختلاف كبير بين الفلاسفة حول موضوع الحق فذهب بعضهم إلى أنَّ الحق مستقلاً عن تجارب الإنسان ، ويكون حقاً موضوعياً لا يحده زمان ولا مكان ، وخالفهم آخرون حيث ذهبوا إلى أنَّ الحق مربوط بحياة الإنسان وتجاربه ويتغير بتغير الزمان والمكان ، حيث أنَّ الحق قد ينقلب باطلاً ، والباطل ينقلب حقاً^(٣)

٢- القيم الجمالية : يقصد بالجمال ((صفة تلاحظ في الأشياء فتبعث في النفس سروراً ورضا وهو أجد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيم أي الجمال والخير والحق ، والجمال مرادف للحسن وهو تناسب الأعضاء وأكثرها ما يقال على ما يتعارفه العامة في المستحسن بالبصر))^(٤)

(١) الكليني: محمد بن يعقوب (ت: ٣٢٩ هـ) الكافي ، ، باب التجلل واطهار النعمة.

(٢) البدوي : عبد الرحمن ، الأخلاق النظرية، ص ٨٩ .

(٣) -ينظر، علي: مائع محمد ، القيم بين الإسلام والغرب دراسة تأصيلية مقارنة ط ١ ، ص ٥٨ .

(٤) محمد : عبد الله معايير الجمال في الرويتين : الإسلامية والغربية، ص ٤٤٤ .

وذهب سقراط* إلى أنَّ معايير الجمال موضوعية ، وليست ذاتية كما كان يراها السوفسطائيون* ، ومصدر هذه الفكرة لديه هو أنَّ العقل الإنساني لا يتغير بتغير الأشخاص ، والجمال الحقيقي عنده هو جمال الباطن أو جمال النفس ، وغاية الفن عنده أخلاقية بالدرجة الأولى ، وليست في ذاته كما رآها السوفسطائيون وأصحاب مدرسة الفن للفن أو ما عرف بالمدرسة الجمالية فيما بعد ، الذي أبعادوا الأخلاق^(١)

التوحيد بين الحق والجمال : اتجه بعض الباحثين إلى التوحيد بين الحق والجمال فقالوا منذ أكثر من ثلاثة وعشرين قرناً إنَّ الفنون - الجمال - وظيفتها أن تحاكي الطبيعة ، وأكد هذا افلاطون فأفكر أن يكون للفن قيمة في ذاته ، لأنَّه تقليد أشياء طبيعية تحاكي مثلها^(٢)

حيث ربط الغربيون الجمال بالفنون التي انتجتها الحضارات القديمة ، حيث كانت الحضارة الإغريقية هي الحضارة الأولى التي اهتمت بالحكم الجمالي ، وافرزت فكراً نقدياً على الفنون^(٣)

٣- القيم الأخلاقية أو القيم المتعلقة بالخير : اهتم العلماء والفلاسفة الغربيين بالخير لذلك نرى أنَّ أفلاطون* يقول ((الخير هو المبدأ الأساسي والموحد لعالم المثل)) حيث تعد مسألة الأخلاق عند أفلاطون أخذت حيزاً كبيراً ، لذلك مسألة الخير اعتبرت من الجانب النظري للأخلاق ، فقد جعل الخير هو السلوك الذي يساعد النفس على الوصول إلى العالم الاسمي ، فهو يرى أن الخير الأقصى والخير المطلق هو السعادة وهذه الأخيرة

* فيلسوف يوناني ولد في أثينا ، اهتم بميله للحكمة في وقت مبكر من حياته وبعد أول من قال بأن الحكمة تعني كمال العلم لكمال العمل ، فضلاً عن اهتمامه بالعلوم الطبيعية والرياضيات ، ينظر ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤ م ، ط ١ ، ص ٦٧-٦٨ .

* ((يقال انه ظهرت في اليونان القديمة في القرنين الخامس والسادس قبل الميلاد حركة مغالطة وشك سميت بالسوفسيت ومعربها هو السفسطة وهذه الحركة كان يحترفها مجموعة من المحامين والمعلمين وكانت هذه الحركة تنكر العلم والمعرفة ولا تسلم بأي شيء)) ، الرفاعي : عبد الجبار ، مبادئ الفلسفة الإسلامية ، ص ٣٠٥ .
(١) غوري : محمد علي ، مدخل الى نظرية الجمال في النقد العربي القديم ، ص ١٢٧ .

(٢) - الطويل : توفيق ، أسس الفلسفة ، ص ٣٠٩ .

(٣) - ينظر ، غوري : محمد علي ، مدخل الى نظرية الجمال في النقد العربي القديم ، ص ١٢٧ .

* هو أحد الفلاسفة المشهورين والذي كان تلميذاً لسقراط ، يعد أول من تحدث عن صفات النفس حيث ذهب الى أن للنفس قوى ثلاث في الدماغ والقلب والكبد ، ينظر ، اليعقوبي : أحمد (ت : ٢٨٤ هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، ١٢٠-١١٩/١ .

هي غاية الغايات عند افلاطون ، بالإضافة إلى ذلك ربط الخير بالجمال فحسب رأيه الحكم الجمالي يبنى من منطلقات أخلاقية^(١) .

فمعظم الفلاسفة يرون أنَّ للعالم خيراً أو غاية قصوى ؛ يدرك فيه خير الجنس البشري على أنه هو الخير المطلق^(٢)

لكن الغربيون اختلفوا في هذه القيمة حيث ذهب بعضهم إلى أنَّ الخير ثابت عند جميع الناس لا يتغير بتغير الزمان والمكان وذهب بعضهم إلى عكس ذلك ((فأما الحدسيون فيرون أنَّ الخيرية تخضع لقوانين عامة ومبادئ مطلقة لا يحدها زمان ولا مكان ، وتمشياً مع هذا الرأي يقولون إنَّ للمستوى أو للقياس الذي تقاس به الخيرية ثابت لا يتغير بتغير الظروف والأحوال ، أما الغائيون فيعكسون آية الاتجاه الحدسي إذ يقولون إنَّ الخير والشر ، والحق والباطل مجرد أفكار اصطلح عليها الناس في ضوء التجارب التي يعيشوا فيها والظروف التي تسود حياتهم ، ومن هنا اختلفت باختلاف الناس))^(٣)

المطلب الرابع : أهمية القيم

للقيم أهمية كبيرة لدى كل المفكرين الإسلامي والغربي ، فبدون القيم تنهار المجتمعات اجمعها ، فلا يستطيع أحد أن يعيش بدون هذه القيم التي يستطيع معها الإنسان أن يعيش حياة كريمة تضمن حقوقه .

١- تُمثِّل القيم الجانب المعنوي أو الرُّوحي في الحضارة الإسلامية ، و تُمثِّل أيضاً الجوهر والأساس الذي تقوم وتُبنى عليه أي حضارة كانت ، وفي ذات الوقت تضمن سرَّ بقائها وصمودها عبر التاريخ والأجيال^(٤).

(١)- ينظر، مداح: لامية، الخير والشر في فلسفة توما الإكويني ،ص ٩ .

(٢)-مبروك : امل، مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة،ص ٧١٩ .

(٣)-طويل : توفيق، أسس الفلسفة ، ص ٣٥٦-٣٥٧ .

(٤)- ينظر، السرجاني: راغب، الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية ، ، ص ٥.

٢- تلعب القيم دور التنظيم والترتيب في المجتمع كي تُمكنه من العيش دون فوضى بين افراده لان الإنسان يَعد غاية الوجود ومن اجله سخر الله له ما في الكون ليقيم عليه حياته حتى يحقق وظيفته في الإستخلاف والعُمران وأنه عنوان الحقيقة ، اذا سوف نشير إلى أهمية القيم التي تخص الفرد والمجتمع على حد سواء (١)

٣- تُعد القيم بناء إيساسي في تكوين الإنسان فهي تدخل في النفس الإنسانية لتمتد إلى جوهر كينونة الانسان لتتجذر فيه وتتأثر لتعطي ثمارها من خلال تحديد اهدافه ومسيرته ومصيره وهذه رسالة الاسلام كانت واضحة في مفهوم حقيقة الفرد وتشكل الحقيقة الاولى في التعامل معها ووضع منهج في حياته يسير عليه ليكسب السعادة والاستقرار ، وأن الاسلام قيم الانسان منذ بداية تكوينه كما صورها الله في كتابة الكريم إلى أن بث الروح فيه في احسن تقويم حتى استحق به سجود الملائكة والانقياد المخلوقات له ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٢) وهذا السمو الذي استحق به السجود اعطاه الاستعلاء والرفعة في الوجود الدنيوي ، وأن الروح هبة الانسان بها يستطيع التمييز لتصله إلى انبل الغايات واجل المعاني ، بعيدا عن شرور النفس وسطوتها ورغباتها وشهواتها وعن ضيق المادة واضطراباتاها إلى سماء القدس الالهي وتجلياته إلى توحيده وحقيقة المعرفة وصفاتها وحلاوة الذكر والتأمل الفكري وجماله وسعادة النفس واستقرار القلب ، هذه تجليات واشراقات الروح التي تسكن من خلال قيم الاسلام القويم ؛ فهي تحدد مسار الإنسان وسلوكه في الحياة عندما تواجه مواقف أو قضية فسوف يعالجها من خلال ما يحمله من قيم في تصوره ، كذلك تساعد القيم الفرد على حمايته من الانحراف والميول والانحلال وراء رغبات النفس وشهواتها وغرائزها فهذه تدفع الإنسان ليكون بعيدا عن الرقي الاخلاقي والروحي ، ومن هنا تظهر أهمية القيم للفرد وتنتضح عندما تغرز بجذورها في النفس البشرية وتأثر فيها من اجل اسعادها واستقرارها ، ينبغي للفرد أن يتحلى بالقيم الاجتماعية منها الامانة والاخلاق والاحساس بالمسؤولية مع

(١)- ينظر، سبع: توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن، ص ١ ، ١٢ .

(٢)- سورة الحجر ، الآية ٢٩ .

الآخرين وقيم مهنية وتشمل التعاون والمهارة وقيم شخصية تشمل المساعدة والموازة^(١)

٤ - تسهم القيم في المحافظة على بقاء واستمرارية المجتمع وهذا مرهون بما تملكه من معايير قيمية وخلقية ، رغم استيلاء النزعة المادية القيمية كأداة لأنشاء المجتمع واستراتيجيته فقد اثبتت القيم الاجتماعية أنَّ الوسائل المادية ما تكون الا وسائل لأهداف وغايات اعلى لتكوين البناء القيمي الصحيح ، الذي يوجه السلوكيات الاجتماعية بتحديد السبل الإنسانية والحضارية التي تنظم الحياة الاجتماعية وبدونها تعم الفوضى وعدم الانضباط فيها ، وأيضا تحفظ القيم للمجتمع هويته من خلال التماسك والصمود امام اي مؤثرات خارجية او اصطدامات شديدة تعصف بالمجتمع فان ثابته وصمودها امام هذه التحديات دليل على البناء القيمي لتلك الامة وما تحيط به من ثقافة عريقة حيث أنَّ القيم تشكل محورا رئيسيا من ثقافة المجتمع ، وهي الشكل الظاهر البين من هذه الثقافة التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه، ونظرا لتغلغل القيم في جوانب الحياة كافة فإن هوية المجتمع تشكل وفقا للمنظومة القيمية السائدة في تفاعلات أفرادها الاجتماعية فالمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها لما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة ، وتظهر القيم كعلامات فارقة ، وشواهد واضحة لتمييز المجتمعات عن بعضها^(٢).

٥ - المجتمعات تتباين وتختلف فيما بينها بما تتبناه من اصول ثقافية ومعايير قيمية تشمل نواحي الحياة المختلفة ، فأن زعزعت هذه القيم أو اضمحلت يكون مؤشرا على ضعف الهوية للمجتمع وفقدانها . وكذلك تحفظ القيم للمجتمع من السلوكيات الاجتماعية والاخلاقية الفاسدة ، فالقيم تؤمن للمجتمع سلامته من المظاهر السلوكية الفاسدة ، فأنها تسلح المجتمع بالسلوكيات والاخلاق والقيم مما تجعله مجتمعا قويا بها تسوده الفضيلة والحق ويزيد من أهمية القيم فيه^(٣) .

(١) - ينظر، زكي : ماجد، تعلم القيم وتعليمها ، ص ٣٩ .

(٢) - ينظر، رحالي: صليحة، القيم الدينية والسلوك المنضبط الكشافة الإسلامية الجزائرية أنموذجا، ص ٤٩ -

٥٠ .

(٣) - زكي : ماجد ، تعلم القيم وتعليمها ، ، ص ٤٤ .

٦- من أهمية القيم أيضا أنها تدعو وتوجب على عمل الخير فهو توجه سلوك الإنسان لصالح ولصالح المجتمع أيضا وتستمد أصولها بالأوامر والنواهي من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية ^(١)

٧- المساواة : ولقد تميز الاسلام بهذه القيمة الحضارية ، والتي عجزت عنها جميع النظم الحديثة والمنظمات الدولية عن تحقيقها ، وقد أعلنها النبي محمد (ص) وطبقها في واقع المسلمين ، وبذلك قد خرج للبشرية أعظم جيل عرفته البشرية الإنسانية على الإطلاق ، فالمساواة قيمة عظيمة ، ما أجملها واروعها إذا طبقت في واقع الناس فإنهم يشعرون بالأمن والطمأنينة والراحة والسعادة ^(٢)

٨- تدفع الناس إلى أن يكونوا متحابين فيما بينهم ومنسجمين ومتآلفين ، وذلك يؤدي إلى خدمة المجتمع بأكمله ^(٣)

(١) - ينظر، هلال: سعود، التربية والقيم والسياسية ،ص٤٩ .

(٢) -محمد : مانع، القيم بين الإسلام والغرب ، دراسة تأصيلية مقارنة ، ، ص٣٦ .

(٣) - ينظر، حدادي: وليدة، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ، ص٦٥ .

المبحث الثاني

مقارنة بين القيم الإسلامية والقيم في الفكر الفريدي

المطلب الأول : الفرق بين القيم في الفكرين الإسلامي والفريدي

المطلب الثاني : أسس القيم في الفكرين الإسلامي والفريدي

اختلف الفكر الإسلامي عن الفكر الغربي في بيان قيمه وترسيخها ، فالفروقات كثيرة بين الفكرين تمثلت في مصادر القيم وأنواعها كما بينها في المبحث الاول ، إضافة إلى اختلافات أخرى في مفهوم القيم وأسسها .

فبعد أن بينا ماهية القيم لغة واصطلاحاً في الفكرين الإسلامي والغربي ، إضافة إلى بيان المصادر وأنواع هذه في الفكرين أيضاً ، ننتقل في هذا المبحث إلى بيان الفروقات عند الفكرين فيما يتعلق بمفهوم القيم ، وما يتميز به الاسلام عن الغرب ، إضافة إلى الفروق الخاصة بأسس القيم .

المطلب الأول : الفرق بين القيم في الفكرين الإسلامي والغربي

لا شك في اختلاف الفكر الإسلامي مع الغربي في مصادره أدى إلى إختلاف كبير في القيم بينهما ، فالمسلمون اتبعوا في استنباط قيمهم وضبطها وتطبيقها من مصادر ربانية لا تقبل الخطأ على عكس الغربيين الذين كانت مصادر عقلية وضعية أو بشرية قابلة للخطأ والتغيير .

يتميز لدينا الفرق بين المفهوم القيمي للطرفين أنّ القيم الإسلامية تستمد مفهومها من الشرع المقدس ،توزن بميزان القرآن الكريم والسنة الشريفة ، أما بالمفهوم الفكر الغربي فأن القيم توزن بالعقل البشري والتفاعل العملي بين الفرد والبيئة الاجتماعية الغير المتصل والمنضبطة بتعاليم الاسلام . وسوف يتم في الفصل الرابع بيان خصائص القيم الاسلامية بشكل مفصل .
بالتالي فإنّ القيم الإسلامية تتميز بما يأتي : -

١- يتميز مفهوم القيم الإسلامية بالوضوح والبيان والصفاء والتوسط عكس مفهوم القيم في الفكر الغربي فإنه يشوبه الغموض والخفاء والتخبط والابهام وهذا ما صرح به الباحثين الغربيين انفسهم منهم : أ_ علماء النفس دعوا إلى استبعاد القيم عن الدراسات النفسية ونجد قسم اخر منهم: ب _جعل القيم طاغية على العلوم وجعلها إسمى من العلوم الحسية وهم علماء الفلسفة نظروا الى القيم بأنّها اعلى واسمى من العلوم الفلسفية . (١)

٢- تتميز بأنها عبارة عن مكون نفسي معرفي ووجداني وادائي يوجه السلوك ويدفعه ، ولكنه ألهي المصدر ، يهدف إلى ارضاء الله تعالى (٢) .

٣- بأنها مجموعة من المثل العليا والغايات والمعتقدات والتشريعات والوسائل والضوابط والمعايير لسلوك الفرد والجماعة مصدرها الله عز وجل ، وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الانسان وتوجهه اجمالاً وتفصيلاً مع الله ومع نفسه ، ومع البشر ومع الكون ،وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل (٣).

-(١) ينظر ، المانع : مانع محمد، القيم بين الاسلام والغرب ، ص ٢٤ .

-(٢) ينظر، زكي : ماجد، تعلم القيم وتعليمها ، ص ٥٥ .

-(٣) ينظر ، زكي : ماجد، تعلم القيم وتعليمها ، ص ٥٥ .

٤- أنها مجموعة من المبادئ والقواعد التي تعمل كمطلقات وموجهات لسلوك الإنسان ومرجعيات يتم من خلالها الحكم على الافكار والاشخاص والاشياء والتصرفات ، مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، منها ما هو قطعي في دلالته ، ومنها ما هو ضني تختلف الافهام حوله ، ويمكن قياسها والتعرف عليها من خلال الاداء والسلوك (١) .

٥- هناك إتصال وثيق بين القيم الإسلامية والعقيدة الإسلامية ، وكلما كان الالتزام بالقيم الإسلامية في النفس يدل على ترسيخ العقيدة فيها ، كما أنّ دوافع الالتزام بالقيم الإسلامية أمرٌ يكمن بمدى عمق العقيدة الإسلامية في النفس ، ولذلك فالقيم الإسلامية متولدة من العقيدة الإسلامية التي أساسها التوحيد ؛ الذي دعت إليه الرسل والأنبياء ونزلت به كُتُب الإله ، والمقصود هنا بالتوحيد ؛ توحيد الألوهية المتضمن توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية هو عبادة الله وحده لا شريك له ، بينما المقصود من توحيد الربوبية هو الإقرار بأن الله وحده خالق كل شيء وهو ما أقره المشركون من العرب. كما جاء في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ ۖ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ ﴾ (٢).

٦- علاقة القيم الإسلامية بالإنسان : أنّ القيم منذ خلق الله الإنسان مُرتبطة بفطرته وطبيعته (٣) . وبما أنّ العقل البشري قاصر عن تنظيم بعض شؤون حياته لتحكم الرغبات والاهواء فيه مما يسبب المُعوقات والصعوبات في مسيرته الاجتماعية بين اقرانه ، جاء الاسلام ليُوجه بتعاليمه المستمدة من القرآن الكريم والسنة الشريفة تنظيمها وتوجيهها برؤية وتدبر تتناسب مع الطبيعة البشرية هاديا للعقل في جميع الامور ، والقيم الإسلامية مجموعة من الاوامر والنواهي يتمثل فيها الخير والفلاح تعمل على تنشئة الإنسان المسلم وفق هذه التعاليم الدينية لكي لا يضل سبيله ، وتتميز القيم الإسلامية

(١)- ينظر ، زكي : ماجد، تعلم القيم وتعليمها ، ص ٥٥ .

(٢)-سورة لقمان ، من الآية : ٢٥ .

(٣)-ينظر ، الدباغ : عفاف بنت إبراهيم بن ، المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية (سلسلة إسلامية المعرفة -التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنهج والمجالات) ، ص ٧٩ - ٨٠ .

بأنها ثابتة ومُطلقة تصلح لكل زمانٍ ومكان^(١) . ومرتبطة بالعقيدة الإسلامية ، وإنَّ الإسلام دين القيم العليا والمثل السامية ، وإنَّ تعاليمه ما جاءت إلا لتكون الإنسان الذي يتمثل هذه القيم كالتوحيد ، التكافل ، العمل ، الصالح ، العدالة ، العمران ، العلم ؛ وغيرها من سلسلة القيم التي لا يمكن حصرها^(٢) .

المطلب الثاني : أسس القيم في الفكر الإسلامي والغربي

أولاً : الأساس في الفكر الإسلامي

- ١ - اعتقادي؛ تُبنى عليه القيم في الإسلام.
 - ٢ - علمي؛ مُرتبط بالقوانين العلمية الواقعية.
 - ٣ - إنساني؛ ما يتعلق بالميل النفسي لدى الإنسان.
 - ٤ - الطبيعة الإنسانية؛ من حيث تقبل التوجيه والتطوير نحو الخير والشر.
 - ٥ - حرية الإرادة الإنسانية ؛ وهي الأساس في تقييم سلوك الفرد وأعماله.
 - ٦ - المسؤولية الإنسانية، والجزاء الأخروي^(٣) .
- أما صاحب كتاب التربية الأخلاقية الإسلامية " الدكتور مقداد يالجن"^(٤) فقد عمل على دمج أساس الطبيعة الإنسانية والحرية والشعور تحت أساس واحد ، وهو الأساس الإنساني مع عدم لمبدأ الإلزام والالتزام وبهذا أصبحت الأسس عنده ما يلي :

(١)-اليمين: بن منصور دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية،ص ٥٣.

(٢)-ينظر ، المعاطي : علي ماهر أبو، نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي ، دورية : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية : المنهج والمجالات ، ص ١٦٠ .

(٣)- ينظر، سالم: محمد رشاد، المدخل الى الثقافة الاسلامية ص ١٨٤ .

(٤)- الدكتور مقداد يالجن : ((مقداد يالجن محمد علي. أستاذ جامعي له أكثر من عشرين بحثاً ومقالاتاً في مجالات مختلفة كما حاز على جائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.))
للمرجعة أكثر ينظر ، مقداد يالجن محمد علي ، علم الأخلاق الإسلامية،المقدمة .

أ - الأساس الاعتقادي : ويعتبر هذا الأساس هو الأصل الذي تبنى وثُقام عليه القيم في الإسلام ؛ وذلك لأن العقيدة السليمة هي أهم ما يُطلب من الانسان ؛ ولأن العمل يتبع الاعتقاد ، وعلى قدر ما تصح عقيدة المسلم وتقوى ستقيم أعماله وتزكو أخلاقه وتسمو همته ، وأن رأس الأمر في ذلك كله إنما هو توحيد الله سبحانه وتعالى ، خلاف ذلك ؛ لا ينفع الإنسان أعماله الظاهرة ، ومراقبته لأعماله الباطنة من خوف ورجاء وتوكل أو نحوها وإذا فسد مُعتقدهُ وتلبس بآفة من آفات البدع والضلالات الشركية ؛ وفي هذا يقول : " ابن خلدون " ^(١) ؛ " إن الانسان لا ينفعه إصلاح أعماله الظاهرة ولا الباطنة مع فساد المعتقد الذي هو رأس الأمر " ^(٢). ولذا فإن هذا الأساس في غاية الأهمية في الاتجاه القيمي في الإسلام ؛ لأنه يعتبر الدعامة الأساس التي يعتمد عليها في إقامة النظام الأخلاقي وفي التمسك به. وبدون هذا الأساس تفقد الأخلاق مكانتها وتأثيرها العظيم في الإنسان ، ولا يمكن تطبيقها تطبيقاً علمياً دقيقاً في السر والعلن إلا إذا اتخذت هذه الأساس في قلوب البشر مكاناً وآمنوا به إيماناً صادقاً ، فهو يلعب أكبر دور في الحياة الإنسانية من حيث إنه يدفع الإنسان إلى الأعمال الإيجابية ، ويردع عن اتباع الهوى والشهوات ^(٣).

ويقوم هذا الأساس على ثلاثة أركان وهي :

الركن الأول : ركن الإيمان بوجود الله عزوجل الذي خلق جميع مافي الكون وهو عليم بكل شيء ؛ قال تعالى ﴿ اَللّٰهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾ ^(٤). ويقول : أيضاً ﴿ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّوْنَ وَمَا تُعْلِنُوْنَ ۗ وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بِذٰتِ الصُّدُوْرِ ﴾ ^(٥).

(١) - ابن خلدون ((هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن خلدون ، ولد ابن خلدون المذكور بتونس في غرة رمضان سنة ٧٣٢ ، قرأ القرآن العظيم وتعلم العربية على والده ، ثم انتقل إلى مصر بعد أن كانت له رئاسة عظيمة في المغرب ، = وألف تاريخاً عظيماً، في سبع مجلدات عظام، سمّاه بكتاب العبر، في أخبار العرب والعجم والبربر، وكانت وفاته سنة ٨٠٨هـ ، ينظر : بابن القاضي (ت : ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ) : أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي ، ذيل وفيات الأعيان المسمى درة الحجال في أسماء الرجال ، ٣ / ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ .

(٢) - ابن خلدون : عبد الرحمن، شفاء السائل لتهذيب المسائل، ص ١٠ .

(٣) - ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الاسلام والغرب، ص ٧٤ .

(٤) - سورة الزمر ، الآية ٦٢ .

(٥) - سورة التغابن ، الآية ٤ .

الركن الثاني : أنه منذ أن خلق الإنسان عرفه نفسه ، و عرفه طريق الخير والشر ، والحق والباطل برسالات أوحى بها إلى من أصطفاهم من الناس ، يقول : سبحانه ﴿

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿^(١) .

ومن أصلح نفسه وأتبع الهدى فقد فاز ونجا ومن لم يعمل على إصلاحها فقد خاب وخسر ، يقول عز وجل ﴿ وَنَفْسٌ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ رَزَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿^(٢) .

الركن الثالث : أنه هنالك حياة أخرى فيما بعد الموت ، وهذه الحياة إما عبارة عن نعيم أو عبارة عن جحيم ؛ وفي النهاية النعيم. لمن صلح وأتبع رضوان الله وهُدايه ، والجحيم لمن أتبع هواه وسلك طريق اللهو والغواية وفعل الشر ، وهذه وتلك سيُحاسب عليها الإنسان حساب دقيق ؛ إن خيراً فخير وإن شراً فشر ^(٣) ، يقول : تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿^(٤) .

أبرز ما ميز هذا الأساس أمور ؛ هي :

١ - إنَّ القيم المبنية على المعتقد الصحيح ذات قدسية ، وهذا يؤدي إلى أمرين :

أ . تعظيم هذه القيم وإجلالها ، لتكون لها سلطة تتحكم في حياة الإنسان وتصرفاته في السر والعلن .

ب - تأثير هذه القيم في الإنسان عمليا من الناحيتين ؛ الإيجابية والسلبية نتيجة تطبيقها أو عدم تطبيقها ؛ لأن الإحساس بقدسية تلك القيم يجعل من الإنسان رقيقا على نفسه وتصرفاته ، فيشعر على أثر ذلك بالسرور وانسراح الصدر ويكون اثر عدم تطبيقها الإحساس بالوخز وتأنيب الضمير والضييق والاكتئاب .

٢ - إن القيم في الإسلام من حيث الأصول عامة وثابتة ولا تتجاوز القوانين الوضعية من ناحية التأثير والتطبيق .

-^(١) سورة الأعلى ، الآيات ١-٣ .

-^(٢) سورة الشمس ، الآيات ٧-١٠ .

-^(٣) ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الاسلام والغرب، ص ٧٥ - ٧٦ .

-^(٤) سورة يس ، الآية : ١٢٩ .

٣ - إن مثل هذه القيم يحقق للإنسان السعادة في الدنيا ، لأنها تجمع بين المنافع المادية والمعنوية .

٤ - أنها تضع حياة الإنسان بصبغتها وتكيفها بروحها وغايتها ^(١).

ب - الأساس العلمي : ترتبط القيم الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالقوانين الطبيعية الواقعية ؛ لأنها هي التي تحدد علاقة الإنسان بالحياة الواقعية وتنظمها ؛ بحيث لا تتعارض مع السنن الكونية الطبيعية، فالإسلام قد حدد للإنسان الأطر القيمية المبنية على تصوره للكون والحقائق الموجودة فيه وبهذا فإن الإسلام يتجه نحو الطبيعة في إقامة نظامه القيمي في اتجاه معتدلاً، ويتجلى هذا الاعتدال في موقفين هما :

الموقف الأول : أنه دعى إلى الاستعلاء على الطبيعة وعدم الاستسلام لها، وأن الإنسان سيد على نفسه وعلى الكون في آن واحد ، وأنه لا يستطيع أن يكون سيداً على نفسه إلا بضبط الميول والرغبات التي لديه ؛ وأنه لن يتمكن من تحقيق هذه السيادة إلا من خلال استغلال ما سخر الله له ما في هذا الكون بصورة تؤدي إلى عمران الأرض والسمو بالحياة التي أراد الله من الإنسان أن يرقى إليها ^(٢) . يقول : ابن خلدون " إن الإنسان رئيس بطبعه بمقتضى الاستخلاف الذي خلق له " ^(٣) .

الموقف الثاني : إن الإسلام دعا إلى مراعاة قوانين الطبيعة والواقع والتكيف معها وتجنب الاصطدام بها ، ولأن الحياة مع مخالفة الطبيعة بهذه الصورة ، لا يمكن أن تستمر ، وإن هذه المراعاة تتم عن طريق إتخاذ مبادئ السلوك وفقاً للقوانين الأساسية للحياة الإنسانية ^(٤) .

ج - الأساس الإنساني : وينقسم هذا الأساس إلى ثلاثة فروع إنسانية وهي :

١ - الطبيعة الإنسانية : إن دراسة الطبيعة الإنسانية تُمكننا من خلق صورة جلية لحقائق عن هذه الطبيعة ومن الأهمية بمكان معرفة ما في داخل الإنسان من ميول ورغبات وغرائز مختلفة ؛ وذلك لأنه لا يمكن التحكم في الشيء وتسخيره إلا بعد أن نعلم ما فيه من الحقائق والقوانين التي تخضع لها ، ومدى تأثير القيم فيها ، والقدرة على توجيهها ، فعندما يكون التوجيه من داخل

-^(١) ينظر ، يلجن : مقدار، الإتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

-^(٢) ينظر : المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الاسلام والغرب، ص ٧٧ .

-^(٣) بن بخلدون : عبد الرحمن، المقدمة، ٢ / ٥١٢ .

-^(٤) ينظر ، يلجن : مقدار، الإتجاه الأخلاقي في الإسلام ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الإنسان يكون أكثر تأثراً وأكثر نفعاً ؛ ولهذا نجد الإسلام يعطي تصورا واضحا لحقيقة طبيعة تكوين الإنسان، كما يُسلط الضوء على أغوار هذه الطبيعة وأسرارها ، ثم كان توجيهه وفقا لذلك التصور الكامل ولتلك المعرفة الكاملة في الجوانب الداخلية لهذه الطبيعة . فالإنسان مخلوق مميز عن سائر الكائنات الحية والمخلوقات ، ومكون من طبيعة مزدوجة ومكونة من حقيقتين إحداهما : روحية إلهية ، والأخرى : مادية أرضية. يقول تعالى : ﴿ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴾ (١) . ويقول : أَيْضاً ﴿ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلِقُ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ (٣) .

وفي هذا السياق تبين أن نوع العلاقة بين الروح والجسد علاقة ترابطية تكاملية لا يستغني أحدهما عن الآخر فالنفس تكسب البدن الحس والحركة ولولاها لكان كالجما ، وكذلك فإن البدن ضروري للنفس ، فبدون البدن لا تستكمل النفس ذاتها ولا يتحقق وجودها فعليا ، وفي هذا دليل على أن الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان مركبا من جثمان ظاهر ؛ وهيكلي محسوس هو الجسد ، ومن لطيفة ربانية أودعها إياه وأركبها مطية بدنه، وهذه اللطيفة مع البدن هي بمنزلة الفارس والسلطان مع الرعية ، تصرف البدن في طوعها وحركه في إرادتها لا يملك عليها شيئا ولا يقدر على معاصاتها طرفة عين ، لما ملكها الله من أمره وبث من قواها فيه، وهي يعبر عنها الشرع تارة بالروح ، وتارة بالقلب وتارة بالعقل، وتارة، أخرى بالنفس (٤) . ومن خلال ما سبق ذكره يمكن إبراز علاقة القيم بالطبيعة الإنسانية كأساس لها فيما يأتي:

١ - أن الطبيعة الإنسانية من حيث الأساس كقوى واستعدادات مختلفة ، ومتغايرة ومتطورة من حيث تقبل التوجيه والتنمية والتحديث نحو الخير والشر، وعلى هذا فإن الخير والشر من حيث المفهوم العملي ليسا متأصلين في هذه الطبيعة (٥) . وإن كان الإنسان أقرب بأصل فطرته إلى

-(١) سورة السجدة ، من الآية ٧ .

-(٢) سورة السجدة ، من الآية ٩ .

-(٣) سورة الحجر ، الآيات ٢٨ - ٢٩ .

-(٤) ينظر ، بن خلدون: عبد الرحمن، شفاء السائل لتهديب المسائل ،، ص ١٨ - ١٩ .

-(٥) ينظر ، يلجن : مقدار، الإتجاه الأخلاقي في الإسلام، ص ١٩ .

الخير . بل إنها قابلة لهذا أو ذاك وذلك بفعل المؤثرات الخارجية التي من شأنها أن تؤثر في توجه الإنسان الخلقى ، ومن هنا يأتي دور القيم لتهديب الطبيعة الإنسانية وتربيتها وتوجيهها صوب السلوك اللائق بها ^(١) .

٢ - إنَّ القيم الإسلامية لا تدعو إلى استئصال الغرائز ومحاربتها والوقوف في وجهها بل تدعو للمحافظة على تلك الغرائز والعمل على تنميتها وتوجيهها بحيث تتلاءم وتتوافق مع مقتضيات دين الإسلام ، وتسلك من خلاله طريق الخير ، وتأخذ حقها بطريق مشروع ولا تطغى أو تتعدى على حقوق غيرها.

٣ - إنَّ القيم الإسلامية أقيمت على أساس إمكانيات الإنسان الطبيعية ، فلم تعمل على تكليف الإنسان بما لا يطيق ، أو ليس له قدرة عليه ، يقول تعالى ، ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٢) . كما لم يحرم عليه أي غريزة من الغرائز الإنسانية الفطرية الأساسية لتحقيق مطالبه وإشباع حاجاته ورغباته المشروعة ^(٣) .

ج - أساس حرية الإرادة في الإنسان : ومعنى الحرية في لغة العرب : أنها من الحر بالضم ؛ أي نقيض العبد وخلاف الرق ، والجمع أحرار ، وحرار ، والحرّة : نقيضة الأمة ، والجمع حرائر ^(٤) . وقيل : أن الحرية ضربان :

الأول : من لم يجبر عليه حكم الشيء ،

الثاني : من لم تملكه الصفات الذميمة من الحرص على المُقتنيات الدنيوية وإلى العبودية ^(٥) .

والحرية اصطلاحاً : " هي إرادة الإنسان ؛ وقدرته على ألا يكون عبداً لغير الله " ^(٦) .

وأما مفهوم حرية الإنسان في الإسلام فأن الإنسان يُعد حراً مُختاراً مريداً في دائرة تصرفاته جميعها فهو مخلوق محرر ، والحرية حق ضروري من ضروريات حياته من حقوقه الطبيعية ، بل شيء يتميز به عن جميع المخلوقات المحكومة بغرائزها ؛ وهذه الحرية هي حجر الأساس في

(١)- ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب ، ص ٨٩ .

(٢)- سورة البقرة ، من الآية ٢٨٦ .

(٣)- ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب، ص ٨٩ .

(٤)- ينظر ، ابن منظور ، لسان العرب ، ، ١٠ / ٢٣٤ .

(٥)- ينظر ، الأصفهاني : الراغب ، المفردات في غريب القرآن ، ١ / ١٤٦ .

(٦)- طبليّة : القطب محمد القطب ، الإسلام وحقوق الإنسان ، (دراسة مقارنة)، ص ٣٣٢ . وينظر ،

الطريفي : عبدالله إبراهيم، الحكومة الإسلامية، ص ٢٢٤ .

تقييم أعمال الفرد ، سواء من الناحية العقيدية أو العملية ، وبهذا فإن الإنسان حر في اعتناق دينه ، حر في إبداء رأيه ، وحر في تصرفاته الإجتماعية حسب ضوابط الشرع الحنيف (١) .

ح - أساس الشعور بالمسؤولية :

وأساس المسؤولية إنما : هو أساس الإرادة السليمة الحرة ، والمقدرة على تنفيذ الاختيار، وذلك لأن العدالة تقتضي وجود المسؤولية المترتبة على وجود الحرية ، وأن الانسان مسؤول عن كل عمل يصدر منه أو يقوم به وحده أو . يشترك به مع غيره . أو يكون سببا في وقوع هذا العمل من خلال الحض عليه أو الرضى به ، مادام عمله بإرادته واختياره. ويتبين من هذا أن الارادة أنها هي أساس المسؤولية (٢) . كما أن أساس المسؤولية شعور الشخص المسؤول بأهليته لتحمل الأعباء ، وقدرته على الالتزام بواجباته الأخلاقية ؛ وتحمل نتائجها . وأنه لا يمكن للمرء أن يكون ملتزما بالقيم متمثلا بها في واقع حياته ما لم يكن عن شعور عام بالمسؤولية ولهذا كان هذا الموضوع جديرا بجعله أساسا من أسس القيم (٣).

خ - الأساس الجزائي :

هو ما يترتب على عمل الإنسان المسؤول من مثوبة في الخير وعقوبة في الشر (٤). ومن هذا يتضح أن الجزاء هو نتيجة طبيعية لتحمل الإنسان المسؤولية الملقاة على عاتقه ؛ وإذا أفترضنا بعدم وجود جزاء لتجرد فعل الإنسان وعمله من الثواب والعقاب ، وهذا سيؤثر سلبا على القيم ، وعلى هذا فإن الجزاء أساس للقيم وذاك لما له من أهمية بالغة في دفع الإنسان في الالتزام بها وزجره عن فعل الرذائل والمنكرات ، ولما ينطوي عليه الجزاء من عقوبات رادعة وممانعة ، وذلك لأن العدالة تقتضيه وتجعل للقيم بذلك معنى وقيمة (٥) .

ثانيا : الأسس في الفكر الغربي

تقوم القيم في الفكر الغربي المعاصر على أسس اتخذها الغربيون وهذه الأسس

(١)- ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢)- ينظر، عبد العال: حمدي، الأخلاق ومعياريها بين الوضعية والدين ،، ص ٢٩ - ٣٠ .

(٣)- ينظر ، عليان: أحمد، الأخلاق في الشريعة الإسلامية ، ص ٧٥ .

(٤)- ينظر، الجنزوري : سمير، الأسس العامة لقانون العقوبات مقارناً بأحكام الشريعة ، ص ١٠٣ .

(٥)- ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب ، ص ١٠٨ .

هي : (العقل ، المنفعة (اللذة أو السعادة) ، المادة) وهذه الأسس قد اتسمت بالتذبذب والتناقض والتغير ؛ وهذا التذبذب والتناقض والتغير حاصل نتيجةً لابتعاد الفكر الغربي عن نور الوحي الإلهي المُنزَّل من الخالق تبارك وتعالى ؛ الذي يعلم حقيقة النفس البشرية وما تحتاج إليه وما يصلح به شأنها ، وبهذا فقد أرسل الله سبحانه وتعالى رسالات وبعث الرسل لهداية الإنسانية إلى طريق الحق والسداد ، والتي كان آخرها رسالة محمد (صل الله عليه واله وسلم) للعالم أجمع ألا أن الفكر الغربي نأى عنها ولم يرضها ديناً وتفرق ، فمنهم من بقي على النصرانية ومنهم اتخذ الإلحاد وأصبح مُلحدًا وصير من اللادين طريقاً له وسبيلاً^(١) . ومع اختلاف في نظرتهم لتلك الأسس، وعدم اجتماعهم على أسس موحدة تجمع الفكر الغربي في بوتقة فكرية واحدة^(٢) .

أولاً : السبب في اعتماد الفكر الغربي على أن العقل أساس من أسس القيم سيادة العقل أو ما يُسمى بعصر التنوير : حيث كان ظهور هذا الاتجاه ردة فعل مباشرة لفقدان الثقة في الكنيسة التي كانت تعتبر نفسها مصدراً وحيداً للمعرفة ، وقد سميت هذه المرحلة بعصر التنوير، وكان ظهورها في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، ويغلب على الفكر العقلي في هذه الفترة تحديداً مضادة الدين ومناوئته له ، ويرجع ذلك إلى معاداة الكنيسة للعلم واضطهادها للعلماء ، واعتبار كل كشف علمي ؛ وإن كان صحيحاً يُعتبر كفراً وزندقة^(٣) .

ثانياً : المنفعة : (اللذة أو السعادة) ، وهي : الأساس الثاني : وقُبيل الحديث عن الأساس الثاني من أسس القيم في الفكر الغربي المعاصر، فإنه من المناسب بيان مفردات هذا الأساس ، وهي كما يأتي :

والمنفعة : مذهب يقام على أساس أن اللذة هي الغرض الوحيد الذي تسعى إليه رغبات الإنسان ؛ وظهر الإتجاه النفعي في الفلسفة الغربية المعاصرة في القرن الثامن عشر الميلادي وتغلغل في شتى مجالات المعرفة البشرية وهيمن على التفكير العلمي في القرن العشرين^(٤) . ويرى أصحاب هذا المذهب إن القيم تقوم على مبدأ المنفعة سواء أكانت فردية أم عامة ، وإن جوهر الفضائل

(١)- ينظر ، المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب ، ص ١١٧ .

(٢)- ينظر ، الطويل : توفيق، فلسفة الاخلاق (نشأتها وتطورها)، ص ٢٩٤ .

(٣)- ينظر ، المطعني: عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الإيدلوجيات المعاصرة، ص ٧٠ - ٧٤ .

(٤)- ينظر ، الطويل : توفيق ، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق ، ص ٢٥ - ٢٧ - ٨١ - ٢٩٥ .

نابع من هذا المبدأ وأن المنفعة هي الغاية القصوى المرغوب فيها عامة للفعل الإنساني والتي تسعى إليها القيم النفعية في المجتمع الغربي المعاصر ^(١).

الأساس الثالث : المادة

ويُراد بها المادية أو مذهب (أصالة المادة) أي بمعنى : اعتقاد للواقع المادي الموضوعي الخارجي المحسوس في مقابل النظر إليها كأمر فرضي ذهني من قبل المثالية ؛ والمثالية وهي : مذهب فلسفي يعتبر الفكر أو العقل سابقاً على المادة سواء في الوجود أو المعرفة أو القيم، وأن وجود الأشياء مرهون بإدراكها من قبل العقل أو الفكر ، وأن ما لا يدركه العقل أو الفكر يُعد معدوم ^(٢) .

ولعل من أبرز الأسباب التي دفعت المفكرين الغربيين إلى اتخاذ المذهب المادي مصدراً وحيداً للعلم والمعرفة يرجع إلى فشل الكنيسة وإخفاقها في تقديم تفسير صحيح للعلم والمعرفة ، وانحطاط المعرفة التي كانت تتبناها وتدعي بها طوال فترة سيادتها ؛ ما دفع بالكثير من العلماء والطبعيين إلى مهاجمة الكنيسة وعدم المعرفة المحصورة فيها ^(٣) . ومن الأسباب أيضاً ؛ فشل الفلسفة العقلية وإفلاسها في إبعاد التوجيه الكنسي كلية عن الإنسان وتنظيم الجماعة الإنسانية على هذا الأساس ^(٤) .

بالتالي تكون نظرة الفكر الغربي إلى المادة كأحد أسس القيم :

أ . مادية الكون وينتج عنها (لا صانع له ، لا نهاية له ، وجد صدفة ، قديم لا بداية له ، الموت نهاية كل حي)

ب . بناء نظام اجتماعي مادي وينتج عنه الغاء القيم (الروحية ، والدينية ، النفسية)

ت . انكار غائية الكون وينتج عنه (خلق لغاية مقصودة)

ث . العمل الإنساني يحركه الجسد ولا دور لتوجهات الخلقية والروحية ، من هذه الصورة تكون النظرة المادية الى الدين والقيم ومقومات الافراد انها نسبية متغيرة .

- ^(١) ينظر ، عبد الرحيم : سامية عبدالرحمن القيمة الأخلاقية ، ص ٩٧ .

- ^(٢) ينظر ، مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، ص ١٩٦ . وينظر ، الكردي : راجع عبد الحميد ، نظرية المعرفة بين التراث والفلسفة ، ص ٢٤٣ - ٢٤٤ .

- ^(٣) ينظر عثمان : محمود ، الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه ، ص ٨١

- ^(٤) ينظر ، البهي : محمد ، الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٢٦٦ .

ج.- أن الفلسفة المادية جعلت القواعد والنظم التي انشأتها تعارض القيم الثابتة للدول والمجتمعات ، مثل القيم الصادرة من عمق الدين ومصادقيه الوحي التي تتسجم مع العقل والفطرة .

ح . يكون تعامل الإنسان تعامل المادة الصلبة ومصدرها ؛ فقد افترضوا الإنسان مادة والنفس مادة ، واستهزئوا بجميع القيم والمثل وجعلوا الحقيقة التي لا غيرها في القيمة المادية ^(١) .

(١)- ينظر ، شبيب: محمد نجاح، الشرائع والاخلاق بين الحضارة والانحطاط، ص ١٣٦. ١٦٧.

البحث الثالث

الدعوة السرية.. مفهومها.. أهميتها.. مراحلها.. صورها

المطلب الأول : ماهية الدعوة وأهميتها

المطلب الثاني : مراحل الدعوة السرية

المطلب الثالث : صور الدعوة السرية ومميزاتها

تُعد مرحلة الدعوة السرية من أهم مراحل التاريخ الإسلامي كونها كانت بداية الدين الإسلامي، وتمثل أول نزول للوحي على النبي محمد (صل الله عليه وعلى آله وسلم) ، إضافة إلى ذلك تمثلت هذه المرحلة بترسيخ القيم الإسلامية في نفوس الناس وابعاد الصفات الجاهلية التي كانوا يتصفون بها .

فكان لابد من دراسة مرحلة الدعوة السرية بما تتضمنه من أهمية كبيرة ، فتناولنا فيها تعريفها وأهميتها ، ثم بينا مراحلها التي مرت بها، ثم انتهينا بسور هذه الدعوة ومميزاتها .

المطلب الأول : ماهية الدعوة وأهميتها

للدعوة مفاهيم عدة في اللغة العربية قد ذكرها علماء اللغة ودونوها في معاجمهم ومنها ما يأتي :
أولاً : ماهية الدعوة

١- الدَّعوة لُغَةً : الدال والعين والحرف المُعْتَل أصل واحدٌ وهو أن تميل الشَّيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك ^(١) . والدَّعوة : المرّة الواحدة وهي من الدَّعاء ، ودعا الرَّجل دعواً ودُعاءً ؛ أي : ناداه . والاسم : الدعوة أي دعوت فلاناً ؛ أي : صحت به واستدعيته ، ودعوت الله له وعليه دعاءً ، والدُّعاة : قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة ، واحدهم داعٍ ، ورجلٌ داعية : إذا كان يدعو النَّاس إلى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ^(٢) .

٢- الدعوة اصطلاحاً : فقد قيل في تعريفها ، بأنها الدعوة إلى الله والمقصود بالدعوة إلى الله الدعوة إلى دينه وهو الإسلام ^(٣) .
وقيل : أنها حث الناس على الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة الدارين ^(٤) .

٣- الدعوة السرية : ويقصد بها المرحلة الأولى من دعوة النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) إلى عبادة الله تعالى وترك عبادة الأوثان ، وسُميت بالسرية لأنها اتسمت بالسرية التامة في دعوة الناس حيث بدأ رسولنا الكريم بدعوة المقربين منه وكان أول من دعاهم وآمن به هو خديجة (رضي الله عنها) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(٥)

- ^(١) ينظر ، بن زكريا : أحمد أبْن فارس (٣٩٥ هـ) ، المقاييس اللغة ، مكتبة الإعلام الإسمي ، ١٤٠٤ هـ ، د. ط ، ٢ / ٢٧٩ ، (باب دعو)

- ^(٢) ينظر ، ابن منظور (٧١١ هـ) : لسان العرب ، ، ١٤ / ٢٥٨ - ٢٥٩ ، (فصل الخاء المعجمة)

- ^(٣) ينظر ، زيدان : عبد الكريم ، أصول الدعوة ، ص ٥ .

- ^(٤) ينظر ، محفوظ : علي ، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، ص ١٧ .

- ^(٥) ينظر ، نامق : صلاح الدين ، الدعوة السرية وفقهها ، ص ١٧٥ .

ثانيا : أهمية الدعوة

١- للدعوة إلى الله أهمية عظيمة ؛ ذلك لأنها تبليغ دين الله تعالى وإيصال كلمته تعالى للناس ، يقول : جل وعلا ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(١) . وذلك بأخبارهم بما أَهْلِكَ من القرون فيخافوا أن ينزل بهم ما نزل بمن كان قبلهم ، وقيل أن أصل التوصيل ؛ هو كمن وصل الحبال بعضها ببعض^(٢) . فلولا الدعوة إلى الله لما قام دين ، ولا انتشر إسلام ، ولولاها لما اهتدى عبد ، ولما عُبِدَ الله ولما دُعِيَ إليه ومن أَمَعِنَ النظر؛ أيقن أن الدعوة إلى الله حياة الأديان ، وأنه ما قام دين من الديانات ، ولا انتشر مذهب من المذاهب ، ولا ثبت مبدأ من المبادئ إلا بالدعوة ، وما تداعت أركان ملة بعد قيامها، ولا درست رسوم طريقة بعد ارتفاع أعلامها، ولا تلاشت نزعة من النزعات بعد إحكامها، إلا بترك أمر الدعوة ، فبالدعوة إلى الله تعالى يُعبد الله وحده، ويهتدي الناس ، فيتعلمون أمور دينهم ، من توحيد ربهم ، وعبادته، وأحكامه من حلال وحرام ، ويتعلمون حدود ما أنزل الله ، وبالدعوة إلى الله تعالى : تستقيم معاملات الناس ؛ من بيع وشراء وعقود ونكاح ، و بالدعوة تصلح أحوالهم الاجتماعية والأسرية ، تتحسن أخلاقهم ، وتقل خلافاتهم ، وتزول أحقادهم وضغائنهم وتقل أذية بعضهم لبعض^(٣)

٢- كما وتبرز أهمية الدعوة إلى الله في صفاء عقيدتها، وكمال شريعتها ، وسمو أخلاقها، ورفعة توجيهاتها. والناس مفتقرون إلى هذه الدعوة العظيمة لدلائلهم على فعل الخير، وتنشيتهم على شريعة الرشد، وتأسيس التوحيد في أفئدتهم ، وغرس الإيمان في عقولهم ، وتنمية الفضائل في مسالكهم ، ونزع الرذائل من طرقهم^(٤) .

٣- والمتأمل في أحوال المجتمعات البشرية المعاصرة يدرك تماماً أهمية الدعوة وحاجة الناس إليها وذلك لعملها في معالجة الانحرافات والإنتهاكات والعيوب والتناقضات مثل ؛ فشو الشرك وشيوع الإلحاد وإهدار القيم الروحية ما تسبب عنه أضمحلال الأخلاق ونضوب

(١) سورة القصص ، الآية ٥١ .

(٢) ينظر، الطوسي: محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠ هـ) التبيان في تفسير القرآن ، ٨ / ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) ينظر ، محفوظ : علي، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، ص ١٤ .

(٤) ينظر، المغذوي : عبد الرحيم بن محمد، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، ص ٥٢ .

معين الفضائل وهذا بعين الحال لا يتم إصلاحه إلا عن طريق دعوة الناس إلى أتباع دين الحق وما جاءت به الرُّسل من عند ربها وإلا فلن يتم إصلاح واقعهم ولن تُحل مشاكلهم وسيبقون تحت حكم الضياع والتيه والغواية^(١)

المطلب الثاني : مراحل الدعوة السرية

اختلف العلماء في بيان عدد مراحل الدعوة على عدد من مراحلها ، كما سنوضحها في هذا المطلب .

بدأت الدعوة السرية بُعيدَ نزول آيات سورة المدثر وقد أخذ رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) يدعو إلى الله وإلى الإسلام سرا، وكان بديهيًّا أن يبدأ بدعوة أهل بيته عليهم السلام وأصدقائه وأقرب الناس إليه وكان أول من آمن بدعوته به من النساء زوجته السيدة " خديجة رضي الله عنها " ، ومن امن به من الرجال " أبو بكر الصديق " ، وكان أول من آمن به ابن عمه " علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وكانت سنة حينَ ذاك عشر سنين على أرجح الأقوال ؛ وقيل أن إيمان عليّ جاء بعد إيمانُ خديجة^(٢) . ثم تلاه إسلام " زيد بن حارثة "^(٣)، وهو أول من امن به من الموالي ، ثم تبعه إسلام " بلال بن رباح الحبشي "^(٤)، وهو أول من آمن به من العبيد ، وكذلك سارع إلى الإسلام بنات النبي اللاتي كانا في كنفه وهن رباب ونسب إلى أنهن بناته لتربيته لهن صلى الله عليه وسلم ، لأنه لا شك في تمسكهن به قبل البعثة بما كان عليه أبوهن من الاستقامة والتنزّه عما كان يفعله أهل الجاهلية ؛ من عبادة الأوثان والوقوع في

(١) - ينظر ، سيد سابق ، دعوة الإسلام، ص ٢٣ .

(٢) - ينظر ، الزهري: محمد بن سعد بن منيع، الطبقات الكبير ٣ / ٢٠ .

(٣) - زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي ، مولى خديجة بنت خويلد فوهيته لرسول الله فأعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة بن زيد. ينظر ، المصدر السابق ، ص ٨ / ١٧٩ .

(٤) - بلال بن رباح الحبشي هو مولى أبي بكر ويكنى أبا عبد الله ، وكان من مُولدى السراة واسم أمه حَمَامَةُ ، وكان بلال بن رباح من المستضعفين من المؤمنين وكان يعدَّب حين أسلم ليرجع عن دينه، فما أعطاهم قطَّ كلمة ممّا يريدون . ينظر المصدر السابق ، ٣ / ٢١٣ .

الآثام ، وفي اقتدائهن بأمرهن في المسارعة إلى الإيمان ^(١) وأما المسار الذي أتخذته هذه الدعوة كان يمثل مساراً سرياً بعيداً عن جاذبية المجتمع الضاغطة على المبادئ ، ولهذا السبب كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يتخير الأشخاص قُبيل أن يدعواهم لينأى بنفسه عن الضغط الاجتماعي ، وبهذه الطريقة نجحت الدعوة وتسربت مبادئها إلى المجتمع مثل شعاع النور وحلت محل الظلام رويداً رويداً ^(٢) .. وقد قيل : أن الإستخفاء كان في دار الأرقم بن أبي الأرقم ^(٣) . ولقد ثبت في هذه الفترة الدعوية أن أناساً كانوا يأتون النبي (صل الله عليه وآله وسلم) وهو مستخفٍ ويسألونه عن دعوته وعما بعثه الله تعالى به ومنهم ؛ " عمرو بن عبسة السلمي " ^(٤) . إذ شرح الله صدره للإسلام فأسلم وذلك بعد سؤال النبي صل الله عليه وآله وسلم قائلاً : فمن تبعك على هذا ؟ فقال صل الله عليه وآله وسلم حرٌّ وعبدٌ ؛ وعنى بهم صل الله عليه وآله وسلم الصحابيَّان أبا بكر الصديق وبلال بن رباح ^(٥) .

مراحل الدعوة السرية :

بدأت الدعوة الإسلامية بمكة المكرمة بشكل سري وقيل أن مدتها ثلاث سنين ^(٦) . وقيل : أربع سنين ^(٧) . وقد قيل أيضاً في تحديدها بثلاث سنوات أو أربع ، بأنه لم يثبت ^(٨) . كما قيل : أن مرحلة الدعوة السرية مدتها سنتان ونصف ؛ وهكذا اختلفت الأقوال ^(٩) ، وقيل خمس سنوات ^(١٠) .

(١)- ينظر ، أبو شُهبة : محمد بن محمد بن سويلم (ت : ١٤٠٣ هـ) ، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ، ٢٨٤ / ١ .

(٢)- ينظر ، شلبي : رؤوف ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها ، ص ١٩٩ .

(٣)- ينظر ، أبو زهرة : محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد ، (ت : ١٣٩٤ هـ) ، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، ٢٨٧ / ١ .

(٤)- عمرو بن عبسة السلمي : ((هو : عمرو بن عبسة السلمي وكنيته أبو نجيح صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قديم الإسلام ، قدم مكة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ثم عاد إلى قومه ، وكان رابع أربعة أو خامس خمسة في الإسلام)) . ينظر ، المزي : جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبى ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ٢٢ / ١١٨ - ١١٩ .

(٥)- ينظر ، ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤ هـ) ، السيرة النبوية ، ١ / ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٦)- ينظر ، حوى : سعيد ، الأساس في السنة وفقها - السيرة النبوية ، ١ / ١٨٧ .

(٧)- ينظر : السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، د . أكرم

ضياء العمري ، الناشر : مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٤ م ، ط ١ ، ١

/ ١٣٢ .

١ - المرحلة الأولى : وكانت بداية هذه المرحلة بنزول سورة المدثر قال : تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ ^(٤) وبالتالي ((هذه المرحلة هي بمثابة تهيئة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمر للدعوة وتمهيداً لها)) ^(٥) . وقد اقتضى هذا الأمر بالصبر على أذى المدعوين وإنذاره لهم ^(٦) .

٢ - المرحلة الثانية : وفي هذه المرحلة نزل على نبينا (صل الله عليه وآله وسلم) جبريل وأخبره بقوله : تعالى حيث كلفه بالنهوض ، وببذل الجهد، والإنذار، والدعوة، والقيام بواجبات الرسالة ، وبذلك بدأ النبي (صل الله عليه وآله وسلم) أولى مراحل الدعوة التي استمرت حتى نزل قول : الله تعالى ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٧) ، وقد تمثلت بالخفية ودعوة الأقارب قال تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٨) .

وذلك لتكوين خلية الإسلام الأولى ، ولكن الأستخفاء في هذه الفترة لم يكن استخفاء بالدعوة بل كان صلى الله عليه وآله وسلم يعلن ما جاءه من نذير وتبشير ، ولكن الذي كان يعتمد على إخفائه هو إقامة الشعائر المتمثلة بالعبادة التي دعا إليها الله سبحانه وتعالى ، وإن مثل هذه الدعوة كمثّل الجنين في بطن أمه ، وإن الجهر بإعلان الدعوة لا يوصي به المشتغلون لأنه قد يُشكل خطراً على حياة الداعي ، ولأن الجهر يبددها قبل أن تتكون ، وأن سبب اختيار النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) الأقارب في هذه المرحلة بالتحديد هو لتوسمه فيهم بالإستجابة لدعوته ^(٩)

(١)- ينظر، العوشن: محمد بن عبد الله ، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص ٢٩ .

(٢)- ينظر ، غلوش : أحمد أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ، ص ٣٣٩ .

(٣) ينظر ، المجلسي : محمد باقر (ت: ١١١١ هـ) ، بحار الانوار، ١٨/ ١٧٧

(٤)- سورة المدثر ، آيات ١-٢ .

(٥)- شرف الدين : جعفر، الموسوعة القرآنية، خصائص السور ، ١٠ / ٣٠٦ .

(٦)- ينظر ، شرف الدين : جعفر، الموسوعة القرآنية، خصائص السور ، ١٠ / ٢١٧ .

(٧)- سورة الحجر، الآية ٩٤ .

(٨)- الشعراء ، الآية ٢١٤ .

(٩)- ينظر ، شلبي: رؤوف ، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي مناهجها وغاياتها ، ص ١٩٩ .

المطلب الثالث : سور الدعوة السرية ومميزاتها

تتبع البحث في كتب التفسير وعلوم القرآن بالبحث والمطالعة لإحصاء سور الدعوة السرية فوجد أنّ العلماء اختلفوا فيها لاختلاف الآراء والروايات ؛ فذكر صاحب كتاب (تطور القرآن التاريخي) ترتيب النزول المكي وقال فيه (وثمة خلافات بصدد التاريخ الدقيق لبعض السور ، ولايات من سور متباعدة ، غير أننا ، ولغايات عملية ، عملنا على ترتيبها الى الحد ما...)^(١) .

وعلى هذا الترتيب وجد بحث مستندا إليه إسمه (صور من حقوق الانسان في القرآن الكريم) مستخرج السور التي نزلت على الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) خلال الثلاثة سنوات من بعثته المباركة يبلغ الاحصاء فيها خمسون سوره ما بين كاملة وغير كاملة،^(٢) ووجد أيضا في كتاب (فهم القرآن الحكيم في ترتيب النزول) أن السور التي نزلت في الدعوة السرية تبلغ سبعة وعشرون سورة تبدأ من سورة العلق وتنتهي إلى سورة قريش^(٣))) وأيضاً بقية العلماء يذكرون بصور مختلفة أول ما نزل من القرآن دون تحديد^(٤) عددها في الفترة السرية ، وفي ظل هذا الاختلاف ولعدم وجود اتفاق بين العلماء في هذا الامر ، نظر البحث في أغلب الكتب التفسيرية وكتب علوم القرآن احصاء السور حسب الترتيب الزمني والذي اطلقوا عليه بالمكي والمدني اعتمادا على الروايات والنصوص التاريخية بأن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة ، وعبارة اطلقوا عليه لأن هذا المصطلح (المكي والمدني) لم يرد عن الرسول (صل الله عليه واله وسلم) إنما كان اجتهاد من علماء التفسير لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ.... وغيرها ، ويذكر السيد الطباطبائي في هذا الشأن بقوله : الطريقة الوحيدة لمعرفة المكي والمدني هو التدبر بالآيات والنظر في مدى موافقتها لما جرى قبل الهجرة أو بعدها هذه

(١) - سل : كانون ، تطور القرآن التاريخي ، ص ٧.

(٢) - ينظر ، باغستاني : محمد ، صور من حقوق الإنسان في القرآن الكريم ، ص ١٦ - ٢٦.

(٣) - الجابري : محمد عابد ، فهم القرآن الحكيم ، ص ١٩.

(٤) - ينظر ، اليعقوبي : أحمد (ت: ٢٨٤هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي ، ٣٣ / ٢ ؛ ابن النديم (٤٣٨هـ) ، الفهرست ، ص ٢٨ ؛ الزركشي ، بدر الدين (ت: ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن ، ١ / ٢٨٠ ؛ السيوطي : جلال الدين (ت: ٩١١هـ) الاتقان في علوم القرآن ، ص ٣٥.

الطريقة مفيدة إلى حد ما للتمييز بين المكي والمدني ، بهذا يختار السيد الطباطبائي سبيل القرآن والنظر في سياق الآية ولهجة الخطاب القرآني الموجه إلى الناس^(١) .

ورغم وجود اختلاف بينهم في بعض السور ولكنه طفيف استطاع البحث بعد النظر في الترتيب المكي البالغ عدد سوره ما بين (٨٦) او (٨٤) او (٨٢) على اختلاف في العدد ولكن اغلبها اتفقت على (٨٦) عددا ، ومن خلال بعض الدلائل والمؤشرات ، ومن الدلائل التي ارتأ البحث للوصول إلى هذا التحليل منها أن ترتيب الآيات كان توقيفي بأمر النبي (صل الله عليه واله وسلم) وأن أكثر السور في هذه الفترة كانت خطاب للنبي وهذا يدل على سرية الخطاب المنفرد بشخص النبي وأن كان المقصد منه خطاب للجميع ، وأيضا الأسلوب التي تضمنته السور والآيات وكذا الإيجاز القصر بالسور وأيضا السور والآيات تغلب عليها ترسيخ الإيمان بالله وثبات توحيده وعبادته واستخدام الاخلاق الحميدة كمبدء سامي لبراز هويته ، وعلى هذا التحليل أحصى البحث سور الدعوة السرية البالغ عددها (٥٣) سوره من بين مجموع (٨٦) سورة من التنزيل المكي وما اتفق عليه العلماء من بعض السور في الدعوة السرية وبالأخص الكتابين التي اشترت اليهم من الاخذ بالمتفق عليه واستثناء السور المختلف فيها وكذلك لم نتطرق إلى ذكر الآيات التي قالوا عنها بأنها مدنية لأنها ليست في مجال البحث وجمعت على هذا الترتيب : (العلق ، القلم ، المزمل ، المدثر ، الفاتحة ، المسد ، التكوير ، الاعلى ، الليل ، الفجر ، الضحى ، الشرح ، العصر ، العاديات ، الكوثر ، التكاثر ، الماعون ، الكافرون ، الفيل ، الفلق ، الناس ، التوحيد ، النجم ، عبس ، القدر ، الشمس ، البروج ، التين ، قريش ، القارعة ، القيامة ، الهمزة ، المرسلات ، ق ، البلد ، الطارق ، القمر ، ص ، الاعراف ، الجن ، يس ، الفرقان ، فاطر ، مريم ، طه ، الواقعة ، الشعراء ، النمل ، القصص ، الاسراء ، يونس ، هود ، يوسف)

(٢)

(١) - ينظر ، الطباطبائي: محمد حسين (١٤٠٢ هـ) القرآن في الاسلام، ص ١٣٢ .

(٢) . ينظر ، الزركشي: بدر الدين (٧٩٤ هـ) ، البرهان ، ٢٨٠/١ ؛ السيوطي: جلال الدين (ت: ٩١١ هـ)، الاتقان ، ص ٣٥ ؛ الحسنی : نذیر ، دروس في علوم القرآن ، ص ١٠١ ؛ ، الحلو : خالد المفيد في علوم القرآن، ص ٤٨ .

ثم استند البحث على ذلك بأن سورة الحجر التي يكون ترتيبها ٥٤ بالمكي وجود آية الاعلان والصدع والجهر بالدعوة إلى الله في قوله تعالى ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) تعتبر هذه الآية الحد الفاصل بين سور الدعوة السرية والعلنية ((دخل النبي صل الله عليه وآله وسلم منزله فأغلق عليه بابه مغتما لقولهم فأتاه جبرئيل عليه السلام عن الله من ساعته فقال يا محمد السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين يعني أظهر أمرك لأهل مكة وادعهم إلى الأيمان قال يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدونى قال له إنا كفيناك المستهزئين قال يا جبرئيل كانوا الساعة بين يدي قال قد كفيتهم فأظهر أمره عند ذلك.))^(٢)

ونقل هاشم البحراني ما يؤكد ذلك ((ابن بابويه ، قال : حدثنا محمد بن الحسن ، قال : حدثنا سعد بن عبد الله ، ومحمد بن الحسن الصفار جميعا ، قالوا : حدثنا محمد بن الحسين بن أبي الخطاب ومحمد بن عيسى بن عبيد ، قالوا : حدثنا صفوان بن يحيى ، عن عبد الله بن مسكان ، عن محمد بن علي الحلبي ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « اكنتم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بمكة مختفيا خائفا خمس سنين ، ليس يظهر أمره ، وعلي (عليه السلام) معه وخديجة ، ثم أمره الله عز وجل أن يصدع بما امر به ، فظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأظهر أمره))^(٣)

فأمر الله تعالى بأن يعلن دعوته اليه مستخدما الحجة والبرهان وأن لا يبالي بأحد^(٤) فبعد الدعوة السرية التي اكنتمها الرسول محمد (صل الله عليه وآله) جاء الأمر له بالانتقال إلى الدعوة الثانية وهي الدعوة العلنية وهذه الآية تؤكد ذلك ((وتشتمل السورة على قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين الخ والآية تقبل الانطباق على ما ضبطه التاريخ أن النبي صل الله عليه وآله وسلم اكنتم في أول البعثة ثلاث سنين أو أربعاً أو خمسا لا يعلن دعوته لاشتداد الامر عليه فكان لا يدعو الا آحادا ممن يرجو منهم الايمان يدعوهم خفية ويسر إليهم الدعوة حتى اذن

(١). سورة الحجر ، الآية ٩٤ .

(٢)-الكاشاني: الفيض (ت : ١٠٩١ هـ) التفسير الصافي ، ٣/ ١٢٤.

(٣) - البحراني : هاشم: البرهان في تفسير القرآن، ٣ / ٣٨٩.

(٤)- ينظر، مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف، ٤ / ٤٩١.

له ربه في ذلك وأمره أن يعلن دعوته . وتؤيده الروايات المأثورة من طرق الشيعة وأهل السنة إنّه صلى الله عليه وآله وسلم كان يكتتم في أول بعثته سنين لا يظهر فيها دعوته لعامة الناس حتى أنزل الله تعالى عليه : " فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين " فخرج إلى الناس وظهر الدعوة وعليه فالسورة مكية نازلة في أول الدعوة العلنية ((^(١)) فأخبرت الآية عن ظهور دعوة النبي صل الله عليه وآله وسلم ونصرة الله له ، وخذلانه للمشركين الذين ناوأوه واستهزأوا بنبوته ، واستخفوا بأمره . وكان هذا الاخبار في زمان لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انحطاط شوكة قريش ، وانكسار سلطانهم ، وظهور النبي صل الله عليه وآله وسلم عليهم^(٢)

مميزات الدعوة : يمكن أن نقول إنّ ما ميز فترة الدعوة هو مجموعة من المميزات ما يأتي : -

- ١ - من الخصائص المهمة لهذه المرحلة هو إثبات أصول العقيدة عند المسلمين^(٣)
- ٢ - تتميز سور هذه الدعوة بالإيجاز على عكس سور الدعوة المدنية : ((والغالب في السور المكية الإيجاز كما أن الغالب في السور المدنية الاطناب))^(٤).
- ٣ - أنّ القسم المكي عالج بشكل أساسي مبادئ الشرك والوثنية ، وأسسها النفسية والفكرية ، ومؤداها الأخلاقي والاجتماعي .
- ٤ - وإلى جانب ذلك تحدث عن الأخلاق بمفاهيمها العامة ، مع ملاحظة مصاديقها الخارجية والجانب التطبيقي منها في المجتمع وحذر من الانحراف ، وذلك مثل الكفر والعصيان والجهل والعدوان والكبر وسفك الدماء ووأد البنات واستباحة الاعراض وأكل أموال اليتامى ونقص الموازين وقطيعة الأرحام ، إلى غير ذلك من موارد الطغيان والهوى

(١) - الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٩٦/١٢ .

(٢) - الخوئي : عبد المجيد (ت : ١٤١٣ هـ) البيان في تفسير القرآن ، ص ٦٩ .

(٣) ينظر ، مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ١٢٩/٤ .

(٤) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، القرظن في الإسلام ، ص ١٢٢ .

٤ - وقد تحدث عن قصص الأنبياء والرسل والمواقف المختلفة التي كانوا يواجهونها من قبل أقوامهم وأممهم في معركة الايمان والكفر ، وما يستتبط من ذلك من العبر والمواظ (١) .

(١) الحكيم : محمد باقر (ت: ١٤٢٥ هـ) ، علوم القرآن ، ص ٩١-٩٢ .

الفصل الأول

القيم الإنسانية المقائدية في سور الدعوة السرية

المبحث الأول : القيم المقائدية وأهميتها في سور الدعوة السرية

المبحث الثاني : قيمة الإيمان في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث : قيمة التوحيد في سور الدعوة السرية

المبحث الرابع : قيمة العبادة في سور الدعوة السرية

توطئة :

بعد نزول الوحي على نبينا محمد (صل الله عليه واله وسلم) وبدأ الرسالة الإسلامية السامية أهتم القرآن الكريم بإنقاذ الناس من العقائد المنحرفة التي كانوا يعتقدونها والتي لا تنفعهم ولا تضرهم أيضاً ، فأوجب على الناس مجموعة من العقائد وترك ما كانوا يعبدونه ، وأكد على أنه ليس هناك إلهاً غير الله تعالى ، فكانت هذه العقائد هي أساس المسلم وهي الشرط الموصل إلى رضاه سبحانه تعالى ، فأوجب الإيمان بالله تعالى ورسله وكتبه وملائكته وبالإمامة والمعاد ، فمن ترك أصلاً من هذه الأصول عُدَّ كافراً بالله تعالى واستحق نار جهنم في الآخرة ، ونرى تلك الأهمية من خلال السور الكثيرة التي بينت ذلك .

ومن جهة أخرى فقد أهتم الإسلام اهتماماً كبيراً في إعداد المسلمين إعداداً جيداً من أجل أن يكونوا القدوة الحسنة والمثال الحسن لغيرهم من الناس ، فأوجب الله تعالى على المسلمين الالتزام بالقيم الإنسانية والتعامل على أساسها ، خاصة وأنَّ الناس كانوا قد خرجوا حديثاً من عصر يسمى بالجاهلية إذ كانت أغلب هذه القيم غير موجودة وغير معمول بها .

ففي هذا الفصل سنبين بعونه تعالى أهمية العقائد والقيم الإنسانية التي جاءت بها سور الدعوة السرية ، وما يحدد المباحث في هذا الفصل هو ما تطرقت إليه السور والآيات التي هي مدار عنوان الرسالة ، وقد اقتضى ترتيبها بحسب أهميتها ، وسعة الآيات الواردة عنها.

المبحث الأول : التقييم العقيدية وأهميتها وعلاقتها بالتقييم الانسانية

المطلب الأول : مفهوم العقيدة وعلاقتها بالشريعة

المطلب الثاني : أهمية العقيدة

المطلب الثالث : علاقة المبادئ بالتقييم الإنسانية

توطئة :

كل إنسان في الدنيا لابد أن تكون لديه عقيدة يعمل ويتحدث على أساسها ، فالعقائد هي الموجه الرئيس للإنسان وتُبنى سلوكياته على أساسها ، لهذا وضع الإسلام عقائد الإنسان المسلم وحددها ورصنها بحيث تكون مفيدة للإنسان في حياته غير ضارة له ، بل كانت من أهم الأمور التي جاء بها الإسلام حتى عُدَّت هذه العقائد هي ما تُميز المسلم عن غيره ، وكانت شرطاً أساسياً من شروط دخول الجنة في الآخرة .

ففي هذا المبحث سنتناول العقائد وأهميتها في المجتمع الإسلامي ومالها من علاقة وثيقة مع القيم الإنسانية مستعينين بالآيات الخاصة في سور الدعوة السرية .

المطلب الأول : مفهوم العقيدة وعلاقتها بالشرعية

أولاً: العقيدة لغة:

- ١- عرفها الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) ((عقد: الأَعْقَادُ والعُقُود: جماعة عَقْدِ البناء. وعُقْدَةُ كُلِّ شَيْءٍ: إِبْرَامُهُ. وَعَقْدُ اليمين: أَنْ يَحْلِفَ يَمِينًا لَا لَعْوَ فِيهَا وَلَا اسْتِثْنَاءَ فَيَجِبُ عَلَيْهِ الْوَفَاءُ بِهَا، قَالَ تَعَالَى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾^(١) وَعُقْدَةُ كُلِّ شَيْءٍ: إِبْرَامُهُ. وَعُقْدَةُ النَّكَاحِ: وَجُوبُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾^(٢). وَعُقْدَةُ الْبَيْعِ: وَجُوبُهُ. وَاعْتَقَدَ الشَّيْءُ: صَلَبَ. وَاعْتَقَدَ الْإِخَاءُ وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَهُمَا: أَيِ ثَبَتَ^(٣).
 - ٢- وقال ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) : ((كذلك فإن العين، والقاف، والذال، أصل واحد يدل على شدّ وشدّة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها))^(٤)
 - ٣- وقال الفيروز آبادي (ت: ٨١٧ هـ) ((وعقد الحبل، والبيع، والعهد يعقده: شدّه. واعتقد الشيء: اشتدّ، وصلّب، يقال: اعتقد الإخاء بينهما: صدّق، وثبت، وعقد فلان الأمر: صدّقه، وعقد عليه قلبه، وضميره. والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده^(٥).
- وخلاصة المعنى المعجمي للعقيدة أنها الالتزام والاثبات والوثوق بالحكم الذي لا يقبل الشك .

ثانياً العقيدة اصطلاحاً : أن مفهوم العقيدة فيه معنيين

- ١- معنى عام : عرفها الشريف المرتضى (ت : ٤٣٦ هـ) : ((عقد القلب على ثبوت أمر أو نفيه))^(٦) فالإعتقاد من الأعراض النفسانية التي تدفع العاقل إلى تصوره والاعتقاد به

(١) سورة المائدة، من الآية ١.

(٢) سورة المائدة، من الآية ٨٩.

(٣) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ١ (ت: ١٧٥هـ) ، العين ، ١/١٤٠ ، (باب العين والقاف والذال).

(٤) بن زكرياء : أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، مقاييس اللغة ، ٨٦/٤ ، (مادة عقد).

(٥) الفيروزآبادي : محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،، ص ٣٨٣؛ والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٦١٤/٢.

(٦) الشريف المرتضى : علي بن الحسين ، رسائل الشريف المرتضى . ، ٢/٢٦٣.

و إلى التصديق الجازم به ^(١) فهو الأمر الذي يصدق به قلوب الناس وتطمئن له نفوسهم صدقاً واطمئناناً يقينياً بدون أي شك ^(٢) وهناك من عرفه على أنه ((مجموعة القضايا البديهية المسلّمة بالعقل . والفطرة . يعقد عليها الإنسان قلبه ، ويثني عليها صدره جازماً بصحتها . قاطعاً بوجودها وثبوتها ، لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبداً)) ^(٣)

٢- معنى إسلامي خاص : وهي عبارة عن الإعتقاد أو الجزم بوجود المبدأ الأعلى وصفاته والرسول والمعاد وما يتفرع على ذلك ، ، وهو المعبر عنه في اصطلاح المتكلمين (أصول الدين) ، وفي الفلسفة الحديثة بـ (الرؤية الكونية) ^(٤) وهو تمام الإيمان بالله تعالى ، أي الجزم بألوهيته وربوبيته وصفاته ، وكذا الحال بالنسبة إلى ملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر والقدر خيره وشره ، وأيضاً الإيمان فيما ورد من القرآن الكريم والسنة النبوية ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ولرسوله بالطاعة والتحكيم والإتباع ^(٥) فهي : ((مجموعة الأمور الدينية التي يجب على المسلم أن يصدق بها قلبه ، وتطمئن إليها نفسه ، وتكون عنده يقيناً لا يمازجه شك ، ولا يخالطه ريب)) ^(٦)

فإنه لا بد أن يشتمل تعريفها على ما يلي:

١- التصديق الجازم فيما يجب لله عز وجل من الوحدانية، والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا.

٢- تصميم القلب، والإعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به، والمطالب الإلهية: الإيمان بالله في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه وصفاته.

(١) ينظر ، المقداد: فاضل، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد، ص ٤٢.

(٢) ينظر ، سعد الدين: صالح ، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ، ص ١٤.

(٣) الجزائري: ابو بكر، عقيدة المؤمن، ص ١٨.

(٤) الخزرجي : صفاء الدين، العلاقة بين العقيدة والسلوك عقيدة الإرجاء انموذجا ، ص ١٤٥.

(٥) ينظر ، عبد الكريم: ناصر، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة ،

ص ١.

(٦) ملكاوي : محمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص ١٨.

٣- ما عقد الإنسان قلبه عليه، ودان الله عز وجل به^(١).

ثالثاً : علاقة العقيدة بالشرعية الإسلامية

ركز الإسلام على العقيدة وترسيخها في نفوس عند بداية نزوله حيث يقول الكركي : (ت : ٩٤٠ هـ) : ((ونحن نعلم أن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) انشغل في مكة المكرمة ، بتثبيت أصول العقيدة الإسلامية في النفوس ، وكان القرآن الكريم واكب هذه البداية الرائعة للدين الإسلامي ، فكانت الآيات القرآنية النازلة في مكة المكرمة تعالج - في الأعم الأغلب هذه الناحية المهمة . فالآيات القرآنية المكية والتي تمثل ثلثي القرآن . . . تعنى بالجانب العقائدي والدعوة لله وللرسول وللآخرة))^(٢)

تعتبر العقيدة بالنسبة للشرعية الأصل ، حيث تأتي الشريعة بعدها ، فمن دون العقيدة لا وجود لما بعدها ، وهي تعتبر الجانب النظري في الإسلام لأنها تتعلق بالأمور القلبية ، أي أن محلها هو القلب ، فهي عبارة عن تصديق منتشر في النفس الإنسانية مثل التصديق بصفات الكمال لله تعالى و وجوده ، أما الشريعة الإسلامية فهي تتصل وتتعلق بأعمال المسلمين المكلفين ، وكيفية أداء تلك التكاليف بحسب ما أمر الله تعالى بها ، فضلاً عن تنظيم المعاملات بين الناس من الأخلاق ، فهي أيضاً أصل تقوم عليها الإنسانية وبدونها العقيدة منحرفة وغير صحيحة^(٣)

بالتالي تتمازج العقيدة مع الشريعة لتكوّن هذا الدين الرحمة المهدى من الله تعالى إلينا ، وإن كانت العقيدة أعظم من الشريعة ، فالإسلام أعطاه عناية الكبرى أولاً في مكة المكرمة ، وهي مرحلة الإعداد والتكوين والتربية للأمة التي أراد الله تعالى إخراجها من الظلمات إلى النور ، ثم بدأت الأحكام التفصيلية تنزل في " المدينة المنورة " فكانت العقيدة هي الروح الذي يسري في هذه الأحكام ، فإن هذه الأحكام عرضت بوساطة العقيدة^(٤)

حيث تتكامل العقيدة والشرعية معاً في الإسلام من أجل وصول الإنسان المسلم إلى الصراط المستقيم ((إن عرف الإسلام له شعبتان أساسيتان لا توجد حقيقته ، ولا يتوحد معناه إلا إذا

(١) صوفي : عبد القادر بن محمد عطاء ، المفيد في مهمات التوحيد ص : ٨-٩ .

(٢) المحقق الكركي : علي ، جامع المقاصد ، ٧/١ .

(٣) ينظر ، عياش : محمد ، العلاقة بين العقيدة والشرعية ، ص ١٨٢ .

(٤) ينظر ، جمعة : عثمان ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص ٣٣ .

أخذت الشعبتان حظهما من التحقيق والوجود في عقل الإنسان وقلبه وحياته ، وهاتان الشعبتان هما : العقيدة والشريعة ((^(١))

وعلى الرغم من إن قد ركز على العقيدة وجعلها الأصل إلا أن الإسلام يندد بالذين يفكرون في العقيدة دون الشريعة ، ويختصرون الدين في الإيمان المجرد عن العمل ، بل يرى أن ترك العمل قد يؤدي إلى زوال العقيدة ، ويقول سبحانه : ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أَصَاءُوا السُّوْأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾^(٢) وفي نفس الوقت يندد بالذين يهونون من شأن العقيدة ويعكفون على العمل والعبادة من دون تدبر في غاياتها ، ومقاصدها ، والتفكير في الأمر بها ، ويرون العبادة في السجود والركوع فقط ويغفلون عن قوله سبحانه^(٣) ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٤).

المطلب الثاني : أهمية العقيدة

للعقيدة أهمية كبيرة في حياة الإنسان ، فمن دون العقائد يكون الإنسان تائهاً في حياته ، ليس له اي هدف فيها ، فضلا عن أنها واجبة للإنسان لكسب ربح الجنة في اليوم الآخر . ففي هذا المطلب سوف نتناول أهمية العقيدة في حياة الإنسان . وفي المطلب الثاني سوف نفصل هذه الأهمية بشكل خاص من خلال الآيات القرآنية في غير سور الدعوة السرية.

ظل القرآن الكريم ينتزل على رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاثة عشر عاماً كاملاً، يحدثه فيها عن قضية واحدة لا تتغير ... لقد كان يعالج القضية الأولى ، والقضية الكبرى ، والقضية الأساسية في هذا الدين ... قضية العقيدة والتوحيد ، ممثلة في قاعدتها الرئيسية و أسسها الاول : الألوهية والعبودية ، وما بينهما من علاقة ^(٥) .

(١) شلتوت : محمود ، الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٩ .

(٢) سورة الروم ، من الآية ١٠ .

(٣) ينظر ، الحلب : أبو المجد ، إشارة السبق ، ص ٤ .

(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٩١ .

(٥) ينظر ، جمعة : عثمان ، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، ص ٣٧ .

فالعقيدة هو الدليل إلى ربح الدنيا والآخرة ((كما لا يقتصر أثر العقيدة في السلوك على السعادة الأخروية فقط ، بل يعمّ حتى السعادة الدنيوية المتمثلة بتحقيق العدالة الاجتماعية وبناء المدينة الفاضلة وتنمية المجتمع البشري وتحقيق مكارم الأخلاق وتحكيم المعايير الإنسانية فيه ، وأدّل دليل على ذلك هو التجربة النبوية رغم قصر مدتها ، فإنّها استطاعت أن تحدث تحولاً عظيماً في مجتمع الجزيرة وأن تقدمه أشواطاً كبيرةً، بحيث جعلته في الصدارة من ركب الإنسانية بعد أن كان في مؤخرته ، فبنت العقيدة الإسلامية لذلك المجتمع حضارة إنسانية لا نقول إنّها تجاري الأمم فحسب ، بل وتتقدم عليها))^(١) .

الإنسان بلحاظ العقيدة لا يخرج عن ثلاثة أمور أما أن يكون إنساناً مؤمناً ، وأما أن يكون كافراً ، أو منافقاً . أي أما أن يكون على الصراط المستقيم ، أو منحرفاً عنها ، أو بين الطريقين ، وكل طائفة تأخذ جزءاً بحسب عملها الناشئ من العقيدة . وأما الجزء على الأعمال الصالحة المنبعثة عن العقيدة ، فلا شك أنّ المؤمن بالله تعالى ينال مقامات عالية ودرجات رفيعة^(٢) ومما يدل على تلك الأهمية أيضاً هو أنّ كل مخالف في شيء من أصول العقائد ترد شهادته سواء استند في ذلك إلى التقليد أو إلى الاجتهاد^(٣) وبين الحر العاملي أنّ معرفة العقائد من شروط المجتهدين ((قال وقد اتفق الأخباريون والاجتهاديون على أن الجاهل والعامي لا يجوز له إلا الرجوع إلى العارف بالحلال والحرام ، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة جميع أخبار أهل البيت عليهم السلام وضبطها وفهمها وعرضها على القرآن بعد معرفة العقائد وأصول الدين بيقين ، والا لم يكن عارفاً ولا يمكن ذلك إلا بالعلوم المذكورة))^(٤)

ومما يدل على أهمية العقائد الصحيحة في الإنسان ، هو أنّ العقائد الفاسدة تمنع الإنسان من رؤية الحق^(٥) وتبتين أهمية العقيدة في تقوية قيمة الصبر عند الإنسان لأنّ مخالفة هوى النفس أمر صعب على النفس الجاهلة غير المؤمنة ، فليس لها سلاح تستمدّه من الله تعالى ضد ما يصيب الإنسان من الصدمات والتأثيرات في حياته ، أما من كان مؤمناً بالله تعالى وصاحب

^(١)الخرجي : صفاء الدين، العلاقة بين العقيدة والسلوك عقيدة الإرجاء انموذجا، ص ١٥٢ .

^(٢) ينظر ، سرور : إبراهيم، العقائد في القرآن الكريم من مواهب عبد الأعلى السبزواري، ص ٣٢٦-٣٢٧ .

^(٣) ينظر ، المحقق الحلي: جعفر بن الحسن (ت: ٦٧٦هـ) ، شرائع الاسلام، ٤ / ٩١٢ .

^(٤)الحر العاملي (ت: ١١٠٤هـ) ، الفوائد الطوسية ، ص ٤٢٠ .

^(٥) ينظر ، المجلسي : محمد تقي (ت: ١٠٧٠هـ) ، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ٧/ ١٤ .

عقيدة قوية وصحيحة فالصبر لديه يسير لأنه مؤمن بالله تعالى على ما يحصل له^(١) فمن آثار العقيدة الإيجابية هو وضع قيم حقيقة للإنسان ، حيث أعطت للإنسان قيمته الحقيقية ، فأصبح بفضل العقيدة محل تكريم الله تعالى ، وأصبح خليفته في الأرض فهو ليس كائن مادي يتبع شهواته ورغباته . ومن شأن العقيدة أيضاً أنها تبعث في النفس الطمأنينة والراحة فيصبر على دنياه ولا يجزع من شيء^(٢) .

أما عن نسبة علم العقيدة إلى بقية العلوم فهو أصل العلوم ؛ إذ العلوم كلها مبنية على الإيمان بالله وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ... وغير ذلك من الأسس هي موضوعات يتناولها علم العقيدة^(٣)

حيث وردت العديد من الآيات القرآنية التي تبين أهمية العقيدة للإنسان منها :-

١ - قوله تعالى ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾^(٤)

معنى البر هو ((والبر كل فعل مرضي قلبياً كان أو لسانياً أو جوارحياً أو مالياً))^(٥) فالآية الكريمة تبين أهمية العقائد بالنسبة للإنسان المسلم ، حيث يوضح الله تعالى بأن ما يرضيه هو الأيمان بالله تعالى والتصديق بالبعث والعقاب والإيمان بوجود الملائكة وكذلك التصديق والإيمان بالرسول^(٦) .

فليس المهم من المؤمن أن يؤدي الصلاة فقط ، بل يجب أن يؤمن إيماناً تاماً في تلك الصلاة . ((هذا خطاب عام يشمل الجميع ، حتى ولو كان سبب النزول خاصاً ، لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص سبب النزول ، والمراد بالخطاب توجيه المؤمنين والمصلين إلى أن مجرد الصلاة إلى ناحية معينة ليس هو الخير المقصود من الدين ، لأن الصلاة إنما شرعت لإقبال المصلي

(١) ينظر ، ناظم: مشتاق ، العقيدة وأثرها في النفس، ص ٧١٦.

(٢) ينظر ، إبراهيم: رياض أحمد، أثر العقيدة في سلوك الفرد المسلم، ص ١٦٧-١٧٢.

(٣) ينظر ، عبد العزيز: محمد، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة ، ص ٤.

(٤) البقرة ، الآية ١٧٧.

(٥) السيوري : المقداد (ت: ٨٢٦ هـ) ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ١/ ٢٢٠.

(٦) ينظر ، الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ١/ ٢٨٨.

على الله ، والإعراض عمن سواه . وبعد هذا التمهيد شرع ببيان أصول العقيدة التي هي من أركان البر ، وحصرها بخمسة أمور تضمنها قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾ . الإيمان بالله هو الأساس لعمل البر ، والباعث على طاعة الله في جميع ما أمر به ، ونهى عنه ، والإيمان بالملائكة إيمان بالوحي المنزل على الأنبياء ، وإنكار الملائكة إنكار للوحي والنبوة : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قُلُوبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾^(١). الإيمان بالكتاب إيمان بالقرآن ، والإيمان بالنبيين أيمان بشرائعهم . . وترجع هذه الأمور الخمسة إلى ثلاثة : الإيمان بالله والنبوة واليوم الآخر ، لأن الإيمان بالنبي يتضمن الإيمان بالملائكة والكتاب^(٢)

فإنَّ الله تعالى بين للناس أهمية العقيدة للإنسان بتلك الآية حيث يقول الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ((وهذا جامع لجميع المعارف الحقة التي يريد الله سبحانه من عباده الإيمان بها ، والمراد بهذا الإيمان التام الذي لا يتخلف عنه أثره ، لا في القلب بعروض شك أو اضطراب أو اعتراض أو سخط في شيء مما يصيبه مما لا ترتضيه النفس ، ولا في خلق ولا في عمل))^(٣) فإنَّ الله تعالى أطلق معنى أنواع الإحسان على الذين يلتزمون بأركان العقيدة من الإيمان بالله تعالى وملائكته ورسوله^(٤)

٢- قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾^(٥)

فظهر أنَّ الاعتقاد بهذه الأمور هو الإيمان الحقيقي وبه يحصل الكرامة عند الله والزلفى لديه . وذلك لأنَّ الإنسان باكتساب هذه العلوم الإلهية يصير من حزب الملائكة المقربين بعد ما كان

(١) سورة الشعراء ، الآيات ، ١٩٣-١٩٤ .

(٢) مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ٢٩٠/١ .

(٣) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ٤٢٨/١ .

(٤) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٩٧/١ .

(٥) سورة النساء ، من الآية ١٣٦ .

من جنس الحيوانات المبعدين^(١) فإنَّ الإيمان بما ذكر شرط من شروط الإسلام ، فمن لم يؤمن فلا يُعدُّ مسلماً^(٢) بالعقيدة يتوصل الإنسان إلى الطريق المستقيم وبدونها يخرج عنه ويصعب الرجوع إليه مرة أخرى ((وفي هذه الآية اعتبر الإيمان واجبا وضروريا بخمسة مبادئ ، فبالإضافة إلى ضرورة الإيمان بالمبدأ والمعاد ، فإن الإيمان لازم وضروري بالنسبة إلى الكتب السماوية والأنبياء والملائكة . إن عبارة " ضلال بعيد " عبارة دقيقة ، وتعني أن الذين لا يؤمنون بالمبادئ الخمسة المارة الذكر ، قد انجرفوا خارج الصراط أو الطريق المبدئي ، وأن عودتهم إلى هذا الطريق لا تتحقق بسهولة .))^(٣)

المطلب الثالث : علاقة العقائد بالقيم الإنسانية

هناك الكثير من الأسباب التي تدفع الإنسان إلى تعديل سلوكياته الفعلية والقولية بحيث يكون مواظماً صالحاً ، وأهم تلك الأسباب هو عقيدته ، حيث إنّ إيمان الإنسان بربه ورساله وكتبه وملائكته يجبره على الأفعال الحسنة والأقوال الحسنة ، خاصة وأنَّ تعالى جعل لكل فعل وقول جزاء .

حيث إنّ من آثار العقيدة الصحيحة ، التحلي بالأخلاق الرفيعة والتطهر من الأخلاق الوضيعة ، الأخلاق هي عنوان الشعوب ، وقد حثت عليها جميع الأديان ، فهي وسيلة للمعاملة بين الناس ، ولأخلاق الاثر الكبير في تغير الواقع الحالي ...، إنّ التحلي بالأخلاق الحسنة ، والبعد عن أفعال الشر والآثام يؤديان بالمسلم إلى تحقيق الكثير من الأهداف النبيلة منها سعادة النفس ورضى الضمير^(٤) .

(١) ينظر ، الشيرازي : محمد (ت : ١٠٥٠ هـ) ، أسرار الآيات ، ص ٢ .

(٢) ينظر ، مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ٢ / ٤٦١ .

(٣) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢ / ٤٩٥ .

(٤) ينظر ، منصور : رقية ، أثر العقيدة في ترسيخ التمكن عند المسلمين ، ص ٢٦٦ .

فتشكل القضية الاخلاقية في النظرية الاسلامية قاعدة أساسية في مجمل التصور الاسلامي تجاه مختلف قضايا العقيدة والعلاقات الاجتماعية والسياسية والتكامل الإنساني الاجتماعي والفردى، في الدنيا والآخرة، بل يمكن أن نقول أن محتوى النظرية الاسلامية العام، إنما هو محتوى أخلاقى^(١) .

ونشاهد بأن القرآن الكريم ومن خلال القصة حرص على التربية على الإيمان بالله كالإيمان بالغيب مثلاً تعالى وعلى الأخلاق أيضاً كالصدق والامانة،، الخ لذلك فإن أي فرد أو مجموعة إنما يقوم على قاعدة : أخلاقية بعد العقيدة الاسلامية حتى يكون المجتمع مجتمع إسلامي يهدف إلى الخير والتعاون^(٢) ((إذ إن الإنسان مهما ارتقى في إنسانيته يبقى بحاجة الى ضمانة فعلية وعملية محركة للفضائل الأخلاقية ، وهذا ما تظلم به العقيدة التوحيدية فهناك علاقة وثيقة بين الدين والأخلاق عبر المعتقدات الدينية))^(٣).

لهذا فإن ((المعتقدات الاسلامية تعتبر الاساس للقيم الاخلاقية فيجب على كل مكلف بما يملكه من قدرة فكرية وتمييز ان يبحث في هذا المجال المهم وان يدرك اصول العقائد بفهمه الجازم وعقله كما أن الفطرة التي اودعها الله تعالى في الانسان والعقل الطبيعي يهدي البشر إلى هذه الاصول))^(٤) .

يقول الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) : ((يدعونا الدين الى أن نختار لأنفسنا في الحياة صفات حسنة وأن نتحلى لأخلاق جميلة ، ونزّين أنفسنا بصفات ممدوحة . فالدين يدعونا للشعور بالمسؤولية ، وحب الخير ، وحب الإنسانية ؛ وأن نتصف بالحب ، والوفاء ، والأخلاق الحسنة ، والانصاف ؛ وأن ندافع عن حقنا ولا نتعدى على حقوق الآخرين، ولا نتجاوز على أموال الناس

(١) ينظر، الحكيم : محمد باقر، الوحدة الاسلامية من منظور الثقلين ، ص ١٠٢ .

(٢) ينظر، علي : حوراء عبد، جدلية العلاقة بين العقيدة والاخلاق في المجتمعات الاسلامية ، ٢٤٩ .

(٣) عزيزي : مصطفى، معايير صحة العقيدة، ص ٤٧ .

(٤) يزدي : محمد تقي مصباح، دروس في العقيدة الاسلامية، ص ٥-٦ .

وأغراضهم ونفوسهم))^(١) إذ إنّ للعقيدة تأثير إيجابي على سلوك المسلم ، فهي تجعل المسلم معتدلاً في تصرفاته ويمشي على الطريق القويم ، دون إنحراف وفي يقضه مستمرة ومتحسبا لحدود الله تعالى وضابطاً لانفعالاته البشرية طالباً السمو والرفعة عن النفاص والردائل ، ويرفع قدر نفسه ، حيث إنّ المسلم المستقيم هو الذي ينشغل دائماً مع ربه في كل حركة من حركاته ^(٢) وهناك الكثير من الآيات التي تدل على ذلك سنذكر منها آيتين هنا ، أما الباقي سنثبته في المباحث القادمة إن شاء الله .

١ - قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣)

يقول الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) : ((هذا خطاب من الله تعالى للمكلفين ، يقول لهم : أن لكم معاشر المكلفين " في رسول الله أسوة حسنة " أي اقتداء حسن ، في جميع ما يقوله ويفعله متى فعلتم مثله كان ذلك حسناً ، والمراد بذلك الحث على الجهاد والصبر عليه في حروبه ، والتسليّة لهم في ما ينالهم من المصائب ، فإن النبي (صل الله عليه وآله وسلم) شج رأسه وكسرت ربايعيته في يوم أحد وقتل عمه حمزة . فالتأسي به في الصبر على جميع ذلك من الأسوة الحسنة . وذلك يدل على أن الاقتداء بجميع افعال النبي صلى الله عليه وآله حسن جائز))^(٤)

فبالتالي ((إنّ المعتقدات والآراء الأساسية تمثل القاعدة والأساس لكلّ نظام قيميّ (خلقيّ) وكلّ أيّدولوجية متناسقة ، وتؤثر بصورة شعورية أو لا شعورية أثرها في سلوك الناس وتصرفاتهم ، ومن هنا ، ولأجل إقامة النظام القيميّ (الخلقي) والسلوكي للإسلام وتنشيطه ، يلزم علينا أن نرسخ في النفوس الأسس والمرتكزات العقائدية ، التي تعتبر الجذور لهذه الشجرة الكبيرة المباركة لتحمل دائماً ثمارها العذبة والشهية ، وتوفّر السعادة في الدنيا والآخرة))^(٥).

(١) الطباطبائي : محمد حسين (١٤٠٢ هـ) ، الإسلام الميسر موسوعة في العقائد والأخلاق والأحكام، ص ٢٢.

(٢) ينظر ، عميرة : عبد الرحمن، منهج القرآن في تربية الرجال، ص ٥٦.

(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٢١.

(٤) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٢٨/٨.

(٥) اليزدي : محمد تقي المصباح، دروس في العقيدة الإسلامية ، ، ١٥/١.

إذاً فالعقيدة التي توجب على الإنسان الإيمان بالرسول الكريم هي توجب عليه أيضاً بأن يقتدي بالرسول لكي يكون إسوة حسنة في مجتمعه ، فالمسلم المعتقد المؤمن الحقيقي يفترق عن المنافق ((وبكلمة أوضح ، أن المسلم على قسمين : مسلم عند الناس لا عند الله ، وهو الذي يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويعصي الله والرسول ، وهذا يعامل معاملة المسلم في الدنيا فقط ، ومسلم يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويطيع الله والرسول ، وهذا يعامل معاملة المسلم في الدنيا والآخرة))^(١)

فتكون ((الأسس الأخلاقية تمثل أسس الهوية الإنسانية ولها جذور فطرية ، أسس ثابتة وخالدة ، وهي لا تتغير بسبب مضي الزمان وطروء التحولات والتطورات الاجتماعية))^(٢)

٢- قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٣)

يقول الشريف الرضي (ت : ٤٠٦ هـ) : ((فالمراد بذلك - والله أعلم - لا تتبعوا صدقاتكم بما يبطلها من الأقوال التي تتضمن التبحر بها ، والامتنان بفعلها ، لان في ذلك أذى لمن تقصدونه بالعطاء ، يغض من الصنيعة وينقصها ، ويكشف ضيائها وينغصها))^(٤) فهذه الآية تؤدب المؤمنين أهل العقيدة الصحيحة بعدم الرياء والتعرض للناس بالأذى ((ضرب الله تعالى هذه الآية مثلاً لعمل المنافق والمنان جميعاً ، فإنهما إذا فعلاً لغير وجه الله أو قرنا الانفاق بالمن والأذى ، فإنهما لا يستحقان عليه ثواباً . وشبه ذلك بالصفة الذي أزال المطر ما عليه من التراب ، فإنه لا يقدر أحد على رد ذلك التراب عليه فكذلك إذا رفع المنان صدقته وقرن بها المن فقد أوقعها على وجه لا طريق له إلى استدراكه ، وتلافيه لوقوعه على الوجه الذي لا يستحق

^(١) مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ٢٠٥/٦ .

^(٢) السبحاني : جعفر ، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ص ٣٢ .

^(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٦٤ .

^(٤) الشريف الرضي : محمد بن الحسين ، حقائق التأويل ، ص ٢٢٦ .

عليه الثواب فان وجوه الافعال تابعة للحدوث ، فإذا فاتت فلا طريق إلى تلافيها وليس فيها ما يدل على أن الثواب الثابت المستقر يزول بالمرن فيما بعد ولا بالرياء الذي يحصل فيما يتجدد فليس في الآية ما يدل على ما قالوه ((^(١)).

فيتين أثر العقائد على القيم الإنسانية من ضوء هذه فإن الإنسان المؤمن بالله تعالى يجب عليه أن يبتعد عن المن على الناس عند فعل الخير ، فإن الله تعالى أوجب ذلك لحصول الثواب والخير على المؤمنين ^(٢) إذ ((لا شك أن العقيدة هي الأساس والأصل الذي تبنى عليه القيم في الإسلام ، وهو الدعامة التي يعتمد عليها في جميع الأنظمة بما فيها النظام الإخلاقي ، لأن القيم في تطبيقاتها تحتاج إلى مؤثرات رقابية في السر قبل العلن ولأن العمل يتبع الاعتقاد ، وعلى قدر ما تصح عقيدة الفرد وتقوى وتستقيم أعماله وتزكو أخلاقه وتسمو همته))^(٣)

^(١) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٣٦/٢ ،

^(٢) ينظر ، مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ٤١٤/١ .

^(٣) سعيدة : أحلام محمد ، منظومة القيم وعلاقتها بالعقيدة في ظل التحولات العالمية المعاصرة ، ص ٥٣١ .

المبحث الثاني

القيم الإيمانية في سور الدعوة السرية

المطلب الأول: القيمة الإيمانية في اللفظ والمصطلح

المطلب الثاني : أثر الإيمان في حياة الإنسان

المطلب الثالث : جزاء المؤمنين في سور الدعوة السرية

تُعَدُّ قيمة الإيمان أهم القيم العقائدية الانسانية التي يجب أن تتوفر في الإنسان فهي الفاصل بين جنة الله تعالى وبين ناره ، وقد حثت الآيات القرآنية كثيراً على وجوب إيمان الشخص في الله تعالى وفي رسله وكتبه ، سيما كذلك في سور الدعوة لما لهذه السور من أهمية كبيرة تكمن في وقت نزولها والمرحلة المهمة التي تعد مرحلة انتقالية من الجاهلية حيث كان الناس يعبدون الأصنام إلى مرحلة الإسلام حيث وجوب عبادة الله تعالى والإيمان به وبرسله وكتبه وملائكته... الخ ، فكثيراً ما حثت هذه السور على الإيمان و بطرق عديدة كانت أهمها بيان ثواب وجزاء المؤمنين في الدنيا والآخرة ، ففي هذه المبحث سوف نتعرف على ماهية القيم الإيمانية لغةً واصطلاحاً ، وسنتناول أثر الايمان، وفي نهاية المبحث سنبين جزاء المؤمنين من خلال عدد من آيات الدعوة السرية .

المطلب الأول : القيمة الإيمانية في اللغة والمصطلح

يتألف مصطلح "القيمة الإيمانية" من مفردتين، الأولى: هي "القيمة"، وما تحمل من معنى لغوي، والثانية هي "الإيمانية"، بما تحمل من معاني الإيمان في اللغة والمضمون القرآني، ومدى تطابق المعنى اللغوي مع المصطلح الديني والعرف الاجتماعي في المجتمع المسلم.

أولاً : معنى الإيمان لغة واصطلاحاً

١- الإيمان "في اللغة :

أ- جاء الإيمان بمعنى الصدق فقال الفراهيدي : (ت: ١٧٠ هـ) : ((و الإيمان : التصديق

نفسه ، وقوله تعالى : { وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا }^(١) أي : بمصدق))^(٢)

ب- وعرفه ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) : ((والإيمان : بمعنى التصديق ، ضده التكذيب .

يقال : آمَنَ به قومٌ وكذَّبَ به قومٌ ، فأما آمَنُته المتعدي فهو ضدُّ أخَفُّته))^(٣)

ت- وعرفه الزبيدي (١٢٠٥ هـ) : ((عدمُ تَوْفَعٍ مَكْرُوهٍ فِي الزَّمَنِ الْآتِي ، وَأَصْلُهُ طَمَأْنِينَةٌ

النَّفْسِ وَزَوَالُ الْخَوْفِ))^(٤)

٢- الإيمان اصطلاحاً : عرفه الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) بأنه ((هو التصديق بالله و

بالرسول وبما جاء به الرسول والأئمة عليهم السلام . كل ذلك بالدليل ، لا بالتقليد ،

وهو مركب على خمسة أركان ، من عرفها فهو مؤمن ، ومن جهلها كان كافراً ،

وهي : التوحيد ، والعدل ، والنبوة والإمامة ، والمعاد))^(٥) وهذا ما أكدته ابن ادريس

(ت : ٥٩٨ هـ) حينما بين بأنَّ الإيمان هو التصديق^(٦) فهو اقرار باللسان ،

واعتقاد بالجنان ، وعمل الأركان^(٧) وعرفها السبحاني ((الاعتقاد بوحداية الله تعالى

^(١) سورة يوسف ، الآية ١٧ .

^(٢) الفراهيدي : الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥ هـ) ، العين ، ٣٨٩/٨ ، (باب النون والميم) .

^(٣) ابن منظور ، لسان العرب ، ٢١/١٣ ، (فصل الألف) .

^(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ٢٣/١٨ ، (باب أمن) .

^(٥) الطوسي : محمد بن الحسن ، الرسائل العشر ، ص ١٠٣ .

^(٦) الحلبي : ابن ادريس (ت: ٥٩٨ هـ) ، السرائر ، ٢٤٤/١ .

^(٧) المحقق البحراني : يوسف (ت: ١٨٨٦ هـ) ، الحقائق الناظرة . ، ٢٢/٢٠٥ .

، والآخرة ورسالة النبي محمد المصطفى (صل الله عليه واله وسلم) على أن الإيمان برسالة النبي الخاتم يشمل الإيمان بنبوة الأنبياء السابقين عليه ، والكتب السماوية السابقة ، وما أتى به نبي الإسلام من تعاليم وأحكام إسلامية للبشر من جانب الله أيضاً ، وإن المكان الواقعي والحقيقي للإيمان هو قلب الإنسان وفؤاده ((^(١))

وقد أكد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نفس المضمون، حين أجاب سائله بأن {الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان} ((^(٢)).

ولقد بين رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) ارتباط الإيمان التشريعي بالسلوك الحياتي، من خلال الأحاديث المروية عنه، بما نقله عنه الأئمة المعصومون، حيث أورد الإمام الرضا (عليه السلام) حديثاً أرجعه إلى رسول الله (صل الله عليه واله وسلم)، يفيد بأن الإيمان هو {معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان} ((^(٣)). ثم أعاد الإمام الرضا (عليه السلام) ذات العبارات لكن مع تأكيد أدق، بقوله: ((الإيمان عقد بالقلب ولفظ باللسان وعمل بالجوارح لا يكون الإيمان إلا هكذا)) ((^(٤)

ثانياً : تجانس المعنى والمضمون

لقد قدم علماء اللغة تفسيراً واضحاً لكلمتي "القيمة" و "الإيمان"، دون أن يشوبها أي شك أو ارتياب، ولكن هناك جانب آخر لارتباط الكلمتين بين المعنى والمضمون، أوضحته الآيات القرآنية ومختلف الروايات والأحاديث الشريفة الواردة عن رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) والأئمة الأطهار (عليهم السلام)

ووردت الكثير من الآيات القرآنية التي تتضمن مفردة "الإيمان" وما يأتي عنها، من حيث الإيمان بالله وبرسوله وبالشرعية الإسلامية، واعتبارها دين الله، وبعد انقضاء مرحلة طويلة من الدعوة السريّة والعلنية، بدأ التنزيل في المدينة للتشريع، فاختصر فيها مبادئ وعناوين كل تلك الفترة،

(١) السبحاني : جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ص ٢٥٩.

(٢) - بن أبي طالب : الإمام علي (عليه السلام) ، نهج البلاغة، ، الحديث ٢٢٨، ص ٦٩٢.

(٣) - الصدوق : محمد بن علي ، عيون أخبار الرضا ، ٢٠٥/١.

(٤) - المصدر السابق ، ، ١ / ٢٠٥.

حيث أنزل الله تعالى: ﴿إِن الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(١)، أي بما يفيد الانقياد بالتذلل والخشوع، والفعل منه "أسلم" بمعنى دخل في السلم، كما يقال: ((الطاعة . وكذلك الاسلام ، وهو الانقياد بالتذلل والخشوع والفعل منه أسلم ، بمعنى : دخل في السلم ، كما يقال أقحط القوم : إذا دخلوا في القحط ، وأربعوا : إذا دخلوا في الربيع ، فكذلك أسلموا : إذا دخلوا في السلم ، وهو الانقياد بالخضوع وترك الممانعة))^(٢).

وقد أفاد الطبري (ت: ٣١٠ هـ) بأن ((الطاعة التي هي الطاعة عنده، الطاعة له، وإقرار الألسن والقلوب له بالعبودية والذلة، وانقيادها له بالطاعة فيما أمر ونهى، وتذللها له بذلك، من غير استكبار عليه، ولا انحراف عنه، دون إشراك غيره من خلقه معه في العبادة والألوهة))^(٣)

ومما جاء في القرآن الكريم، لا سيما أثناء الدعوة السريّة، بعض الآيات الدالات على الإيمان وروابطه وأصوله وقواعده، وقد استوفت الإحاطة بمجمل السلوك العملي لحياة المؤمن، بقوله تعالى، في سورة العصر: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٤)، وفي آية أخرى، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٥).

ثالثاً: **تعريف القيمة الإيمانية كمركب** : العقيدة المتكاملة التي يتحرك بها المسلم في مجال حياته، بما تتضمن من أفعال إيمانية، سواء كانت طقوساً، كالعبادة والصلاة والدعاء، أو عملية كالجهاد وفعل الخير وحسن الأخلاق، لأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً فيما بينها، وتمثل هذه العقيدة إيماناً وثيقاً وصادقاً بالله لا يتزعزع، وثقة تامة في عدله وقضائه، وتصديقاً شاملاً بكتبه ورسله، ومعرفة يقينية باليوم الآخر على سبيل ما جاء وورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة^(٦).

(١)-سورة آل عمران، الآية ١٩.

(٢)- الطبري : محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٨٢/٣.

(٣)- المصدر نفسه ، ٢٨٢/٣ .

(٤)-سورة العصر، الآية ٣.

(٥)- سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

(٦)- سبع : توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم، العالم الذي صنعه القرآن، ص ١٥١ .

وقد قيل أيضاً في تعريف القيم الإيمانية: (مجموعة من القوانين أو الأهداف أو المثل العليا التي ترشد وتوجه الإنسان سواء في علاقته بالعالم المادي أو الاجتماعي أو مع خالقه سبحانه وتعالى)^(١).

وقيل فيها أيضاً، (مجموعة من المفاهيم والمعتقدات والمعاني التي يولد بها الإنسان بموجبها ولادة إلهية، ويعيش من خلالها بما يكتسبه في تنفيذ أوامر خالقه سبحانه وتعالى وطاعته، والتي تحكم سلوكه وتوجهه إلى تنفيذ ما يأمر به خالقه، وإلى إجتنا ما ينهيه عنه)^(٢).

المطلب الثاني : أثر الإيمان في حياة الإنسان

من الطبيعي أنّ الإنسان المؤمن تكون له مميزات عديدة بسبب إيمانه ، فلا يمكن أن يتساوى المؤمن مع غير المؤمن سواء في الدنيا أو في الآخرة ، خاصة وإنّ الله تعالى عادل وعندما أوجب الإيمان على المسلمين فكان يجب أن يميزهم تبعاً لإيمانهم عن غير المؤمنين ، فوردت الآيات الكثير التي تتحدث عن الإمتيازات التي حصل عليها الإنسان المؤمن .

وفي هذا المطلب سوف نبين بعض تلك الإمتيازات لكثرتها في القرآن ، حيث سنتطرق إلى الآيات بشكل عام في القرآن الكريم .

١- الدفاع عن المؤمنين : أحد الخصائص الإيمانية بالنسبة إلى الإنسان هو دفاع الله

تعالى عنهم حيث يتبين ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾^(٣)

يقول الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في تفسيرها : ((أي نصرهم ويدفع عنهم عدوهم ، تارة بالقهر ، وأخرى بالحجة))^(١) ، فإنّ الله تعالى ينصر الذين آمنوا على المشركين ، ويمنع المشركين من الغلبة عليهم ^(٢) .

(١)-عفيفي : محمد الهادي، في أصول التربية، ص ٣٨٦.

(٢)-أحمد : علي عبد الحميد، التحصيل الدراسي وعلاقته بالقيم الإسلامية التربوية، ص ١٣٢.

(٣) سورة الحج ، من الآية ٣٨.

وهذه أحد المميزات الإيمانية للإنسان في الحياة الدنيا بأن يمنع عنهم أذى الكفار ((يمنعهم عن شرور الكفار وأذياتهم ، وينصرهم عليهم . وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون : يدافع ، أي : يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ، لأنّ فعل المغالب أقوى وأبلغ . ثمّ جعل العلة في اختصاص المؤمنين بدفعه عنهم ، ونصرته لهم))^(٣) .

وأن هذه الآية إنّما تدل على الإيمان الحقيقي ، وليس الإيمان الظاهري حتى يكون سببا في دفع الله تعالى عن الإنسان العدوان ، فضلاً عن ذلك فإنها تبين أنّه يجب على الإنسان المؤمن مناصرة أخيه المؤمن عندما يقع عليه العدوان^(٤)

ودفاع الله تعالى عن المؤمنين هو بسبب حبه لهم ، وهذا يبين أهمية الإيمان لهم ((وإنما يدفع عنهم المشركين لأنه يحب هؤلاء ولا يحب أولئك لخيانتهم وكفرهم فهو إنّما يحب هؤلاء لأمانتهم وشكرهم فهو إنّما يدافع عن دينه الذي عند المؤمنين . فهو تعالى مولاهم ووليهم الذي يدفع عنهم أعداءه))^(٥)

وإنّ دفاع الله تعالى عن المؤمنين ليس في الدنيا فقط ، بل في الآخرة أيضاً حيث يقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾^(٦)

فتدل الآية على حماية المؤمنين الصادقين في إيمانهم من غير شرط أو قيد ، ونصرهم في الدنيا أي في الحرب والميدان ، ونصرهم أيضاً في يوم الآخرة بدخولهم الجنة وإرسال غير المؤمنين إلى النار^(٧)

^(١) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٢٠/٧ .

^(٢) ينظر ، الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ) ، مجمع البيان ، ١٥٦/٧ .

^(٣) الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ٣٩٦/٤ .

^(٤) ينظر ، مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ٣٣٢/٥ .

^(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت: ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٨٣/١٤ .

^(٦) سورة غافر ، الآية ٥١ .

^(٧) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٨٤/١٥ .

٢- الأجر الحسن والحياة الطيبة : من الأمور التي فاز بها المؤمن هو الحياة المريحة له في

الدنيا ، فضلا عن الأجر الحسن حيث قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(١)

اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى ﴿ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ فمنهم من ذهب إلى أنّ معنى الرزق

((الحياة الطيبة ، الرزق الحلال في هذه الحياة الدنيا))^(٢) ومنهم من ذهب إلى أنّ المقصود من

الحياة الطيبة في الآية القرآنية هو الجنة ، فلا حياة طيبة إلا في الجنة ^(٣) وذهب ابن ابي

الزمينين (ت: ٣٩٩ هـ) إلى أن معناها هو القناعة ^(٤)

فكل التفسير السابقة تؤدي إلى حياة مريحة طيبة للإنسان اكتسبها بفضل إيمانه .

أمّا معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ فهو : ((وعده الله ثواب

الدنيا والآخرة كقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل

الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا أن كان موسرا فظاهر وأن كان معسرا فمعه ما

يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس أن كان معسرا

فظاهر وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أو حلاوة

الطاعة أو المعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والاعراض عما سوى

الله ((^(٥)

٣- البشرى في الدنيا والآخرة : بشر الله تعالى المؤمنين بأنّ مفضلون في الدنيا والآخرة

حيث قال تعالى : ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

الأنهار ﴾^(٦)

(١) سورة النحل ، الآية ٩٧ .

(٢) الرازي : ابن ابي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ) ، تفسير القرآن العظيم ، ٧ / ٢٣٠١ .

(٣) ينظر ، النحاس (ت: ٣٣٨ هـ) ، معاني القرآن ، ٤ / ١٠٤ .

(٤) ابن ابي الزمينين : عبد الله بن محمد (ت: ٣٩٩ هـ) ، تفسير ابن زمينين ، ٢ / ٤١٨ .

(٥) النسفي : عبد الله بن احمد (ت: ٥٣٧ هـ) : تفسير النسفي ، ٢ / ٢٧٠ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٥ .

ومعنى البشارة هنا هو الاخبار المسرة والمفرحة التي تصل إلى المخبر به ، فهي تدل على كل خير فقط^(١) حيث بشر الله تعالى المؤمنين بأنّ لهم بستاناً كثيرة الأشجار وكثيفة أيضاً ، وبشرهم الله تعالى أيضا بأكبر اللذات وأعظم النعم ألا وهو الماء الجاري^(٢)

فلطف الله تعالى بالمؤمنين على اختلاف درجات أيمانهم وبشرهم بما يريحهم ((جرت عادته سبحانه وهو اللطيف الرحيم في كتابه الكريم أن يلطف بعباده ويدعوهم إلى ما يقربهم إليه والناس وإن كانوا في إيمانهم على درجات شتى ومراتب لا تحصى ، فمنهم من يعبد حياء أو شكرا أو تأهلاً أو ترقياً أو استلذاذاً أو غير ذلك إلا أنّ العامة لو لم نقل الكافة يجمعهم الخوف والرجاء ، ولذا تراه سبحانه شفّع التّرهيب بالتّرجيب وذكر الإنذار مع الإبطار ، ولما ساق الكلام في التّهديد والوعيد على تاركى العبادة ومنكري التّوحيد والنّبوة والولاية وأنذرهم بالعقوبة الفظيعة على الأعمال الشّنيعة عقّبه ببشارة من كان من أهل البشرى ، وهم الذين يتقرّبون إليه زلفى ، بالعلم النّافع والعمل الصّالح))^(٣)

ثم يقول تعالى في آية أخرى : ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(٤)

فالبشارة لا تقتصر على كسب الجنة فقط في الآخرة ، بل في الحياة الدنيا هم مبشرون من الله أيضاً ((وبشارتهم في الدنيا من الله تعالى أنهم على حق في عقيدتهم وعملهم . . وليس من شك أن النفس تطمئن وتستشعر الغبطة والسعادة إذا كانت على ثقة من دينها وأعمالها ، أما بشارة المتقين في الآخرة فهي فرحتهم بنعمة الله وفضله))^(٥) فيبشرهم الله تعالى ببشارة على وجه العموم تشمل الدنيا والآخرة ومعاً^(٦)

(١) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ١ / ١٠٧.

(٢) ينظر ، الطبرسي: الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨ هـ) ، جوامع الجامع ، ٨٥/١.

(٣) البروجردى : حسين، تفسير الصراط المستقيم، (ت: ١٣٤٠ هـ) ، ٤ / ٤٨٠.

(٤) سورة يونس ، من الآية ٦٤.

(٥) مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف، ٤ / ١٧٤.

(٦) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، (ت: ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٩٣/١٠.

٤- الانتفاع بالموعظة : بين الله تعالى أنَّ من ينتفع بالموعظة والنصيحة هم المؤمنون فقط حيث قال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(١) يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((وعظ يا محمد من أرسلت إليه ، فإن العظة تنفع أهل الإيمان بالله))^(٢) ويبين الرازي ثلاثة معاني تصب في مصلحة المؤمن الأول قوة إيمانهم ، والثاني أن الآية تفيد المؤمنين من بعد رسول الله ، والثالث أنَّها تدل على زيادة حسنة المؤمنين فينتفعوا بها^(٣) والمعروف أنَّ الذي ينتفع بالتذكير والموعظة هم اصحاب العقل الفذ الذين يتفكرون ، لهذا خصَّ الله تعالى المؤمنين بالذكر ، وذلك يبين عظمة قيمة الإيمان وأهميته لدى الإنسان .

المطلب الثالث : جزاء المؤمنين في سور الدعوة السرية

بين القرآن الكريم أهمية الإيمان من خلال بيان البشارات والثواب للمؤمنين في عدد كثير جدا من الآيات القرآنية ، ولما لهم من خصوصية كبيرة عند الله تعالى . وفي هذا المطلب سوف نبين أهمية الإيمان فيما يخص جزاء المؤمنين مستندين على آيات الدعوة السرية فقط .

١- قوله تعالى ﴿ وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾^(٤)

يقول الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((اخبار الله تعالى أن الثواب الذي يثيب الله به الذين يؤمنون به ويتقون معاصيه في الآخرة ، وهي النشأة الثانية ، فإنَّ الدنيا هي النشأة الأولى والآخرة خير وأعظم نفعا من منافع الدنيا التي تنالها الكفار . و اجر الآخرة خير من ثواب الدنيا ، لأن ما تقدم في الآية الأولى يقتضيه .))^(٥) فإنَّ الله تعالى لا يكافئ المؤمنين في الدنيا فقط ، بل يكافئهم في الآخرة أيضاً ، وهذه أهم مكافئة ، وقد وردت هذه الآية في سياق الحديث عن نبي الله يوسف

(١) سورة الذاريات ، الآية ٥٥.

(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٥/٢٧.

(٣) ينظر ، الرازي : فخر الدين (ت: ٦٠٦ هـ) ، التفسير الكبير ، ٢٨/٢٣١.

(٤) سورة يوسف ، الآية ٥٧.

(٥) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٥٩/٦.

(عليه السلام) وهي تعقيب بالجزاء الأخروي المقيم لمن تمسك بالإيمان والتقوى، وقد وردت في سياق القصة ، وهو جانب تربوي يعد أحد أهداف القصة القرآنية ((المراد أن يوسف وإن كان وصل بصون نفسه إلى المنازل العالية والدرجات الرفيعة في الدنيا إلا أن الثواب الذي أعدّه الله له في الآخرة خير وأفضل . ولفظ « الخير » قد يستعمل بمعنى التفضيل ، وقد يستعمل بمعنى نفس الخير ، وفي هذه الآية دلالة على أنه سبحانه يؤتي يوسف في الآخرة من الثواب ما هو خير مما آتاه الله من الملك في الدنيا وشهادة منه سبحانه على تقواه))^(١) وثواب الآخرة هو الجنة ، ذلك الثواب الخالد ((وأجر الآخرة الجنة التي لا ينقطع نعيمها ، ولا يظعن مقيمها ، ولا يهرم خالدها ، ولا يبأس وفي بعض الروايات أن امرأة العزيز أتت يوسف في السنين العجاف تطلب منه قوتا ، وقد مات زوجها ورماها الدهر بالخطوب ، ونال منها ما نال ، وإن يوسف لما رآها قال لها : ما الذي أوصلك إلى ما أرى ؟ فقالت له : سبحان من جعل الملوك بمعصيته عبيدا ، وجعل العبيد بطاعته ملوكا))^(٢) .

فالإنسان إنما يكتسب كل ذلك من خلال أيمانه ، ولا شيء أجمل من خير ذلك الإيمان فيكسب الجنة التي يخلد فيها ولا ينتهي نعيمها ، ولا يضطر فيها ساكنيها^(٣) فالخير لا يمكن أن يعم جميع الناس ، بل يخص المؤمنين فقط ، وهذا ما قاله الطباطبائي ((والدليل على أنه لا يعم عامة المؤمنين الجملة الحالية وكانوا يتقون الدالة على أن هذا الإيمان وهو حقيقة الإيمان لا محالة كان منهم مسبقا بتقوى مستمر حقيقي وهذا التقوى لا يتحقق من غير إيمان فهو إيمان بعد إيمان وتقوى وهو المساوق لولاية الله سبحانه))^(٤)

٢- قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥)

^(١) الطهراني : علي (ت : ١٣٥٣ هـ) ، مقتنيات الدرر ، ، الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية ، ١٣٣٧ هـ ، د.ط ، ٤٤/٦ .

^(٢) مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ٣٣٢/٤ .

^(٣) ينظر ، محمد جواد (ت : ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ص ٣١٢ .

^(٤) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠٢/١١ .

^(٥) سورة يوسف ، الآية ١١١ .

يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((وهو بيان أمره ، ورشاد من جهل سبيل الحق فعمي عنه إذا تبعه فاهتدى به من ضلالتة ورحمة لمن آمن به وعمل بما فيه ، ينقذه من سخط الله وأليم عذابه ، ويورثه في الآخرة جنانه والخلود في النعيم المقيم . لقوم يؤمنون يقول : لقوم يصدقون بالقرآن وبما فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهييه ، فيعملون بما فيه من أمره وينتهون عما فيه من نهيه)).^(١)

و يبين الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) بتفسير ﴿ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ بأن الله تعالى يرحم أولئك الذين يصدقون برسله ، وعلى الرغم من أن الهداية للجميع إنما من يستفيد منها هم المؤمنون فقط ^(٢) ويقول الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) بتفسير الرحمة هنا ((ونعمة ينتفع بها المؤمنون علما وعملا))^(٣) .

فإن الله تعالى قد خصّ المؤمنين برحمته وهدايته عن باقي البشر ، وهذا هو فضل للذين آمنوا ((وهدى)) من الضلال ﴿ وَرَحْمَةً ﴾ ينال بها خير الدارين ﴿ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ يصدقونه . إنما خصّهم بذلك لأنهم المنتفعون به دون غيرهم .^(٤) فإن الآية تبين أن هذا القرآن الكريم هو رحمة للمؤمنين الذين صدقوا به ((كل ما جاء في القرآن هو حق وصدق ، ومنه قصة يوسف ، وقد جاءت على وفق ما أنزله الله على أنبيائه السابقين في الكتب السماوية مع العلم بأن محمدا لم يقرأها بنفسه ولم يسمعها من غيره ، هذا إلى جانب أن في القرآن بيان العقيدة والشريعة ، وأنه هدى لمن يطلب الهداية لوجهها ، ورحمة لمن يعمل بأحكامه ويتعظ بمواعظه))^(٥) .

فمن أراد أن ينال هذه الرحمة فيجب أن يخلص بتوحيده الله تعالى فخاتمة الآية تبين إن الإيمان الحقيقي لا يناله إلا نفر قليل جداً من الناس ، أما الأكثرون فلا إيمان حقيقي لهم ويكون إيمانهم مشوب بالشرك ، وهذا الإيمان الحقيقي الذي هو التوحيد الخالص لله تعالى هو سبيل الرسول

^(١) الطبري : محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١١٨/١٣ .

^(٢) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٢١٠/٦ .

^(٣) الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٢٤٥/٢ .

^(٤) الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير، ٤٢١/٣ .

^(٥) مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف، ٣٦٤/٤ .

الكريم ويدعو اليه هو ومن اتبعه على بصيرة، حيث إِنَّ تعالى وعد أن يحميه مع الذين اتبعوه ويرحمهم في الدنيا والآخرة^(١)

٣- قوله تعالى ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾^(٢)

يقول الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((معناه هل نجعل الذين صدقوا بالله وأقروا برسله وعملوا الصالحات مثل الذين أفسدوا في الأرض وعملوا بالمعاصي؟! أم هل نجعل الذين اتقوا معاصي الله خوفا من عقابه كالفجار الذين عملوا بمعاصيه وتركوا طاعته؟! فهذا لا يكون ابدا . وكيف يكون كذلك وهؤلاء يستحقون الثواب بطاعتهم وأولئك يستحقون العقاب بمعاصيهم . وقال أبو عبيدة : ليس لها جواب استفهام فخرجت مخرج الوعيد . وقال الزجاج : تقديره ، أنجعل الذين آمنوا وعموا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ، فهو استفهام بمعنى التقرير .))^(٣)

فلاهمية الإيمان فرق الله تعالى بين المؤمنين وبين غير المؤمنين ، فلا يمكن أن يكون الذين اتقوا وعملوا الصالحات كالذين تركوا الطاعات ، فهذا لا يمكن أن يحدث^(٤) ، فإنَّ الله تعالى لا يساوي بين الذين صدقوا به في الدنيا وعملوا بأحكامه وبين غيرهم من الكافرين ((أنَّه لو بطل الجزاء كما قال المشركون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد ، واتقى وفجر ، ومن سوى بينهما كان سفيها ولم يكن حكيما . والآية تدلّ على صحّة القول بالحشر ، فإنّ التفاضل بينهما إمّا أن يكون في الدنيا ، والغالب فيها عكس ما تقتضي الحكمة فيه ، أو في غيرها ، وذلك يستدعي أن تكون دار أخرى يجازون فيها))^(٥) .

(١) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٧٤/١١ .

(٢) سورة ص ، الآية ٢٧ .

(٣) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٨ / ٥٥٧ .

(٤) ينظر ، الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٨ / ٣٥٦ .

(٥) الكاشاني : فتح الله (ت : ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ٢٥ / ٦ .

وهذا تفضيل من الله تعالى للمؤمنين ، وهو يبين أهمية الإيمان عند الله تعالى ((وتقرير الآية أننا نرى في الدنيا من أطاع الله واحترز عن معصيته في الفقر والزمانة وأنواع البلاء ونرى الكفرة والفساق في الراحة والغبطة فلو لم يكن حشر ونشر ومعاد فحينئذ يكون حال المطيع أدون من حال العاصي وذلك لا يليق بحكمة الحكيم العدل الرحيم وإذا كان ذلك قادحا في الحكمة ثبت أن إنكار الحشر والنشر يوجب إنكار الحكمة من الله أي كيف يمكن أن نجعل الذين صدّقوا الله ورسله وعملوا الصالحات والطاعات كالعاملين بالمعاصي في الأرض أو نجعل الذين اتّقوا المعاصي لله خوفا من عقابه كالفجار الذين تركوا الطاعات ؟ إن هذا لا يكون أبداً^(١)).

٤ - قوله تعالى ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾^(٢)

يقول الشريف الرضي (ت: ٤٠٦ هـ) : ((كأن المعنى أن بشرهم بالسلامة من المخاوف عند دخول الجنة تجعل مكان التحية لهم . لأن لكل داخل دارا تحية يلقي بها ، ويؤنس بسماعها . والسلام هاهنا من السلامة ، لا من التسليم))^(٣) فما يبين من أهمية الإيمان هو أن الله تعالى أمر نبيه الكريم بأن يبشر الذين آمنوا بأن لهم الجنة ((أمر للنبي) صلى الله عليه وآله) أن يبشر المؤمنين ، وهو أن يعرفهم ما فيه السرور بالخلود في نعيم الجنة على وجه الاكرام والاجلال بالأعمال الصالحة))^(٤) فإن للذين شرف دخول الجنة ومنزلة عظيمة لا يحصلها الا المؤمنون فإن الله تعالى بين لهم أنهم سيلقون شرفاً كبيراً ونعيماً في الجنة التي سيدخلونها وقيل في قدم الصدق هو أنهم سيحصلون على أجراً حسناً وعلو المنزلة^(٥) ويقول الكاشاني (ت: ٩٨٨ هـ) : ((وخصّص البشارة بالمؤمنين))^(٦) .

^(١) الطهراني : علي (ت: ١٣٥٣ هـ) ، مقتنيات الدرر ، ١٦٤/٩ .

^(٢) سورة يونس ، الآية ٢ .

^(٣) الشريف الرضي : محمد بن الحسين (ت: ٤٠٦ هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، ص ١٥٤ .

^(٤) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٣٣/٥ .

^(٥) ينظر ، الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٥٣/٥ .

^(٦) الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ١٨٧/٣ .

ومنهم من ذهب إلى إنَّ الله تعالى يبشرهم بشفاعه محمد (صل الله عليه وآله) وأهل بيته (عليهم السلام) ، وهذا قول الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ) حيث قال : إن معنى قوله تعالى ﴿قَدَّمَ صِدْقٍ﴾ هو شفاعه النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) . أو يراد به رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) نفسه أو أن المراد منه هو ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)^(١) .

وبين الشيرازي ثلاث تفسيرات للآية حيث يقول : الأول أن الإيمان فطرة في الإنسان ، فعندما يؤمن فإنه يصدق فطرته التي خلقت فيه ، والثاني هو مسألة معاد الآخرة ونعيم الجنة فيعني إنَّ للإنسان في يوم الآخرة منزلة حسنة ومقام رفيع ثابت عند الله تعالى لا تتغير أبداً ، والمعنى الثالث هو القائد أي أنَّ الله تعالى أرسل لهم قائداً وزعيماً للمؤمنين ، حيث وردت العديد من الروايات^(٢) بأنَّ معنى قدم الصدق هو النبي محمد (صل الله عليه وعلى آله) أو ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ^(٣)

٥- قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾^(٤)

أخبر الله تعالى عن صفة المؤمنين ، فقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي صدقوا بتوحيد الله وإخلاص عبادته ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الاعمال ، واجتنبوا القبائح ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي لهم بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ فالفوز النجاة بالنفع الخالص ، وأصله النجاة^(٥) حيث إنَّ الله تعالى يكافئ المؤمنين لإيمانهم ((بسبب إيمانهم وأعمالهم يجازون جَنَّاتٍ جارية فيها الأنهار بمقابلة ما قاسوا من الشدائد والصبر على أذى الكفار

^(١) ينظر، الفيض الكاشاني ، التفسير الصافي ، الفيض الكاشاني ، ١ / ٤٨٤ .

^(٢) علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، عن حماد بن عيسى ، عن إبراهيم بن عمر اليماني ، عن ذكره ، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى : { وَيَبْشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ } فقال : هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، الكافي ، الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) ، دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران ، ١٣٦٣ م ، ط ٥ ، ٨ / ٣٦٤ . ؛ عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : { وَيَبْشِّرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ } قال : ولاية أمير المؤمنين عليه السلام ، المصدر السابق ، ١ / ٤٢٢ .

^(٣) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦ / ٢٩٣ .

^(٤) سورة البروج ، الآية ١١ .

^(٥) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيين في تفسير القرآن ، ١ / ٣١٩ .

« ذلك » أي حصول الجنة « الفوز الكبير » الذي تصغر عنده الدنيا^(١) وهذا وعد الله تعالى لهم ، والله لا يخلف وعده أبداً ، فيوعدهم الله تعالى وعداً حسناً تطيب به نفوسهم على عكس ما قبله من وعيد شديد للكافرين^(٢) فلا فوز أفضل من الفوز بالجنة ، وذلك الفوز ناله المؤمن ((وأي فوز أرقى وأسمى من الوصول إلى جوار الله ، والتمتع في نعيمه الذي لا يوصف ! نعم ، فمفتاح ذلك الفوز العظيم هو (الإيمان والعمل الصالح) ، وما عداه فروع لهذا الأصل))^(٣)

^(١) الطهراني : علي (ت : ١٣٥٣ هـ) ، مقتنيات الدرر ، ١٢ / ١١٤ .

^(٢) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠ / ٢٥٢ .

^(٣) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٠ / ٩٣ .

المبحث الثالث

قيمة التوحيد في سوره الدعوة السرية

المطلب الأول : ماهية التوحيد ومراتبه

المطلب الثاني : أهمية التوحيد في تحرير الناس من عبادة الأصنام

المطلب الثالث : عقاب من أشرك بالله في وحدانيته

كان الناس في عصر الجاهلية غارقون في مجموعة من الأوهام والتقييد الفكري ومعرضون للإستغلال من بعض الناس الذين كانوا يدعون ألوهية الأصنام ووجوب عبادتها ، فكان الناس لا يعبدون إلا تلك الأصنام الخشبية أو الحجرية التي صنعوها بأنفسهم وأعطوها أسماءً معينة ، فجاء الإسلام منفذاً لهم ببيان أن لا إله إلا الله تعالى ، ولا معبود سواه ، ودلت على ذلك الكثير من الآيات القرآنية التي بينت جهلهم بعبادة تلك الأصنام والتي أعطت الأدلة الوافية على وجوب عبادة الله تعالى وحده بدون أي شريك له في العبودية .

ففي هذا المبحث سوف نفصل القول في معنى التوحيد وأهميته وأثره في ضوء آيات سور الدعوة السرية .

المطلب الأول : ماهية التوحيد ومراتبه

أولاً ماهية التوحيد لغة واصطلاحاً :

١- التوحيد لغة :

أ- قال الفراهيدي (ت : ١٧٠ هـ) : ((يقال : ذلك على حدته وهما على حدتهما ، وهم على حدتهم ، والرجل الوحيد ذو الوحدة ، وهو المنفرد لا أنيس معه ، وقد وحد يوحد وحادة ووحدة ووحداً . و التوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له ، والله الواحد الأحد ذو التوحد والوحدانية))^(١)

ب- وعرفه ابن فارس (ت : ٣٩٥ هـ) : ((الواو والحاء والذال : أصل واحد يدل على الانفراد . من ذلك الوحدة . وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله))^(٢)

ت-وتقق الفراهيدي(ت:١٧٠ هـ) و ابن منظور في المعنى (ت : ٧١١ هـ) ، حيث قال في معنى التوحيد : ((والتوحيد : الإيمان بالله وحده لا شريك له . والله الواحدُ الأَحَدُ : ذو الوجدانية والتوحد .))^(٣)

٢- التوحيد اصطلاحاً :

قال الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) : ((أقول : إن الله - عز وجل - واحد في الإلهية والأزلية لا يشبهه شيء ، و لا يجوز أن يماثله شيء ، وأنه فرد في المعبودية لا ثاني له فيها على الوجوه كلها والأسباب ، وعلى هذا إجماع أهل التوحيد إلا من شذ من أهل التشبيه))^(٤) وبين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) التوحيد بأنه الاعتراف بوجدانية الله تعالى الجامع لكل صفات الكمال والتي تستلزم المعاد والنبوة والولاية^(٥)

^(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ٢٨١/٣ ، (باب الحاء والذال) .

^(٢) ابن فارس : احمد، معجم مقاييس اللغة ، ، ٩٠/٦ ، (باب الواو والحاء وما يتلثهما).

^(٣) ابن منظور : لسان العرب، ٤٥٠/٣، (فصل الواو).

^(٤) الشيخ المفيد : محمد بن محمد ، أوائل المقالات، ص ٥١.

^(٥) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن، ١٨٧/١٦.

وقال الخراساني ((هو الاعتقاد بأن الله واحد ، ليس مركبا من أجزاء وصفات - لأن وجود أي مركب يحتاج إلى أجزاء وإلى من يركبها ، والوجود المحتاج محال أن يعطي الوجود لنفسه ، فضلا عن غيره - وأنه لا شريك له في ألوهيته ولا في صفاته))^(١) فهو يعني تفرد الله تعالى بالخلق والتدبير والإلهية أيضاً ، عليه يستوجب استحقاقه بالعبادة ، وتفرد به بذلك^(٢) أي هو : ((التوحيد، هو الإيمان بالله ووحديته، وهو أهم الاعتقادات التي لها صلة بالدين))^(٣)

ومنهم من قال جاء معنى التوحيد في الاصطلاح بأنه : ((تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام ، ويتخيل في الأوهام والأذهان ، وهو ثلاثة أشياء معرفة الله تعالى بالربوبية ، والافترار بالوحدانية ، ونفي الأنداد عنه))^(٤) وقال غيره بأن التوحيد اصطلاحاً هو الجزم بأن لا شريك آخر لله تعالى^(٥) وهناك من عرفها على أنها ((إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات))^(٦)

ثانياً : مراتب التوحيد

١- التوحيد في الذات : والمراد منه أن الله تعالى واحد لا نظير له ، فرد لا مثيل له^(٧)

وبتعبير أوضح ((هو أن الذات الإلهية لا تقبل التعدد ، ولا يمكن أن يتصور الذهن مصداقاً وفرداً آخر لله تعالى في عالم الخارج ، فالذات الإلهية تكون بحيث لا تقبل التعدد والتكثر))^(٨)

إذ إن العقيدة الإسلامية بينت بأن الله واحد ونفت غيره من الآلهة ، وأثبت القرآن الكريم مبدأ الوحدة المطلقة ونفي الوحدة العددية عن الله تعالى فهو القهار الذي لا يقهره شيء ولا يحده حد وله الكمال المطلق^(٩)

^(١) الخراساني : وحيد، منهاج الصالحين ، ، د.ت ، د.ط ، ٣٥/١.

^(٢) ينظر ، الحكيم : محمد سعيد (ت: ١٤٤٣ هـ) ، أصول العقيدة، ص ٥٥.

^(٣) مطهري : مرتضى (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التوحيد، ، ص ١٣.

^(٤) أبو حبيب : سعدي، القاموس الفقهي، ص ٣٧٤.

^(٥) ينظر ، الجنابي : مهدي قيس، مصطلحات علم ، ص ٢٩.

^(٦) الصغير : علي محمد، مقاصد التوحيد وعلاقتها بالحكم الشرعي، ص ٣٢٠.

^(٧) السبحاني : جعفر ، التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ص ٢٢ .

^(٨) السبحاني : جعفر ، مفاهيم القرآن، ٢٦٨/١.

ويدل على ذلك الكثير من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(١) وقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾^(٢) وقوله تعالى ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾^(٤)

٢- التوحيد في الصفات : هو الاعتقاد بأنَّ تعالى متفرد بكون صفاته تعالى عين ذاته ولا

تزيد عليها ، ولا يشبهه في ذلك أحد ؛ لأنَّ صفاته تعالى الكمالية الثبوتية إما :-

أ- حقيقية ؛ كالعلم والقدرة والحياة والغنى ؛ فهي صفات اتصفت بها ذاته ، فيمتنع اتصافه بضدها

ب-إضافية كالخالقية والرازقية والإحياء والإماتة ، فهي صفات أفعاله التي انَّصف تعالى بها وبضدها ؛ أذ يقال : إنَّ الله تعالى خلق هذا ولم يخلق أخاه بعد ، ورزق هذا ولم يرزق ذاك بعد^(٥)

وهذه الصفات هي التي تميز الله تعالى عن غيره ، وتبين عظمة الله تعالى وقدرته وشأنه ، وهي من الأسباب التي تزيد معرفة العبد بالله تعالى ، فهي تُعرف الله لعباده وتشدهم إليه وتؤثر في نفوسهم وذلك عندما يكون الناس بحاجة إلى ماسة إلى الله تعالى يأتي دور هذه صفاته^(٦)

فصفاته تعالى على قسمين ، الاول هو صفات الذات مثل " وعظمة الله ، وقدره الله ، وكبرياء الله ... " فإن كان يُقصد بالمعنى الذي يكون به قادراً وعالماً فهو لا يكون يميناً ، وإن كان

(١) ينظر ، السبزواري: عبد الأعلى (ت: ١٤١٤ هـ) ، التوحيد في، ص ٢٠-٢١.

(٢) سورة الشورى ، الآية ١١.

(٣) سورة الاخلاص ، الآيات ١-٤.

(٤) سورة الزمر ، الآية ٤.

(٥) سورة الرعد ، الآية ١٦.

(٦) الخرسان : محمد صادق محمد رضا، التوحيد، ص ٣١.

(٧) ينظر ، التميمي: محمد خليفة علي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها، ص ٧.

المقصود منه عاملاً وقادراً فهو يمين بالله تعالى ، وإنَّ صفات الأفعال أبعد في الإنعقاد من صفات الذات ؛ لأنها مشتركة بينه وبين خلقه فيقال : ((رازق الخلق له تعالى ، ورازق الجند لغيره تعالى))^(١)

٣- التوحيد في الأفعال : ويقصد به إسناد جميع الأفعال إلى الله عزَّ وجلَّ . وهي تنقسم إلى التوحيد في الخالقية والربوبية والمالكية والحاكمية^(٢)

أ- توحيد الخالقية : والمراد به : أنه ليس هناك خالق بذاته أصيل مستقل بالخلق إلا الله تعالى . وأما غيره من المؤثرات فهي غير مستقلة التأثير ، بل تستمد قوتها منه تعالى^(٣) وما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رُبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(٤)

ب- التوحيد في الربوبية : ويقصد به أنَّ للكون مدبر واحد وهو الله تعالى ومتصرفاً فيه واحد لا يشاركه أحداً ، فتدبير الملائكة وكل الأسباب في هذا الكون بعضها لبعض بأمر الله تعالى^(٥) ويدل عليه قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ أَقْلًا تَذَكَّرُونَ﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾^(٧) وقوله تعالى ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾^(٨) وقوله تعالى

(١) ينظر ، جاسم : كريم حمزة حميدي، عقيدة التوحيد في شرح (نهج البلاغة) للسيد هادي كمال الدين الحلي، ص ٧١.

(٢) خسروبناه : عبد الحسين، الكلام الإسلامي المعاصر، ١/١٠٠.

(٣) القطيفي : نزار آل سنبل، توحيد العبادة ص ٨.

(٤) سورة الأنعام ، الآية ١٠٢.

(٥) ينظر ، السبحاني : جعفر، التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ص ٢٤.

(٦) سورة يونس ، الآية ٣.

(٧) سورة الرعد ، الآية ٢ .

(٨) سورة النازعات ، الآية ٥.

﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾^(١)

ت- التوحيد في الحاكمية والمالكية : معنى الحاكمية هو السلطة ، والحاكم هو من لديه السلطة والقدرة في بسط النظام وسيادته ، وإذا تُبَيَّنَّت خالقية الحق لله تعالى فإنَّ العقل يثبت تباعاً بأنَّ الله تعالى هو من له الحق في أن يتصف بالحاكمية والسلطة على الإنسان وليس لأحد غيره ذلك^(٢) والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾^(٤)

وأضاف الشيخ السبحاني أيضاً

أ- التوحيد في التشريع والتقنين : يقول السبحاني ((لا يشك عاقل في أنَّ حياة الإنسان الاجتماعية يحتاج إلى قانون ينظم أحوال المجتمع البشري ووضاعه وقوده إلى الكمال الذي خلق له . غير أنَّ القرآن الكريم لم يعترف بتشريع للبشرية غير تشريع الله تعالى ، ولا قانون سوى قانونه ، فهو يراها المشرع الوحيد الذي يحق له التقنين خاصة))^(٥)

وبدل على ذلك قوله تعالى ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ آمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾^(٧)

(١) سورة الأنعام ، الآية ٦١ .

(٢) ينظر ، خسروبناه : عبد الحسين ، الكلام الإسلامي المعاصر ، ١/ ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية ٢٦ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ٣٤٧ .

(٥) السبحاني : جعفر ، التوحيد والشرك في القرآن الكريم ، ص ٣١ .

(٦) سورة يوسف ، الآية ٤٠ .

ب- التوحيد في الطاعة : يقول السبحاني : ((المراد منه أنه ليس هناك من تجب طاعته بالذات إلا الله تعالى فهو وحده الذي يجب أن يُطاع ، وهو وحده الذي يجب أن تُمتثل أوامره))^(٢) ودلّ القرآن الكريم على ذلك بقوله تعالى ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقْ شَحْ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣) حتى النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) لا يُطاع إلا الله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾^(٤)

المطلب الثاني : أهمية التوحيد في تحرير الناس من عبادة الأصنام

مما لا شك فيه أن كثرة الدعوات في القرآن الكريم من أجل التوحيد إنما جاءت من أجل انقاذ الناس من الأفكار الجاهلية التي كانت وكان أهمها نبذ التقليد الأعمى وعبادة تلك الأصنام التي صنعوها بأنفسهم وأعطوها مجموعة مسميات، وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب ، حيث سنطبق ما ذكرناه فيسور الدعوة السرية فقط .

١- قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾^(٥)

يبين الله تعالى في كتابه الكريم إنه أنزل هذا الكتاب هداية للناس ، ويبعدهم عن ضلالهم ، ثم بين تعالى بأنه مالك السماوات والأرض ، وليس له ولد كما ادعى المسيح ، أو العرب الذين

(١) سورة المائدة ، الآية ٥٠.

(٢) السبحاني : جعفر، التوحيد والشرك في القرآن الكريم، ص ٣٢.

(٣) سورة التغابن ، الآية ١٦.

(٤) سورة النساء ، الآية ٦٤.

(٥) سورة الفرقان ، الآيات ١-٣.

قالوا بأنَّ الملائكة بنات الله تعالى ، ثم يبين بعد لذلك الصفات الوضيعة للأصنام التي كانوا يعبدونها من أجل حث الناس على ترك عباداتها ، فبين أنها ليس لها القدرة على إطالة حياتكم ، أو حتى موتكم ، فهي لا تضر ولا تنفع ^(١) .

فإنَّ الله تعالى اثبت أولاً أولويته في وجوب التوحيد به ثم بين النواقص التي تمتلكها الأصنام ، حتى يبتعد الناس عن هذه الخرافات ويعبدون الله الواحد الأحد ((ولمَّا تَضَمَّنْ الكَلَامُ إثبات التوحيد والنبوة ، أخذ في الرد على المخالفين فيهما ... والحاصل : أنَّهم آثروا على عبادة الله عبادة آلهة ، لا عجز أبين من عجزهم ، فإنَّهم لا يقدرُونَ على شيء من أفعال العباد ، فضلاً عن أفعال الله سبحانه . ومن كان كذلك فبمعزل عن الألوهية ، لعرائه عن لوازمها ، واتصافه بما ينافيها . فكيف يعبدون من لا يقدر على شيء من ذلك ، ويتركون عبادة ربهم الذي يملك ذلك كله ؟))^(٢)

٢- قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ ﴾^(٣)

يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((الخطاب من الله كان لرسول الله (ص) في أشخاص بأعيانهم من المشركين ، قد علم أنهم لا يؤمنون أبداً ، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه ، فأمر نبيه (ص) أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه ، وحدثوا به أنفسهم ، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم ، في وقت من الأوقات ، وآيس نبي الله (ص) من الطمع في إيمانهم ، ومن أن يفلحوا أبداً ، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا ، إلى أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف ، وهلك بعض قبل ذلك كافراً))^(٤).

فالآية الكريمة تأمر النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) بأن يقول لمجموعة من الكافرين بأنه لن يعبد تلك الأصنام التي كانوا يعبدونها قبل الإسلام وأثنائه ، فإن لم تتبعوني لا علاقة لكم

(١) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤٧١/٧ .

(٢) الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ٥٤٧/٤ .

(٣) سورة الكافرون ، الآيات ١-٦ .

(٤) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٤٩٢/٣٠ .

بديني^(١) وبه يقول الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((فيها أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يظهر للكفار براءته من دينهم ويخبرهم بامتناعهم من دينه فلا دينه يتعداه إليهم ولا دينهم يتعداهم إليه فلا يعبد ما يعبدون أبدا ولا يعبدون ما يعبد أبدا فليياسوا من أي نوع من المداهنة والمساهلة ((^(٢).

ويبين الشيخ الشيرازي بأن الله في هذه الآية أجبر الكافرين على وجوب عبادته وحده لا غير : ((أن الكلام في هذه السورة يدور حول العبادة لا الخلقة ، ويتضح أن عبدة الأصنام كانوا يعتقدون أن " الله " خالق الكون ، لكنهم كانوا يرون ضرورة " عبادة " الأصنام كي تكون واسطة بينهم وبين الله ، أو لاعتقادهم بأنهم ليسوا أهلا لعبادة الله ، بل لابد من عبادة أصنام جسمية ، والقرآن الكريم يرد على هذه الأوهام ويقول : إن العبادة لله وحده لا للأصنام ولا لخليهما ((^(٣)

٣- ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤)

تنتهي الآية الكريمة من عبادة غير الله تعالى ، وطلب الحوائج من غيره تعالى ، فكل شيء غيره زائل وهالك فله الحكم بكل شيء وبه ياتمر كل شيء^(٥) وبه قال الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) : ((أي : لا تعبد معه غيره ، ولا تستدع حوائجك من جهة ما سواه . (لا إله إلا هو) أي : لا معبود إلا هو ، وحده لا شريك له . (كل شيء هالك إلا وجهه) أي : كل شيء فان بائد ، إلا ذاته . وهذا كما يقال : هذا وجه الرأي ، ووجه الطريق ، وهذا معنى قول مجاهد . (إلا هو) وفي هذا دلالة على أن الأجسام تقنى ، ثم تعاد ، فإن ذلك يبقي ثوابه أي : إليه أوجه العمل . وعلى هذا يكون وجه الله ما وجه إليه من الأعمال . (له الحكم) أي : له القضاء النافذ في خلقه . وقيل : له الفصل بين الخلائق في الآخرة دون غيره))^(٦) .

(١) ينظر ، الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير، ٥٣٩/٧.

(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، ، الميزان في تفسير القرآن، ٣٧٣/٢٠.

(٣) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥١٣/٢٠.

(٤) سورة القصص ، الآية ٨٨.

(٥) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ١٨٤/٨.

(٦) الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان، ٤٦٥/٧.

ففي الآية رسالة لجميع الناس بترك عبادة غير الله تعالى ، لأنه لا يستحق العبادة غيره تعالى ((هذا تنزيه لله عن الشرك بصيغة النهي أي لا تسوغ العبادة إلا لله وحده ، ولا الخوف إلا منه ، ولا التوكل إلا عليه . وهو سبحانه المسؤول أن يهبنا صدق المتوكلين عليه وخوف المخلصين له بمحمد وآله الطاهرين ، عليهم أزكى الصلوات .))^(١)

فإن الله تعالى وحده من يتصف بالعلم والقدرة والسمع والبصر ، وحده من يخلق و يرزق ويميت ويحيي الناس ، أما باقي الأصنام فما هي إلا مجرد خشب أو حجارة لها تسميات معينة من قبل عبديتها ، فلا تستحق العبادة ، وحده الله الباقي في الوجود و وحده من يستحق العبادة^(٢) .

فإن الله تعالى أراد أن يبعد الناس عن عبادة الأصنام التي لا فائدة منها ، وهذا هو منهج الإسلام في تربية الناس ((وهذه الأوامر المتتابعة كل واحد منها يؤكد الآخر ، يوضح أهمية التوحيد في المنهج الإسلامي ، إذ بدونه يكون كل عمل زيفا ووهما . وبعد هذه الأوامر الأربعة تأتي أوصاف أربعة لله سبحانه ، وهي جميعا تأكيد

على التوحيد أيضا . فالأول قوله : لا إله إلا هو . والثاني قوله : كل شيء هالك إلا وجهه . والوصف الثالث : له الحكم والحاكمية في عالمي التشريع والتكوين . والرابع : أن معادنا إليه وإليه ترجعون . والأوصاف الثلاثة الأخيرة يمكن أن تكون دليلا على إثبات التوحيد وترك جميع أنواع عبادة الأصنام ، الذي أشير إليه في الوصف الأول ! لأنه طالما كنا هالكين جميعا وهو الباقي وطالما كان التدبير لنظام الوجود بيده والحكم له ! وطالما كان معادنا إليه وإليه نرجع ! . . . فما عسى أن يكون دور المعبودات غيره ، وأي أحد يستحق العبادة سواه ! ؟)^(٣)

٤- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ۚ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤)

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير المبين، ص ٥٢٠.

(٢) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن، ٩٠/٩١-٩١.

(٣) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣١٨/١٢.

(٤) سورة يونس ، الآية ٣.

يقول الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((خاطب الله تعالى بهذه الآية جميع الخلق وأخبرهم بأن الله الذي يملك تدبيركم وتصريفكم بين أمره ونهيه ويجب عليكم عبادته " الله الذي خلق السماوات والأرض " فاخترعهما وأنشأهما على ما فيهما من عجائب الصنعة ومتقن الفعل . وإطلاق الرب لا يقال إلا فيه تعالى ، فأما غيره فإنه يقيد له ، فيقال : رب الدار ، ورب الضيعة بمعنى أنه مالکها . وكذلك معنى قوله " رب العرش " والربوبية ملك التدبير الذي يستحق به العبادة))^(١).
فبيّن الله تعالى أحقيته في العبادة والتوحيد وذلك لأنّه المدبر الوحيد لجميع شؤون الناس .

وأما قوله ﴿ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ يقول الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) : ((إنما قال هذا وإن لم يجر ذكر للشفعاء لأن الكفار كانوا يقولون : الأصنام شفعاؤنا عند الله ، فبين سبحانه أن الشفيع إنما يشفع عنده ، إذا أذن له في الشفاعة ، وإذا كانت الأصنام لا تعقل ، فكيف تكون شافعة مع أنه لا يشفع عنده أحد من الملائكة والنبیین إلا بإذنه وأمره))^(٢) ، إذ إنّ الآية الكريمة إنّما أرادت أن تحرر الناس من عبادة الأصنام فبيّنت أن لا شفاعة إلاّ لله تعالى ، حتى الأنبياء والملائكة لا يحق لهم الشفاعة بدون إذنه فكيف بالأصنام ، فوجب تركها وعبادة الله الواحد الأحد .

وأما قوله تعالى ﴿ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ((أي : الموصوف بتلك الصفات المقتضية للألوهية والربوبية ، ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ ﴾ لا غير ، إذ لا يشاركه أحد في شيء من ذلك ﴿ فَاعْبُدُوهُ ﴾ ، وحدّوه بالعبادة ، ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك أو إنسان ، فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع ، ﴿ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ، تتفكرون أدنى تفكر ، فينبهكم على أنّه المستحق للربوبية والعبادة لا ما تعبدونه .))^(٣) فتدل هذه الآية على وجوب اتباع الله تعالى لما يمتلكه من صفات تأهله لتلك العبودية ، على عكس ما كانوا يعبدون سابقا من الجمادات التي صنعوها بأيديهم .

(١) الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٣٤/٥ .

(٢) الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٥٦/٥ .

(٣) الكاشاني : فتح الله (ت : ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ١٨٨/٣ .

فإنَّ النعم كلها من الله تعالى وتدبير الخير والشر إليه وهذا دليل آخر على وحدانيته في الربوبية ، فعندما تكون كل نعم الدنيا من رحمته ، وعندما يكون تعالى المستقل في تدبير كل شيء حتى الملائكة عندئذ يستحق الربوبية والإلهية ^(١)

ثم إنَّ هناك غرضاً من ذكر الشفاعة بعد التدبير ذكره السبحاني ((ثم إنَّ النكتة في شفاعة الشفيع بإذنه سبحانه بعد مسألة حصر التدبير بالله تعالى هو أنَّ المراد منه -في المقام- الشفيع التكويني ، أعني : نظام العلة والمعلول الحاكم على عالم الطبيعة ، فتشير الآية إلى أنَّ تأثير أية علة في العوالم العلوية أو السفلية منوطة بالإذن الإلهي)) ^(٢)

٥- قوله تعالى ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۚ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣)

يقول الطبرسي (ت: ٥٤٨هـ) إنَّ الآية تدل على أنَّ عبادة غير الله من الأصنام ما هي إلا مجرد أسماء سماها عبدها لا تضر ولا تنفع وليس عليها أي دليل أو حجة ، وإنَّ الحكم لله تعالى وحده وهو أمر بعبادته لا شريك معه لأنَّه من يستحق تلك العبودية والتوحيد ^(٤)

وتتبين أهمية التوحيد في الآية المباركة من خلال دعوتها إلى ترك عبادة تلك الأصنام الواهية وعبادة من يستحق ذلك ((وهذا من التدرج في الدعوة وإلزام الحجة ، لأنَّه بيّن لهم أولاً رجحان التوحيد على اتخاذ الآلهة على طريق الخطابة ، ثم برهن على أنَّ ما يسمونها آلهة ويعبدونها لا تستحق الإلهية ، فإنَّ استحقاق العبادة إمّا بالذات وإمّا بالغير ، وكلا القسمين منتف عنهما ، ثم نصَّ على ما هو الحق القويم والدين المستقيم الذي لا يقتضي العقل غيره ، ولا يرتضي العلم دونه)) ^(٥) فمن أهم فوائد التوحيد هو تحرير عقل الإنسان من عبادة الأصنام وذلك من خلال الأدلة التي طرحها القرآن الكريم فقله ﴿ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا ﴾ معناها ((فكانكم لا تعبدون إلاَّ

^(١) ينظر الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٧٨/١٧ .

^(٢) السبحاني : جعفر ، مفاهيم القرآن ، ٣٩٨/١ .

^(٣) سورة يوسف ، الآية ٤٠ .

^(٤) ينظر ، الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٢٢٠/٢ .

^(٥) الكاشاني : فتح الله (ت : ٩٨٨ هـ) ، زبدة التفاسير ، ٣٧٠/٣ .

الأسماء المجردة . والمعنى : أنكم سمّيتُم ما لم يدلّ على استحقاقه الألوهيّة عقل ولا نقل آلهة ،
ثم أخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها))^(١).

حيث استخدم الله الطرق العديدة من أجل بسط التوحيد في نفوس الناس وتخليصهم من براثن
الجاهلية))(انكم تعبدون مجرد أسماء لا وجود لمعانيها إطلاقاً ، وكل ما لا وجود له لا أثر له ،
وتستحيل إقامة الدليل عليه . . فمعبودكم - إذن - خيال في خيال . . وهكذا العالم الحكيم ينتقل
من أسلوب إلى أسلوب لإقناع الجاهل ، يلوح ثم يصرخ حتى يصل إلى ما يبتغيه من الإذعان
والتسليم لدعوته .))^(٢)

المطلب الثالث : عقاب من أشرك بالله في وحدانيته

بينت الآيات القرآنية كثيراً جزاء من أشرك بالله تعالى في الدنيا والآخرة ، وحيث إنّ نفس هذه
الآيات تدل على أيضاً ثواب الموحدين بالله تعالى . وهذا ما سنبينه معتمدين على آيات سور
الدعوة السرية .

وما يدل على ذلك :-

١- قوله تعالى ﴿ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾^(٣)

إذ إنّ الله تعالى أمر الملكين بأنّ يعذبوا من جعلوا مع الله تعالى إلهاً غيره ، وليس أي عذاب بل
عذاب شديد^(٤) فتنبين أهمية قيمة التوحيد بالنسبة إلى الناس وذلك بأنهم يبتعدوا به عن عذاب الله
تعالى وسخطه ، حيث إنّ من يجعل الها مع الله ((أنه يقول غدا للسائق والشهيد : خدا إلى جهنم
من أشرك بي ، وكفر بالحق وعانده ، وأعرض عن الخير وصد الناس عنه ، ثم يعاود سبحانه
القول عليهما مكرراً ومؤكداً : « فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ »))^(٥) فالتوحيد يبعد الإنسان عن

^(١) رضا : محمد (ت: ١١٢٥ هـ) ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ٣/ ٣١٢.

^(٢) مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف، ٤/ ٣١٥.

^(٣) سورة ق ، الآية ٢٦.

^(٤) ينظر ، الطبرسي ، الفضل بن الحسن، مجمع البيان ، ، ٩/ ٢٤٤.

^(٥) مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف، ٧/ ١٣٥.

المعاصي الكبيرة والصفات الرذيلة حيث يقول الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) : ((العدل في ذكر صفة الشرك عن الإيجاز إلى الاطناب حيث لم يقل : مشرك وقال : (الذي جعل) الخ ، للإشارة إلى أن هذه الصفة أعظم المعاصي وأم الجرائم التي أتى بها والصفات الرذيلة التي عدت له من الكفر والعناد ومنع الخير والاعتداء والإرابة . وقوله : ﴿ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴾ تأكيد لما تقدم من الأمر بقوله : ﴿ أَلْقِيَا ﴾ الخ ، ويلوح إلى تشديد الأمر من جهة الشرك ، ولذا عقبه بقوله : (في العذاب الشديد))^(١) فيعد الشرك بالله الجذر الأصل والأساس لكل الانحرافات الأخرى لأنه السبب الباعث على المعاصي الأخرى^(٢) فتتبين أهمية التوحيد بالنسبة للإنسان من أجل الابتعاد عن عذاب الله تعالى ، وهذا ما أكدته القرآن في مواضع كثيرة ((لم يعهد في القرآن الكريم أن تكون عقيدة بهذه المثابة والأهمية فقد بسط القول في التوحيد ... وأبطل التشريك بجميع مظاهره ... ، وقد جعل الإسلام شعاره الشهادة بالوحدانية لله تعالى ونفي ما عداه من الألوهة))^(٣)

٢- قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾^(٤)

يفسر الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) الآية بأن الذي يجعل هناك الها غير الله تعالى فإنه سوف يلاقي آثام العقاب^(٥) فمعنى الآية ((يجعلون لله سبحانه شريكا بل يوجهون عبادتهم إليه وحده . ﴿ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ ﴾ أي : حرم الله قتلها ﴿ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ . والنفس المحرم قتلها نفس المسلم والمعاهد . والمستثناة قتلها نفس الحربي . ومن يجب قتلها على وجه القود والارتداد ، أو للزنا بعد الإحصان ، وللسعي في الأرض بالفساد ... وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما بالإسناد عن عبد الله بن مسعود ، قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أي الذنب أعظم ؟ قال : أن تجعل لله ندا ، وهو خلقك . قال ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك . قال ، قلت : ثم أي ؟ قال : أن تزاني حليلة جارك . فأنزل الله تصديقها ﴿

^(١) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٥١/١٨ .

^(٢) ينظر ، الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٣/١٧ .

^(٣) السبزواري : عبد الأعلى (ت : ١٤١٤ هـ) ، التوحيد في القرآن ، ، ص ١٩ .

^(٤) سورة الفرقان ، الآية ٦٨ .

^(٥) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥٠٨/٧ .

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴿١﴾ الْآيَةُ . ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ﴾ قال مقاتل : هذه الخصال جميعا ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ أي : عقوبة وجزاء لما فعل . قال الفراء : أثمه الله يأثمه إثما وأثاما أي : جزاء جزاء الإثم ((٢)) فتدل الآية الكريمة على عقاب من جعل مع الله تعالى إلهاً آخر ، لأنَّ وحدته غير عددية ((الله تعالى واحد ، فيعني أنه لا يفترض له ثانٍ ، ولا يتكرر وجوده ، فلا تعدد له مع وحدته ؛حيث أنَّ وحدته ليست بعددية))(٣)

٣- قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٤)

حيث أرسل الله تعالى النبي نوح (عليه السلام) من أجل أن يأمر قومه بعبادة الله تعالى ، والعبادة خضوع الإنسان بقلبه أشد الخضوع ، فلا أحد يستحق العبادة غيره تعالى فلا إله غيره ولا معبود سواه ، ثم حذرهم من عذاب الله تعالى العظيم الذي سيسلط عليهم إذا اشركوا بالله تعالى إلهاً غيره(٥) حيث أن ((التوحيد الذي دعا اليه الأنبياء يتميز بنبذ الآلهة المتعددة ، وهداية البشر نحو الإله الواحد الأحد ، وانطلاقاً من هذه الأهمية القصوى للقضاء على الإلهة المتعددة جاء التأكيد القرآني الآيات يبين بطلان الآلهة المزيفة وأرباب النوع جميعاً)) (٦)

فإنَّ التوحيد بالله تعالى مهم جداً في حياة الإنسان ذلك لأنَّه يبعد الإنسان عن عذاب الله تعالى وسخطه ، فقوله تعالى ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ ((بيان للداعي إلى عبادته بأنه هو الذي يحذر عقابه دون من كانوا يعبدونه من دونه ، واليوم العظيم : هو يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم))(٧) والعذاب واقع على المشركين بلا شك في ذلك ((لم يجعل خوفه عليهم على وجه الشك ، بل أخبرهم أن هذا العذاب سيحل بهم ان لم يقبلوا ما أتاهم به ، لان الخوف قد

(١) سورة الفرقان ، من الآية ٦٨ .

(٢) الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ، ٣١١/٧ .

(٣) الخرسان : صادق محمد رضا، التوحيد ، ص ٤٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٥٩ .

(٥) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٤/٤٣٥ .

(٦) طالب : مها، ادلة التوحيد في التدبير والربوبية واثراها في تربية، ص ٢٨٣ .

(٧) الطبرسي ، الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع، ١/٦٦٦ .

يكون مع اليقين كما يكون مع الشك ألا ترى أن الإنسان يخاف من الموت وهو لا يشك في كونه))^(١)

فلا بد على الإنسان أن يعرف أهمية التوحيد ويؤمن به حتى يأمن من عذاب الله تعالى ، فالنبي نوح (عليه السلام) اختصر رسالة ربه إلى قومه بأن يوحدوا بالله تعالى وحده لا شريك له ، أو يتلقوا عذاب الله تعالى ^(٢) فالآية كفيّة بأن تبين أحوال السابقين الذين لم يؤمنوا بالله تعالى ((تعقيب لما تقدم من الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك بالله سبحانه والتكذيب لآياته بذكر قصة نوح عليه السلام وإرساله إلى قومه يدعوهم إلى توحيد الله وترك عبادة غيره وما واجهته به عامة قومه من الإنكار والاصرار على تكذيبه فأرسل الله إليهم الطوفان وأنجى نوحا والذين آمنوا معه ثم أهلك الباقين عن آخرهم . ثم عقب الله قصته بقصص عدة من رسله كهود وصالح وشعيب ولوط وموسى عليهم السلام للغرض بعينه))^(٣) ، إذ إنّه لا يترك التوحيد ولا يؤمن بالله تعالى وحده لا شريك إلا من كانت له مصالح شخصية ((فالأنبياء يدعون إلى الإله الواحد ويأمرون بالعدل والإصلاح والناس يتمسكون بالعادات والتقاليد البالية ويصر على ذلك أصحاب المنافع الشخصية والأهواء الخاصة بشكل خاص ، والطواغيت والجبابرة منهم بشكل أخص))^(٤) . وليس للوثنية مساوئ أخروية فقط ، بل له مساوئ دنيوية فقط وذلك بأنّه يقطع طريق سعادة الإنسان ((أن الوثنية كانت أسوأ مانع في طريق سعادة البشرية جمعاء ، وأن حملة غصون التوحيد هؤلاء كانوا أول ما يفعلونه لغرس هذه الغصون في مزرعة الحياة البشرية وتربية أنواع الورود الزاهية والأشجار المثمرة فيها ، هو أنهم يشمرون عن ساعد الجد ليظهروا الحياة البشرية بمنجل تعاليمهم البناءة من الأشواك ، أشواك الوثنية والشرك والعبودية لغير الله تعالى))^(٥)

^(١)الحلي : ابن ادريس (ت: ٥٩٨ هـ) ، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب ، ١/٣٢٢ .

^(٢) ينظر ، مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير الكاشف ، ٣/٣٤٥ .

^(٣) ، مغنية : محمد جواد (ت: ١٤٠٠ هـ) ، التفسير المبين ، ٨/١٧٣ .

^(٤)الحكيم : محمد باقر (ت: ١٤٢٥ هـ) ، علوم القرآن ، ، ص ٣٥٩ .

^(٥)الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥/٨٧ .

٤ - قوله تعالى ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴾^(١)

روى السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ) : ((روى أن المشركين قالوا له : ارجع إلى دين آبائك ، فإن أردت المال جمعنا لك المال ، وإن أردت الرئاسة قلدناك الرئاسة علينا))^(٢) و يقول مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) في تفسيرها : ((ظاهر السياق يدل ان الخطاب لرسول الله (ص) ، ولكن القصد منه الإخبار بأن كل من يدعو مع الله إلها آخر فهو من المعذبين كائنا من كان .))^(٣) فهذا آية أخرى تبين أهمية التوحيد إلى الناس من خلال بيان عقاب غير الموحدين ، وذهب السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) إلى أن الآية الكريمة موجهة إلى النبي محمد (صل الله عليه وآله وسلم) فالحصمة التي لديهم لا تمنعهم من أوامر الله ونواهيه وارتفاع التكليف أيضاً بما أنه بشر مختار في حقه الطاعة والمعصية^(٤) فخطاب الله تعالى إلى نبيه الكريم بوجوب التوحيد يدل على أهمية قيمة التوحيد للناس ، فهو خطاب بظاهره إلى الرسول الكريم لكنه موجه إلى الناس أجمع ((وقبل كل شيء فإن الله يدعو النبي (صل الله عليه وآله وسلم) إلى الاعتقاد التام بالتوحيد ، التوحيد الذي هو أساس دعوات الأنبياء جميعاً . . . يقول سبحانه : فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين . . . ومع أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كان من المقطوع به أنه ينادي إلى التوحيد ولا يمكن أن يتصور انحرافه عن هذا الأصل . . . إلا أن أهمية هذه المسألة كانت بحيث أن يكون شخص النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) - قبل كل شيء - مخاطباً بها . ليعرف الآخرون موقفهم . . . ثم إن بناء الآخرين يبدأ من بناء شخصية الإنسان نفسه))^(٥)

(١) سورة الشعراء ، الآية ٢١٣ .

(٢) السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ) ، تفسير السمعاني ، ٦٩/٤ .

(٣) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٥٢١/٥ .

(٤) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٢٨/١٥ .

(٥) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٧٩/١١ .

٥- قوله تعالى ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾^(١)

في الآية الكريمة خطاب موجه إلى الرسول الكريم لكن يُراد به الناس أجمع وهو أن من يجعل مع الله تعالى إلهاً آخر فيعبده سيذله الله تعالى ويخزيه في الدنيا والآخرة^(٢) وعلى عكسه يكون المؤمن بالله تعالى ممدوحاً منصوراً ، وهذا يدل عليه معنى قوله تعالى ﴿مَذْمُومًا مَّخْذُولًا﴾ ((جامعا على نفسك الذم من الملائكة والمؤمنين ، والخذلان من الله . ومفهومه : أن الموحد يكون ممدوحاً منصوراً))^(٣). فتبين الآية وجوب الابتعاد عن الكفر بالله تعالى وأهمية توحيده ، فالكفر يكون سبباً في العذاب الأليم والجهل ((علم أن الكفر الذي هو منشأ العذاب الأليم الشديد هو ضرب من الجهل أعني المركب مع الاعتقاد المشفوع بالإستكبار والعناد لا مجرد الجهل البسيط بالمعارف ولذلك وصف الله تعالى أولئك الكافرين بمحبة الدنيا والصد عن سبيل الله وطريق الحق والضلال والاعوجاج عن سبيله))^(٤) ولا شك في أن للتوحيد فوائد كثيرة حتى يبين الله عقوبة غير الموحدين فمن تلك الفوائد ((للتوحيد آثار في نفس الإنسانية كالإخلاص ، والصدق والرجاء والخوف والتواضع والحلم وغيرها ، فهو الأساس الذي ترتكز عليه التصرفات جميعاً ، فإن كان الإيمان صحيحاً ، كان السلوك منتظماً وأن شأبه شائبة))^(٥)

(١) سورة الأسراء ، الآية ٢٢.

(٢) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ، ٢٣٧/٦.

(٣) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفسير ، ٢١/٤.

(٤) الشيرازي : صدر الدين محمد ، أسرار الآيات ، ، ص ٦.

(٥) هاشم : هناء ، أثر التوحيد على المجتمع وأهميته التربوية ، ص ٣١٣.

المبحث الرابع

قيمة العبادة في سور الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم العبادة وأقسامها

المطلب الثاني : قيمة العبادة في سور الدعوة السرية

إن أسمى ما يتجلى به الإيمان القلبي هو التطبيق العملي بالجوارح، فلا يكفي الحب والكره والنية الصادقة في قلب المؤمن إلا أن يتبعها عمل مقترن بالالتزام بالأوامر الإلهية واجتناب المعاصي وترك النواهي، فيتحقق بذلك المقصد الإلهي من الدعوة الإسلامية، ويتضح السير والسلوك الإنساني أكثر فأكثر، ويبرز المفهوم العبادي من خلال ربط النوايا والإيمان بالعمل بالسنن والتشريعات، وقد أكد الله تعالى على هذه القيمة العالية لما فيها من اتصال دائم بينه وبين العبد، حيث يقول تعالى: ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، حيث أوضح بشكل واضح أن العبادة هي الدين.

لذلك فإن القرآن الكريم جعل من البعد العبادي مرتكزاً أساسياً في بناء الإنسان، ويأتي هذا المرتكز في صلب البناء العقائدي، حيث تقوم علاقة جدلية بين الاعتقاد الديني والعمل العبادي، فيرى البعض أن الاعتقاد سابق على العمل العبادي، ويمكن أن يكون العمل العبادي أساساً في البناء الاعتقادي، ومتمماً واجباً له.

وللحفاظ على المبنى الاعتقادي ، لا بدّ من الالتزام والتقيّد بالوصايا التشريعية والأوامر الربانية، وفي طليعتها المسائل العبادية التي تنمي العقيدة في القلب، وتثبت في مهبط العواصف الفكرية وزعازعها^(٢).

(١) سورة الإسراء، من الآية ٣٤.

(٢) يُنظر، سويد: محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل، ص ٢٥٢.

المطلب الأول : مفهوم العبادة وأقسامها

يعود ارتباط العبادة في المفهوم الإسلامي إلى حصريته بعبادة الله تعالى، دون الإشراف به، سواء من الناحية العقائدية أو الناحية الإيمانية، ولا يمكن فصل العبادة عن الإيمان عن العقيدة، بيد أن لكلٍ منها معناها اللغوي أو المصطلح المتعارف عليه، وما ينتج عن ذلك من تعريفات متجانسة أو مغايرة في العمق والمفهوم الخاص لكل مُعرّف لها.

١- " العبادة " في اللغة :

أ- جاء فيها أيضاً: ((يذهب بذلك إلى أنه مربوب لباريه، جلّ وعزّ))^(١) ، كما ورد في

"لسان العرب": ((ويقال للمسلمين عباد الله يعبدون الله. والعابد: الموحّد))^(٢)

ب- يعود أصل مفردة "العبادة" إلى الجذر عَبَدَ، وينطلق منها الفعل عَبَدَ يَعْبُدُ عبادة، وهي

جاءت متجانسة ومتقاربة في المعنى والمضمون، ومتطابقة في جوانب أخرى، وقيل:

"عبد الله عبادة وعبودية: انقاد له وخضع وذلل"^(٣). وفي مقام الإسم من عَبَدَ، جاء في

العبادة أنها: ((الخضوع للاله على وجه التعظيم))^(٤)

أما اشتقاقها فهي : ((واشتقاق العبد من الطريق المعبد ، وهو المذلل الموطوء . وقولهم بعير

معبد ، يكون في معنى مذلل ، ويكون بمعنى مهنوء بالقطران . . . ويمكن أن يكون اشتقاق

عبيدة ومعبد من العبد وهو الأنف))^(٥)

فيراد منها : ((إظهار التذلل ، والعبادة أبلغ منها ، لأنها غاية التذلل ، ولا يستحقها إلا

من له غاية الإفضال ، وهو الله تعالى))^(٦)

٢- العبادة في الاصطلاح

لم يُفرد اصطلاح ثابت أو محدد للعبادة، إنما ورد مفهومها العُرفي في سياق الطاعة

للإله المعبود، عبر التذلل والانصياع والخضوع، مهما كانت ماهية المعبود، وتعبّر العبودية عن

(١) ابن منظور ، لسان العرب، ٣/ ٢٧٧ . ، (فصل العين المهملة).

(٢) يُنظر، المصدر نفسه، ٣/ ٢٧٧٧ . (فصل العين المهملة).

(٣) يُنظر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، ، ص ٥٧٩.

(٤) يُنظر، المصدر نفسه ، ٥٧٩.

(٥) مصطفىوي : حسن، التحقيق في كلمات القرآن، ٨/ ١٢

(٦) الأصفهاني : الراغب (ت: ٤٢٥ هـ) ، مفردات الفاظ القرآن ، ص ٥٤٢.

الطقوس الدينية المفترضة لذلك المعبود. ومن جهته، عرّفها الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) في كتابه "الكشاف"، بأنها ((أقصى غاية الخضوع والتذلل ، ومنه ثوب ذو عبدة : إذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ، ولذلك لم تستعمل إلا في الخضوع لله تعالى لأنه مولى أعظم النعم فكان حقيقاً بأقصى غاية الخضوع))^(١).

ويقول : ابن القيم الجوزي (ت: ٧٥١ هـ) عن العبودية بأنها: ((الحب التام، مع الذل التام والخضوع للمحبيب))^(٢)، وعرفها السبحاني على أنها : ((الخضوع اللفظي أو العملي الناشئ عن الاعتقاد بالوهمية المخضوع له))^(٣)

وقد وجد في العبودية أنها فوق التتيم، ويصف العبد الحقيقي بأنه ((هو الذي قد ملك المحبوب رقه فلم يبق له شيء البتة. بل كله عبد لمحبيه ظاهراً وباطناً. وهذا هو حقيقة العبودية))^(٤)، ونلاحظ فيه مضمونا صوفياً وعرافياً في هذا الكلام.

ومن التعريفات للعبادة ، ما قاله الشيخ ابن سعدي، بأن ((العبادة روحها وحقيقتها تحقيق الحب والخضوع لله؛ فالحب التام والخضوع الكامل لله هو حقيقة العبادة، فمتى خلت العبادة من هذين الأمرين أو من أحدهما فليست عبادة؛ فإن حقيقتها الذل والانكسار لله، ولا يكون ذلك إلا مع محبته المحبة التامة التي تتبعها المحاب كلها))^(٥). وفي تعريف ثانٍ له، يقول: ((العبادة والعبودية لله اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من العقائد، وأعمال القلوب، وأعمال الجوارح؛ فكل ما يقرب إلى الله من الأفعال، والتروك فهو عبادة؛ ولهذا كان تارك المعصية لله متعبداً متقرباً إلى ربه بذلك))^(٦).

٣- أقسام العبادات

^(١)الزمخشري : محمود بن عمر ، لكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٦٠/١.

^(٢)الجوزي : ابن القيم، مدارج السالكين، بين منازل "إياك نعبد وإياك نستعين، ٣ / ٣١.

^(٣)السبحاني : جعفر ، الإلهيات ، ، ص ٤٣٠.

^(٤) المصدر نفسه ، ٣ / ٣٠ - ٣١.

^(٥)ابن القيم : عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، دار، الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية ، ص ١١٦.

^(٦)العباد : عبد الرزاق بن عبد المحسن، عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، ص ١٦٨.

تأخذ العبادة بُعدها الروحي من خلال القيام بها، بما تتضمن ترك المحرمات والقيام بالواجبات والوقوف عند الشبهات، ويمكننا الحديث عن أقسام العبادات تبعاً لتلك المضامين العالية القيمة على النفس الإنسانية.

ويأتي تقسيم العبادة في هذا الإطار، إلى عبادات ظاهرية وعبادات باطنية، ولكلٍ منها أسلوب ومنهج وتأثير.

أ. العبادات الباطنية

فهي المنطلق الأول للنفس الإنسانية، وهي الركيزة التي يرتكز عليها الإيمان بالله تعالى، فتخضع الروح عابدة، وتسيطر بعبادتها على مختلف الجوارح، وقد وردت الأحاديث الشريفة التي تبين قيمة الإيمان بالله تعالى، حيث ورد عن رسول الله (صل الله عليه واله): ((أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه))^(١)، وقد زاد على ذلك رفعة عبادة حسنة صادقة، حيث قال (صل الله عليه واله): ((وأول من يدخل الجنة عبد مملوك أحسن عبادة ربّه))^(٢).

وهذه العبادات القلبية هي باطنة غير ظاهرة، غير أن انعكاسها واضح على سلوكيات المرء وتصرفاته، وهي مطلوبة لأهميتها، وتتطلب من الاعتناق الديني والتوحيد والعبودية لله وتشمل هذه العبادات ((التوكل على الله والثقة به، والخوف منه، والاستعانة به، ومحبته))^(٣)

ب. العبادات الظاهرية

وفيما يقابل العبادة الباطنية، عبادة ظاهرة بيّنة مشهودة، وتتعدد مظاهر العبادة الظاهرية، فتتسم بما يحبه الله ورسوله من الأفعال والأقوال والمعاملات، كالصلاة والصيام والدعاء، ومنها ما هو أبعد نفعاً كإعانة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس، وقضاء حوائجهم، وتعليمهم ما ينفعهم، ودعوتهم إلى الهدى^(٤)، وغير ذلك بما تعني كلمة العبادة "العمل الذي يطاع به المعبود"^(٥).

وتنقسم العبادات الظاهرية بدورها إلى قسمين، العبادات الطقوسية، والعبادات

(١) المفيد: محمد بن محمد (ت: ٤١٣ هـ) ، الأمالي ، ص ٩٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٩٩ .

(٣) أحمد : محمد عبد القادر ، طرق تعليم التربية الإسلامية ، ص ١٢٣ .

(٤) المطهري : مرتضى ، سلوك وإخلاص الاسلام ، ص ٦٢ .

(٥) الكوراني : علي ، فلسفة الصلاة ، ص ٧ .

١. العبادات الشعائر

تعبّر " العبادات الشعائر " عن مدى التعلّق بالمعبود أياً كان، وقد وصف الله تعالى العبادات التي يتقدم بها العبد لنيل رضاه بمصطلح "الشعائر"، وذلك في سورة الحج، -خارج سياق سور الدعوة السرية-، بقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^(١)، وقد جاء في "لسان العرب" ((أنها "يُعْنِي بِهَا جَمِيعَ مُتَعَبِّدَاتِ اللَّهِ الَّتِي أَشْعَرَهَا اللَّهُ أَيَّ جَعَلَهَا أَعْلَاماً لَنَا))^(٢)، وبذلك فهي تنطبق على كل العبادات كالصلاة والصيام والحج وغيرها من الأوامر الإلهية للعبد. في حين أن الكثيرين يعبرون عن "العبادات الشعائر" بمصطلح "الطقوس الدينية" خارج المفهوم الديني الإسلامي.

٢. العبادات المعاملات

يقسّم العلماء المسلمون الأحكام الفقهية في المسائل العبادية إلى قسم "العبادات" تقدم ذكرها، وقسم "المعاملات"، ويدخل هذا القسم في الانصياع والخضوع العملي لله تعالى عبر يمكن تسميته الأعمال العبادية المتشارك فيها أكثر من طرف، بما تعني إنسان مع إنسان آخر، بما تشمل التجارة والصناعة والعقود والزواج وغير ذلك، أو مع البيئة العامة كالصيد والزراعة والمأكّل.

المطلب الثاني : قيمة العبادة في سور الدعوة السرية

تظهر قيمة العبادة لله في النفس الإنسانية من خلال السير والسلوك النفسي، سواء على المستوى الفردي أم على المستوى الجماعي والعلاقات فيما بين الناس؛ وقد أخذت العبادة الفقه الإسلامي معنى حصرياً يقوم على مجموعة شعائر يقوم بها العبد، مثل الصلاة والصوم والحج والزكاة والخمس، لذلك أخذت من الناحية الشرعية معنى الامتثال لأمر الله والانتهاز عما نهى

(١) سورة الحج، الآية ، ٣٢.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ، ، ٤ / ٤١٤ ، (فصل الشين المهملة).

عنه شرعاً.

وفي التدقيق ما بين العبادة والإيمان والعقيدة والتوحيد، نجد أنها مترابطة فيما بينها، ولا يمكن تفكيك أي جزء منها، لأنها متكاملة ومتممة بعضها بعضاً.

وفيما يتعلق بالأثر الإيجابي للعبادة على النفس الإنسانية، يقول الإمام الخميني بأن ((لكل عبادة من العبادات أيضاً أثراً يحصل في النفس، مما يقوي الإرادة شيئاً فشيئاً ويصل بقدرتها إلى حد الكمال))^(١)، وتسير بها نحو بناء الآخرة على أسس حسنة لأن "لكل من الأعمال الحسنة والأفعال العبادية صورة باطنية ملكوتية، وأثر في قلب العابد، أما الصورة الباطنية فهي التي تعمّر العوالم البرزخية والجنة الجسمانية"^(٢).

١. أثر العبادات على السلوك

يظهر دور العبادات في تأكيد الإيمان والارتباط بالمطلق وترسيخه عملياً، وكلما كان عنصر الانقياد والاستسلام في العبادة أكبر كان أثرها في تعميق الربط بين العابد وربه أقوى، وقد تأتى عن القيام بالالتزام الديني منهج سلوكي ديني، يشكّل دستوراً دقيقاً ونظام حياة يقود نحو صلاح الدنيا ونعيم الآخرة، لأن الله تعالى لم يأمر الإنسان بالعبادة لأنه بحاجة لها، بل إن منفعتها عائدة للإنسان نفسه^(٣)، وهذا ما تظهره الآيات المتعددة المتحدثة عن المردود الإيجابي والربط بين العبادة ومردودها.

فقد ربطت الآية الكريمة في سورة الأعراف ﴿وَالْيَٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۖ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(٤)، بين عبادة الله تعالى وبعض المعاملات العادلة والاجتماعية التي تؤسس مجتمعاً صالحاً، فيدعوهم إلى طاعة الله، والانتهاز إلى أمره، وترك السعي في الأرض بالفساد والصد عن سبيله، كما أنه نبّههم إلى إتمام حقوق الناس بالكيل وبالوزن، وأن لا يظلموا الناس حقوقهم، ولا ينقصوهم إياها^(٥).

(١) الخميني : روح الله ، الأربعون حديثاً ، (١٤١٠ هـ) ، ١٦١ - ١٦٢ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٤٨٩ - ٤٩٠ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٢ / ٢٦٥ .

(٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٥ .

(٥) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٢ / ٥٥٤ .

ومن هنا نجد أن العبادة تحمل صاحبها على الاستمرار في مراقبة الله تعالى واستشعار عظمتة في كل تصرف أو معاملة^(١). لقد أقرَّ الله تعالى العبادات لما فيها من إيجابية على الفرد والمجتمع، فمنها أداء الصدقات والخمس وهما ضربيتان مالتان، تساعد الفقراء على قضاء احتياجاتهم، ومنها الاغتسال والوضوء وهما عملان تطهيريان يريد بهما الله النظافة البدنية^(٢)، وتُبعد الشيطان عن الإمساك بالعبد، لأن عدم طاعته تقرب الإنسان من ربه، وقد نهى الله عن عبادة الشيطان، بقوله تعالى: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾^(٣)، ويأتي النهي هنا بعدم الطاعة والخضوع للشيطان بما يزيّن له بهارج الدنيا لأنها مزيفة.

((وقد أمر الله تعالى الناس بالحديث الصادق والكلام الجميل، وهو اشتغالها على الأدب الجميل وتعريفها عن الخشونة والشتم وسوء الأمر))^(٤)، لما فيه من مودة بين الناس، وربطه بالعلاقات الجيدة فيما بينهم التي يعمل الشيطان على أن ينزع بينهم، وجاء الأمر الإلهي: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾^(٥).

ولأن العبادة تنشئ إنساناً مستقيماً متوازناً فكرياً ووجدانياً وسلوكياً^(٦)، أوضحت الآيات الدالات على المغزى التعبدية من خلال التواضع والسماحة مع الآخرين، فحدثتنا الآية الكريمة: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٧)، عن البعد الأخلاقي للتعبد الصادق لأنها تعبّر عن المضمون من حيث مقدار ما يتوصّل إليه العابد من مراتب الكمالات الإلهية، والقرب من الله تعالى، والتمحّص في مقام العبودية^(٨).

ومما يدل على أهمية العبادة في سورة الدعوة السرية :-

١- قوله تعالى ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾^(٩)

(١) ينظر ، بناهيان : علي رضا ، دور العبادة في اسلوب الحياة ، ، مكتبة البلاغ المبين ، دط ، ص ٣ .

(٢) يُنظر، الكوراني : علي، فلسفة الصلاة، ، ١١ .

(٣) سورة مريم، الآية ٤٤ .

(٤) الطباطبائي : محمد حسين ، (ت : ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٣ / ١١٨ .

(٥) سورة الإسراء ، الآية ٥٣ .

(٦) ينظر ، أحمد: محمد عبد القادر ، طرق تعليم التربية الإسلامية، ص ١٣٠ .

(٧) سورة الفرقان، الآية ٦٣ .

(٨) ينظر ، الحسن : طلال، روحانية العبادات، دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية ، ص ١٧ .

(٩) سورة ص ، الآيات ٨٢-٨٣ .

استثنى الشيطان عباد الله المخلصين من وسوسته الخبيثة ، فبعدما قسم الشيطان لله تعالى بأن يغوي جميع البشر استثنى منهم عباد الله المخلصين لأنه كان يعلم أنهم لا يسمعون منه ولا يمثلون لأغوائه فيئس منهم وعرف أنه لا يمتلك السلطان عليهم^(١)

فتتوضح أهمية العبادة لله تعالى وذلك بأنها تحمي وتصون الإنسان من وسوسة الشيطان وبالتالي فهي تحمي الإنسان من فعل الذنوب فتحميه من دخول النار في الآخرة ، فلولا العبادة لاستطاع الشيطان من إغواء الناس جميعاً ((ثم استثنى من جملتهم فقال ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ وهم الذين أخلصوا عبادتهم لله ، وامتنعوا عن عبادة الشيطان ، وانتهوا عما نهاهم الله عنه . ومن قرأ (المُخْلِصِينَ) بفتح اللام ، فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك ، ولطف لهم فيه ، ليس للشيطان عليهم سبيل))^(٢)

فيجب على الإنسان ((أن يعبد الله بما أنه أهل لأن يعبد ، فإن الكامل بالذات والجامع لصفات الجمال والجلال . وهذا القسم من العبادة لا يتحقق إلا ممن اندكت نفسيته فلم ير لذاته أنية إزاء خالقه ، ليقصد بها خيرا ، أو يحذر لها من عقوبة ، وإنما ينظر إلى صانعه وموجده ولا يتوجه إلا إليه ، وهذه مرتبة لا يسعنا التصديق ببلوغها لغير المعصومين - عليهم السلام - الذين أخلصوا الله أنفسهم فهم المخلصون الذين لا يستطيع الشيطان أن يقترب من أحدهم))^(٣) فإن الإنسان الذي يعبد عبادة صحيحة يكون خارج سيطرة الشيطان و وسوسته^(٤)

٢- قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٥)

حيث وصف الله تعالى عباده بالمخلصين الذين يتصفون بالهدوء والسكينة وسداد القول^(٦) إذ المقصود من قوله تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ هو : ((يريد : أفاضل عباده . وهذه إضافة التخصيص والتشريف ، كما يقال : ابني من يطيعني أي : ابني الذي أنا عنه راض ، ويكون توبيخا لأولاده الذين لا يطيعونه . ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا

(١) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥٨٤/٨.

(٢) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، مجمع البيان ، ١١٧/٦.

(٣) الخوئي: أبو القاسم ، البيان في تفسير القرآن ، ص ٤٧٧.

(٤) ينظر ، الحكيم : علوم القرآن ، محمد باقر ، ص ٤٧٠.

(٥) سورة الفرقان ، الآية ٦٣.

(٦) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥٠٤/٧.

﴿ أي : بالسكينة والوقار والطاعة ، غير أشرين ، ولا مرحين ، ولا متكبرين ، ولا مفسدين ، عن ابن عباس ومجاهد . وقال أبو عبد الله عليه السلام : هو الرجل يمشي بسجيته التي جبل عليها ، لا يتكلف ولا يتبخر . وقيل : معناه حلما علماء لا يجهلون ، وإن جهل عليهم))^(١) وأما المعنى من قوله تعالى ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ هو : ((المراد بخطاب الجاهلين سفاهة السفهاء ، كهزئهم أو شتمهم أو جدالهم بالهوى والغرض . . وسلاما كناية عن تجاهلهم والإعراض عنهم استخفافا بشأنهم ، وترفعاً عما لا يليق بالرجل الكريم ، والمعنى أن المؤمن إذا سمع كلمة السوء تجاهلها حتى كأنه لم يسمعها أو كأن المقصود بها غيره))^(٢) فالآية تبين أهمية العبادة للناس من خلال وصفها للعباد بهذه الأوصاف المميزة والتي تبين علو شأنهم ، وهذا ما أكدته الطبائبي (ت : ١٤٠٢ هـ) حيث بين بأن مما يدل على علو منزلتهم وسمو كرامتهم هو وصفهم بعدم اللغو^(٣)

٣- قوله تعالى ﴿ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا

﴿^(٤)

فإنه عز وجل وعد عباده الصالحين بأن لهم جنات سيحصلون عليها بعد وفاتهم^(٥) فهذه الآية من الآيات التي تبين أيضاً أهمية العبادة كون الله عز وجل وعد عباده بالجنة في الآخرة فيقول محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) : ((قائمة دائمة ، لا ينقطع نعيمها ، ولا يظعن مقيمها ﴿ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ ﴾ . المراد بعباده هنا المؤمنون المخلصون ، وبالغيب أي أنهم آمنوا بالجنة وعملوا لها ، وهم غائبون عنها ، وهي غائبة عنهم ، وقد مدح الله المؤمنين بالغيب في العديد من آياته ﴿ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا ﴾ . ضمير أنه يعود إلى الله ، والمعنى أن الله لا يخلف الميعاد.))^(٦)

(١) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٣١٠/٧ .

(٢) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٤٨٢/٥ .

(٣) ينظر ، الطبائبي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٩/١٥ .

(٤) سورة مريم ، الآية ٦١ .

(٥) ينظر ، الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٣٧، ١٣٨/٧ .

(٦) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ١٩٠/٥ .

الفصل الثاني

القيم الإنسانية الأخلاقية في سور الدعوة السرية

المبحث الأول:

قيمة الصدق في سور الدعوة السرية

المبحث الثاني :

قيمة الصبر في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث:

قيمة الحق في سور الدعوة السرية

توطئة:

تُعَدُّ مسألة الأخلاق من المسائل التي ركز عليها الإسلام تركيزاً كبيراً ، فلا مجتمع يمكنه أن يزدهر ويتقدم من دون وجود الأخلاق فيه ، ونزول الإسلام وتعاليمه كانت من أجل الحفاظ على استقرار المجتمع وحفظه ، لهذا نجد الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تحت بل تأمر الناس بوجوب الإلتزام بالأخلاقيات .

وهذا ما سوف نبينه في هذا الفصل من خلال دراسة ثلاثة قيم أخلاقية وهي الصدق والصبر والحق ، حيث سنبين ماهية هذه القيم ومن ثم نعتد على مجموعة من آيات الدعوة السرية فيها .

المبحث الأول :

قيمة الصدق في سورة الدعوة السرية

المطلب الأول: ماهية الصدق ومعانيه وأنواعه في القرآن الكريم

المطلب الثاني : الصدق الإلهي في سورة الدعوة السرية

المطلب الثالث : صدق الأنبياء في سورة الدعوة السرية

المطلب الرابع : فائدة الصدق في سورة الدعوة السرية

بعد شروق شمس الإسلام على الظلمات الجاهلية وتقاليدهم الهمجية أهتم القرآن الكريم والرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) بغرس القيم الأخلاقية في نفوس المسلمين حتى يكونوا قدوة للناس أجمع، حتى إنّ الله تعالى عندما خاطب الرسول الكريم (صل الله عليه واله وسلم) خاطبه قائلاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فلم يقل له انك لعلی صلاة عظيمة أو أنّ الرسول الأكرم لعلی صوم عظيم مع هو أفضل الناس صلاة وأفضلهم صوماً، لكن الله تعالى أراد أن يبين قيمة الأخلاق في المجتمعات الإسلامية وأثرها الايجابي، فكان الصدق واحدة من القيم الأخلاقية التي بثها الله ورسوله في نفوس المسلمين وبينت الآيات والأحاديث أهمية هذه الصفة ومساوئ الكذب .

فسوف نبحث في هذا المبحث عن معنى الصدق وأهميته ودلالته في السور الخاصة بالدعوة السرية في ضوء المطالب الآتية .

المطلب الأول: ماهية الصدق ومعانيه وأنواعه في القرآن الكريم

أولاً الصدق لغة واصطلاحاً :

١- الصدق لغة

أ- عرفه الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) : ((الصدق : نقيض الكذب ... وهذا رجل صدق ،

مضاف ، بمعنى نعم الرجل هو ، وامرأة صدق ، وقوم صدق))^(١). ويمثله ذهب الجوهري

(ت: ٣٩٣ هـ) حيث قال : ((الصدق : خلاف الكذب . وقد صدق))^(٢).

ب- و هو : ((الصاد والادل والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره من ذلك

الصدق خلاف الكذب سمي لقوته في نفسه ولأن الكذب لا قوة له هو باطل وأصل هذا

من قولهم شيء صدق أي صلب))^(٣).

ت- وهناك من عرفه على أنه ((الصّدق بالكسر والفتح : ضدُّ الكذب والكسر أفصح

كالمصدوقة))^(٤).

٢- إصطلاحاً

وعرفه ابن القيم (٧٥١ هـ) ((حصوا الشيء وتمامه، وكمال قوته، واجتماع أجزائه، كما يقال

:عزيمة صادقة، اذا كانت قوية تماماً، وكذلك محبة صادقة، وإرادة صادقة، وكذا قولهم حلوة

صادقة اذا كانت قوية تامة ثابتة الحقيقة لم ينقص منها شيء)).^(٥) وعرفه الجرجاني (٨١٦ هـ)

((لغة مطابقة الحكم للواقع وفي إصطلاح الحقيقة وقول الحق في مواطن الهلاك وقبل أن

تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب وقيل الصدق لا يكون في أحوالك شوب ولا في

اعتقادك ريب ولا في أعمالك عيب وقيل الصدق هو ضد للكذب، والأمانة عما يخبر به على ما

كان، والصديق هو الذي لم يدع شيئاً مما أظهره اللسان الا الحقيقة بقلبه وعمله))^(٦).

^(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد، العين ، ٥ / ٥٦ ، (باب القاف والضاد والميم معهما) .

^(٢) الجوهري ، الصحاح ، ٤ / ١٥٠٥ ، (باب القاف ، فصل الصاد) .

^(٣) ابن فارس : احمد ، مقاييس اللغة ، ٣ / ٣٣٠ ، باب (صدق) .

^(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ، ١٣ / ٢٦١ ، (فصل الصاد مع القاف) .

^(٥) مدارج السالكين، ابن القيم ، ٢ / ٢٢٧ .

^(٦) الجرجاني : علي بن محمد ، التعريفات ، ص ١٠٩ .

فهو الأخبار عن الشيء على ما هو عليه، أي مطابقة الكلام للواقع، ويكون في القول والعمل وللاعتقاد، وهو قول الحق في مواطن الهلاك.^(١)

فالصدق هو نقل أو فعل الشيء تماماً كما هو ((اسم لحقيقة الشيء بعينه حصولاً ووجوداً))^(٢) والصدقة صدق الاعتقاد في المودة وذلك مختص بالإنسان دون غيره ، والصدقة ما يخرج به الانسان من ماله على وجه القرية كالزكاة لكن الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقة إذا تحرى صاحبها الصدق في فعله قال ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً﴾^(٣) وقال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾^(٤) يقال صدق وتصدق قال ﴿فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى﴾^(٥) في أي كثيرة. ويقال لما تجافى عنه الإنسان من حقه تصدق به نحو قوله ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾^(٦) أي من تجافى عنه، وقوله ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٧) فإنه أجرى ما يسامح به المعسر مجرى الصدقة.^(٨)

ثانيا معاني الصدق في القرآن الكريم :

اولاً الصدق في مقابل الكذب : وهو الصدق في الحديث بأن لا يتحدث إلا بما يعتقدده مطابقاً للواقع وأن الكذب حرام^(٩) حيث ورد عن الصادق عليه السلام ((ثلاث من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم : من إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف،))^(١٠)

^(١)المهدي : حسين، صيد الافكار في الادب والاخلاق، ١/٦٤٥.

^(٢)الانصاري : عبد الله، منازل السائرين ، ص ٥٥.

^(٣) سورة التوبة ، من الآية ١٠٣.

^(٤) سورة التوبة ، من الآية ٦٠.

^(٥) سورة القيامة ، الآية ٣١.

^(٦) سورة المائدة ، من الآية ٤٥.

^(٧) سورة البقرة ، الآية ٢٨٠.

^(٨)الأصفهاني : الراغب، مفردات غريب القرآن ،، ص ٢٧٨.

^(٩)الحائري : كاظم الحسيني، تركية النفس ، ص ٤٤٥.

^(١٠)الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي، ٢/ ٢٩٠-٢٩١ ، باب في أصول الكفر وأركانه ، حديث ٢.

وعن الحسين بن ابي العلاء بسند تام عن الصادق عليه السلام ((ان الله تعالى لم يبعث نبيا الا بصدق الحديث واداء الامانة الى البر والفاجر))^(١).

ثانيا الصدق في مقابل الخلف : وهو الصدق في الوعد، فلو كان الوعد سيُخلف لكان كذبا بالمعنى الاول^(٢) حيث قال الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٣)

وحيث ورد عن شعيب العرقوفي عن الصادق أنه قال ((قال رسول الله (ص) من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فاليقي اذا وعده))^(٤)

ثالثا الصدق بمعنى الايمان : بمعنى أن يكون الإيمان ليس قول فقط، ولا مجرد الاعتقاد في مستوى العقل، بل يكون الإيمان قد نزل في الانسان إلى مستوى الأحاسيس والعواطف والجوارح^(٥).

ثالثا : أنواع الصدق في القرآن الكريم :

١- الصدق في القول : ((وهو صدق اللسان وهو لا يكون إلا في الأخبار أو ما يتضمن الأخبار وينبئ عليه، والأخبار أما أن يتعلق بالماضي أو المستقبل وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه. وحق على كل عبد أن يحفظ الفاظه فلا يتكلم إلا بالصدق، وهذا أشهر أنواع الصدق واطهرها، فمن حفظ لسانه عن الأخبار عن الأشياء على خلاف على ما هو عليه فهو صادق))^(٦)

(١) المجلسي: محمد باقر، بحار الأنوار (١١١١ هـ) ، ٦٢/١١ ، باب (نقش خواتيم الانبياء وأشغالهم وأمرجتهم

وأحوالهم في حياتهم وبعد موتهم صلوات الله عليهم) ، حديث ٢١ .

(٢) ينظر ، الحائري : كاظم الحسيني، تزكية النفس ، ص ٤٤٦ .

(٣) سورة الاسراء، من الآية ٣٤ .

(٤) العاملي : الحر (١١٠٤ هـ) ، وسائل الشيعة ، ١٦٥/١٢ ، باب استحباب الصدق في الوعد ولو انتظر

سنة ، حديث ٢ .

(٥) ينظر ، الحائري : كاظم الحسيني، تزكية النفس ، ص ٤٤٨ .

(٦) الكاشاني : الفيض (ت: ١٠٩١ هـ) ، مقامات القلب ، ص، ٢٩٥ .

حيث ذم الله تعالى من يكذب في أقواله ، فقال تعالى ﴿وَإِذَا لَفُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾^(١) فبين الله تعالى صفات المنافقين الذين كانوا يتصفون بالكذب لأنهم كانوا يكذبون على المؤمنين عندما يلقوهم فيقولوا لهم إننا مؤمنين مثلكم^(٢)

أما من حيث السنة النبوية فروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) ((من صدق لسانه زكى عمله))^(٣)

وروي عنه أيضاً ((لا تنظروا الى طول ركوع الرجل و سجوده فإن ذلك شيء اعتاده ولو تركه استوحش لذلك، ولكن انظروا الى صدق حديثه وأداء أمانته.))^(٤)

٢-الصدق في النية : ((أن لا يكون للإنسان باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى، فإن مزاج إرادته شوب من الحظوظ بطل صدق نيته ويجوز أن يسمى صاحبه كذاباً.))^(٥)

حيث يقول تعالى : ﴿يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾^(٦) فتبين الآية النوايا الخبيثة التي كانت في قلوب الكافرين ((كذبهم في اعتذارهم بما أخبر عن ضمانهم وأسرارهم أي : لا يبالون استغفر لهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم لا))^(٧).

إن أساس كل العمل هي النية الصادقة وهي أهم دعامة للعمل وحتى هي أعلى من العمل أيضاً فالنية تشكل أساس روح العمل فمهما كان العمل صغيراً في مقداره فهو مقبول إذا كانت النية صادقة وصحيحة^(٨).

(١) سورة البقرة ، الآية ١٤ .

(٢) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ) ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٨٧/١ .

(٣) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ١٥٠/ ٢ ، (باب الصدق وأداء الأمانة)، حديث ٣ .

(٤) المصدر نفسه. ١٥١/٢ ، (باب الصدق وأداء الأمانة)، حديث ١٢ .

(٥) الكاشاني : الفيض، مقامات القلب ، ص ٢٩٧ .

(٦) سورة الفتح ، من الآية ١١ .

(٧) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٩٠/٩ .

(٨) ينظر، الخميني: روح الله ، النية والاحلاص ، ص ٤٠-٤٢ .

٣- الصدق في العمل : وهو أن يجتهد في العمل حتى لا تكشف أعماله الظاهرة على أنه فاقد لبعض الصفات في الباطن، ولا ينبغي عليه أن يترك عمله، بل عليه أن يحمل الباطن على تصديق الظاهر، فرب واقف على هيئة الخشوع في صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة^(١).

فالملاحظ أن الصدق هو الحقيقة التي يجب أن تسود كل حياة الإنسان الصالح، فيجب أن يكون صادقاً في كل شيء يقوله وكل شيء يفعله وكذلك بالنسبة إلى النية، فالصدق لا يقتصر على شيء معين في حياة الإنسان، بل يتدخل في كل مفاصل حياته، لهذا كان للصدق أنواع عديدة ومعاني عديدة .

المطلب الثاني : الصدق الإلهي في سور الدعوة السرية

ما يشير إلى أهمية الصدق كقيمة إنسانية هو ربط تلك الصفة بالله تعالى ، حيث جاءت الكثير من السورة القرآنية التي تربط الصدق بالله تعالى ، وهذا الربط يؤدي إلى معنى مهم إلا وهو أهمية الصدق في المجتمع الإسلامي وأثره الكبير .

ففي هذا المطلب سوف نتطرق إلى الآيات التي بينت صدق الله تعالى من خلال الإعتماد على سور الدعوة السرية فقط .

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢)

((مطابقا لما تقدمه من الكتب الإلهية المشهود على صدقها ، ولا يكون كذبا ، كيف وهو - لكونه معجزا دونها - عيار عليها ، شاهد على صحتها))^(٣) فمما يدل على صدق الله تعالى هو صدق كلامه الموجود في القرآن الكريم ((أي لا ينبغي لعاقل أن يرتاب في كتاب الله ، وقد حوى

^(١) الكاشاني : الفيض، مقامات القلب، ص ٢٩٨.

^(٢) سورة يونس ، الآية ٣٧.

^(٣) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٢١٠/٣.

من المعجزات والآيات ما تدعن له الفطرة الصافية والعقل السليم^(١) فالآية تدل على أن الصدق من صفات الله تعالى وأنه يجب الأخذ به حتى لا يقع الندم فيما بعد ((ثم تتطرق الآية إلى ذكر الدليل على أصالة القرآن وكونه وحيا سماويا : فتقول ولكن تصديق الذي بين يديه أي إن كل البشارات والدلالات الحقة التي جاءت في الكتب السماوية السابقة تنطبق على القرآن ومن جاء به تماما ، وهذا بنفسه يثبت أنه ليس افتراء على الله بل هو حق ، وأساسا فإن القرآن شاهد على صدق محتواه من باب أن طلوع الشمس دليل على الشمس^(٢)))

٢- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٣)

((أي : ويقولون إن كنتم صادقين في هذا الوعد ، متى يكون ذلك . ثم قال سبحانه . ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَنْ وُجُوهِهُمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾^(٤)

أي : لو علموا الوقت الذي لا يدفعون فيه عذاب النار عن وجوههم (ولا عن ظهورهم) يعني أن النار تحيط بهم من جميع جوانبهم (ولا هم ينصرون) وجواب لو محذوف ، وتقديره لعلما صدق ما وعدوا به ، ولما استعجلوا ، ولا قالوا (متى هذا الوعد)^(٥) فالكفار هنا بداية لا يصدقون بوعد الله تعالى الذي اخبرهم به الرسول عليه الصلاة والسلام ، لكنه وعد صادق متحقق والدليل عليه في نفس السورة ﴿الآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾^(٦) فالآية تبين جواب آخر على الكفار الذين كذبوا النبي محمد ، حيث كانوا يقولون مستهزئين متى هذا الوعد ؟ وعندما يحط بهم هذا العذاب يندمون على قولهم^(٧) فيوم البعث الذي ينكرونه بعد وعد الله لهم سوف يتحقق وينظرون اليه بأم اعينهم وحينها لا يستطيعون فعل اي شيء ((الآن وأنتم في يوم الحساب والعقاب الذي لا ايمان فيه ولا عمل تعترفون وتؤمنون ، وفي يوم الايمان والعمل أنكرتم

(١) ، مغنية : محمد جواد، التفسير الكاشف ، ١٦٠/٤ .

(٢) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٥٧/٦ .

(٣) سورة يونس ، الآية ٤٨ .

(٤) سورة الأنبياء ، الآية ٣٩ .

(٥) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، تفسير مجمع البيان ، ٧٨/٧ .

(٦) سورة يونس ، من الآية ٥١ .

(٧) ينظر ، الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٢٥٦/٥ ، ٢٥٧ .

وأعرضتم ؟ . أن الإيمان بالله واليوم الآخر هو الاعتراف بهما في علم الغيب ، إما الاعتراف بهما بعد الرؤية وجهها لوجه فما هو من الايمان المطلوب في شيء ، وأن استحالة الفرض بالنسبة إلى رؤيته تعالى .))^(١) .

فتدل الآية الكريمة على وجوب الأيمان بصدق وعد الله تعالى ((وقد استدل بالآية على أن الايمان لا أثر له إذا لم يقترن بالعمل وهو حق في الجملة لا مطلقا فإن الآية في مقام بيان أن من كان في وسعه أن يؤمن بالله فلم يؤمن أو في وسعه أن يؤمن ويعمل صالحا فأمن ولم يعمل صالحا حتى لحقه البأس الإلهي الشديد الذي يضطره إلى ذلك فإنه لا ينتفع بإيمانه ، وإما من آمن طوعا فأدركه الموت ولم يمهل له الاجل حتى يعمل صالحا ويكسب في إيمانه خيرا فإن الآية غير متعوضة لبيان حاله بل الآية لا تخلو عن إشعار أو دلالة على أن النافع إنما هو الايمان إذا كان عن طوع ولم يحط به الخطيئة ولم تفسده السيئة .))^(٢) حيث قال بعضهم ((والاسوء من الكذب على الله تعالى هو التكذيب به وبالأنبياء والائمة الاطهار لان تكذيب المؤمن يعني تسقيطه اجتماعيا وهو اسوء من امر لا حقيقة له، فإذا كان الكذب على الله ورسوله يبطل الصوم فإن التكذيب بالله ورسله كفر يخرج الانسان من دائرة الايمان))^(٣)

فيجب الإلتزام بالصدق كما التزم به الانبياء ، وكما كان صفة من صفات الله تعالى ، فمن آثار الكذب أن الله تعالى يذل الكاذب في الدنيا والآخرة ، ويُعتبر ساقطا عن الناس فلا يتقون بأعماله وأقواله^(٤)

وورد عدد من آيات الدعوة السرية بهذا الشأن مثل : -

١- قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٥)

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ١٦٧/٤ .

(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٨٨/٧ .

(٣) الابطحي : حسين ، بين يدي الاستاذ ، ١ / ١٩٨-١٩٩ .

(٤) ينظر ، المامقاني : عبد الله ، مرآة الرشاد في الوصية الى الاحبة والذرية والاولاد ، ص ١٤٩ .

(٥) سورة يس ، الآية ٥٣ .

((تقديره ما وعد الرحمن حق، والمرسلون صدقوا، أو يقال ما وعد الرحمن وصدق فيه المرسلون حق))^(١) فالآية تبين أن ما قاله المرسلون سابقا في الحياة كان قولاً صادقا وأن وعد الله بالبعث كان وعدا صادقا، فالناس في يوم القيامة عندما يستيقظون مرة أخرى يتعجبون لاستيقاظهم ويتساءلون فيما بينهم ، ثم يتذكرون الوعد الذي وعدهم به أنبياء الله الصادق عن هذا اليوم^(٢)

فإن الله تعالى أراد أن يُعلم الناس أهمية الصدق ، ويغرس فيهم هذه الصفة ، وينقح تفكيرهم عن تقاليد الجاهلية المقيتة وغير المحبوبة ببيان أن صفة الصدق كانت من صفات الله تعالى و الانبياء ، وذلك بأن وعد الله صادق سيتحقق ، وكلام المرسلين عن يوم الآخرة قائم لا محالة ، حيث ((اثبت القرآن الكريم درجة الصدق التي لا تعلوها درجة ، في بيانه للخبر المتلقى عن الله سبحانه ، وأن ما يخبر به هو الحق والصدق بعينه ، فلا يوجد من الأخبار ما يضاهيه في مصداقيته))^(٣)

إذ تبين هذه الآية أن من لم يأخذ بقول المرسلين الصادقين ، أو من لم يعترف بعود الله تعالى سيندم لاحقا حيث يذكر الشيخ الطوسي بأن الكافرين يقولون بعد أن رأوا أهوال يوم القيامة من بعثنا من مرقدنا هذا فيرد عليهم المسلمون بأن هذا وعد الله وصدق المرسلين الذين كذبتهم في الدنيا^(٤) أي أن الكافرين كانوا يقولون في دنياهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين^(٥) ،

فمن الواجب على الانسان المسلم أن يحذو حذو الانبياء ويتبع ما كان يبدر منهم ، ويترك ما كان عليه في عصر الجهل وهو عصر الجاهلية بعد أن عُرِف أن الصدق من صفات الله تعالى والأنبياء والملتقين ، فإن الله تعالى هو أصدق الصادقين ، ومن بعده الرسل الأكرمين ، ومن بعدهم

^(١) الرازي : فخر الدين ، التفسير الكبير ، ٢٦ / ٨٩ .

^(٢) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤ / ٢١٠ .

^(٣) حسين : زينب، السرائر في ضوء القرآن الكريم، ١٠٧ .

^(٤) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، تفسير مجمع البيان ، ٨ / ٢٨٢ .

^(٥) الكاشاني : الفيض، التفسير الصافي ، ٤ / ٢٥٥ .

الأوصياء المعصومين ، وهكذا الأمثل فالأمثل^(١) إذ قال الله تعالى ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾^(٢) ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾^(٣)

فمن الصفات الأخلاقية المهمة التي ركز عليها الاسلام هي صفة الصدق، فأوجب الإسلام بأن يكون الانسان صادقاً دائماً مع نفسه ومع من حوله وما يثبت ذلك كثرة الآيات التي تبين ذلك فبعض الآيات بينت أهمية الصدق من خلال ارتباطه بالله تعالى ، إذ ((أخبر الله تعالى في كتابه عن صدق وعده وانه يتحقق وقوعه فيما أخبر به وذلك من خلال مخاطبته للمؤمنين))^(٤)

ومن الآيات التي تدل على ذلك - من غير سور الدعوة السرية- قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّن بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۖ مِّنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۖ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ ۖ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٥) ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾^(٦)

وقوله تعالى ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۖ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾^(٧)

وقوله تعالى ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾^(٨)

(١) ينظر ، كتاب في الاخلاق والعرفان، لاحد الحفاظ الشيعة في القرن الخامس او السادس، ص ٧٥.

(٢) سورة النساء، من الآية ١٢٢ .

(٣) سورة النساء، من الآية ٨٧ .

(٤) حسين : زينب، السرائر في ضوء القرآن الكريم ، ص ١٠٧ .

(٥) سورة ال عمران، الآية ١٥٢ .

(٦) سورة الانبياء، الآية ٩ .

(٧) سورة الاحزاب، الآية ٢٢ .

(٨) سورة الاحزاب، الآية ٧٤ .

فإن وصف الله تعالى نفسه بالصدق دليل واضح ولا يحتاج إلى أدلة أخرى لبيان أهمية هذه الصفة، فهذا الله تعالى الذي خلق كل شيء وعلم كل شيء، الأمر والناهي يوصف وعده بأنه صادق فلا دليل أكبر من هذا الدليل على أهمية الصدق ووجوب الإلتصاف به.

المطلب الثالث : صدق الأنبياء في سور الدعوة السرية

من الصفات المهمة التي التزم بها الأنبياء جميعاً خلال دعوتهم إلى دين الله تعالى والتي ذكرها القرآن الكريم في أكثر من آية كريمة هي صفة الصدق ، وهذا يدل على أهمية تلك الصفة وهو بيان إلى المسلمين جميعاً بوجوب تقليد الانبياء بالالتصاف بتلك الصفة الحميدة ، والعمل من خلالها ، وترك ما كان دائراً في عصر الجاهلية وسوف نورد الآيات القرآنية من سور الدعوة السرية تحديداً التي تحدثت عن صدق الأنبياء (عليهم السلام) .

١ - قوله تعالى : ﴿وَجْعَلْ لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾^(١)

((إضافة اللسان إلى الصدق لامية تفيد اختصاصه بالصدق بحيث لا يتكلم إلا به، وظاهر جعل هذا اللسان له أن يكون مختصاً به كلسانه لا يتكلم إلا بما في ضميره مما يتكلم هو به فيؤل المعنى إلى مسألة أن يبعث الله في الآخرين من يقوم بدعوته ويدعوا الناس إلى ملته وهي دين التوحيد.^(٢))) (أي اجعلني بحال تذكرني الأجيال الآتية بخير، واجعل منهجي مستمرا بينهم فيتخذوني أسوة وقدوة لهم فيتحركون ويسيروا في مناهجك المستقيم وسبيلك القويم...) ^(٣) ، فلهذه الآية أهمية كبيرة في نفوس المسلمين الأوائل ، حيث أن طلب الرسول الكريم (صل الله عليه واله) من الله تعالى هذا الطلب ما هو إلا إشارة واضحة إلى بيان أهمية الصدق في حياة الناس الجديدة ، فلسان الصدق هو مدح الله لنبيه بأنه صادق. فلما كان الصدق باللسان ، وهو محله . أطلق الله تعالى السنة العباد بالثناء على الصادق جزاء وفاقا . وعبر به عنه^(٤)

(١) سورة الشعراء، الآية ٨٤.

(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥ / ٢٨٦.

(٣) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١١ / ٤٠١.

(٤) ينظر ، ابن القيم ، مدارج السالكين ، (ت : ٧٥١ هـ) ، ٢ / ٢٦٠.

حيث بين الامام الصادق (عليه السلام) أنَّ قول الحق أهم حتى من المال في الدنيا ((في أصول الكافي محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن عثمان بن عيسى عن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيراً من المال يأكله ويورثه)).^(١) وبين بعضهم أن المقصود هو الامام علي عليه السلام)) أراد به هذه الأمة الفاضلة فأجابه الله وجعل له ولغيره من أنبيائه لسان صدق في الآخرين، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك قوله عز وجل: " وجعلنا لهم لسان صدق عليا))^(٢)

فيجب على الإنسان أن يكون صادقاً وأن كان في ذلك مشقة كبيرة عليه ويحتاج إلى جهد كبير وصبر كبير أيضاً^(٣) فلدرء هذه المشقة ، يطلب الإنسان من ربه تعالى أن يوفقه في قول الصدق حيث ورد عن ((أبي قتادة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام) أنه قال: ثلاث لم يسأل الله (عز وجل) بمثلهن، أن تقول: اللهم فقهنني في الدين، وحببني إلى المسلمين، واجعل لي لسان صدق في الآخرين)).^(٤)

فهذه تعد من الآيات التي لقنت الناس درساً مهماً في الاخلاق السامية ، خاصة وأنها نزلت في وقت لم يكن فيه الاسلام منتشرا ، ولم تكن فيه الاخلاق الفاضلة مزروعة في نفوس الناس بشكل كافي ، فأعطت أشارات مهمة على طلب التوفيق من الله تعالى بأن يكونوا صادقين في دنياهم وبيّنت أن للصدق نتائج كبيرة في الآخرة فإن الصدق عاقبته الجنة ، الكذب عاقبته النار^(٥)

٢- قوله تعالى : ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^(٦)

^(١) الكليني : محمد بن يعقوب الكافي ، ، ١٥٤/٢

^(٢) الشيخ الصدوق ، الخصال ، (ت : ٣٨١ هـ) ، ص ٣٠٧.

^(٣) ينظر ، امين : احمد، كتاب الاخلاق ، ص ٢٢٠.

^(٤) الطوسي : محمد بن الحسن الأمالي ، (ت : ٤٦٠ هـ) ، ص ٣٠٣.

^(٥) ينظر ، كتاب في الاخلاق والعرفان ، لأحد الحفاظ الشيعة، ص ٧٥.

^(٦) سورة يوسف، الآية ٤٦

يقول الطوسي : ((والصديق الكثير التصديق بالحق للأدلة عليه، وكل نبي صديق بهذا المعنى))^(١) وسمي نبي الله يوسف عليه السلام بهذا الاسم لكثرة صدقه فيقول الطباطبائي : ((وسمى يوسف صديقاً وهو كثير الصدق المبالغ فيه لما كان رأى من صدقه فيما عبر به منامه ومنام صاحبه في السجن وأمور أخرى شاهدها من فعله وقوله في السجن وقد امضى الله سبحانه كونه صديقاً بنقله ذلك من غير رد.))^(٢)

فإن هذه الآية تعتبر من الآيات المحفزة للناس لقول الصدق ، فهي تبين كيف أن نبي الله يوسف عليه السلام خرج من السجن ومن ثم أصبح وزيراً بسبب صدقه ، حتى سماه القرآن الكريم صديقاً ، فالآية فيها إشارة جميلة إلى أهمية الصدق ، للمسلمين الاوائل خاصة لأنهم كانوا في بداية اسلامهم وكانت التقاليد الجاهلية مترسخة فيهم وأن الله تعالى أراد أن يزح هذه التقاليد او الافكار ، ولجميع المسلمين والناس عامة ليبقى وجوب الصدق من اهم علامات الاسلام الفارقة .

٣- قوله تعالى : ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِيْ مُدْخَلَ صِدْقٍ وَّاَخْرِجْنِيْ مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاَجْعَلْ لِّيْ مِنْ لَّدُنْكَ سُلْطٰنًا نَّصِيْرًا﴾^(٣)

للآية معان عديدة بينها الطبرسي حيث قال : ساعدني على اداء الوحي والرسالة بكل صدق وأمانة ، والثاني ، أدخلني إلى المدينة، وأخرجني منها إلى مكة للفتح، وثالثها: أدخلني كل أمر مدخل صدق، ورابعها: إن المعنى أدخلني القبر عند الموت مدخل صدق، وأخرجني منه عند البعث مخرج صدق،^(٤)

^(١)الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٦ / ١٤٨ .

^(٢)الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) ، ١١ / ١٨٨ .

^(٣) سورة الاسراء، الآية ٨٠ .

^(٤) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن، تفسير مجمع البيان، ٦ / ٢٨٤ .

بينما ذهب الشيخ الشيرازي إلى إنّ المعنى العام هو وجوب الصدق في جميع المواقف حيث قال :((ولكن من الواضح جدا أن التعبير القرآني الجامع في الآية الكريمة لا يمكن تحديده، فهو طلب في الدخول والخروج الصادق من جميع الأمور وفي كل الأعمال والمواقف والبرامج))^(١)

وأيضاً قال الطباطبائي :((المدخل بضم الميم وفتح الخاء مصدر ميمي بمعنى الادخال ونظيره المخرج بمعنى الاخراج والعناية في إضافة الادخال والاخراج إلى الصدق أن يكون الدخول والخروج في كل أمر منعوتاً بالصدق جارياً على الحقيقة من غير أن يخالف ظاهره باطنه أو يضاد بعض أجزائه بعضاً كأن يدعو الانسان بلسانه إلى الله وهو يريد بقلبه أن يسود الناس أو يخلص في بعض دعوته الله وبشرك في بعضها غيره. وبالجمله هو أن يرى الصدق في كل مدخل منه ومخرج ويستوعب وجوده فيقول ما يفعل ويفعل ما يقول ولا يقول ولا يفعل إلا ما يراه ويعتقد به، وهذا مقام الصديقين.))^(٢) فالصدق في هذه الآية هو الصدق الثابت الموصول بالله تعالى والذي لا يتغير ((و حقيقة الصدق في هذه الأشياء ، هو الحق الثابت ، المتصل بالله ، الموصول الى الله تعالى ، وهو ما كان به وله ، من الاقوال والأعمال . وجزء ذلك في الدنيا والاخرة . فمدخل الصدق ، ومخرج الصدق ، : أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً بالله ، وفي مرضاته . بالظفر بالبغية ، وحصول المطلوب ، ضد مخرج الكذب ومدخله))^(٣)

فهذه الآية لها التأثير الكبير في نفوس المسلمين خاصة وأنها نزلت في بداية اسلامهم ، فهي كباقي الآيات الداعية إلى الصدق ، أرادت ابعاد الناس عن الافكار الجاهلية ودعوتهم إلى الافكار الاسلامية الرصينة ، فجعلت الصدق من هم اساسات الاسلام النابعة من الايمان بالله تعالى ، فالآية الكريمة تشير إلى أحد التعاليم الإسلامية الأساسية والذي ينبع من روح التوحيد والإيمان ، فأى عمل فردي أو اجتماعي يجب أن يُبدأ بالصدق وينتهي بالصدق^(٤) فبالتالي أن هذه الآية تبين أهمية الصدق في رفع شأن الانسان ، فالآية تبين أهمية الصدق في رفع قيمة

(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٩ / ٨٩.

(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٣ / ١٧٦.

(٣)، ابن القيم ، مدارج السالكين، ٢ / ٢٥٩.

(٤) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٩ / ٨٨.

الأنسان وما تسمية به دائما إلى الأعلى ، ولهذا أمر الله تعالى نبيه بأن يجعل مدخله ومخرجه مقترباً بالصدق^(١)

المطلب الرابع : فائدة الصدق في سور الدعوة السرية

بين القرآن الكريم من خلال سور الدعوة السرية أهمية الصدق في حياتنا اليومية وأهميته في الحياة الآخرة ، وهو أن دل على شيء فإنما يدل على وجوب الالتزام بالصدق ، لما له من فوائد كثيرة . وسوف نستعرض مجموعة من آيات الدعوة السرية التي تبين فائدة الصدق .

١- قوله تعالى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ ﴾^(٢)

قال السمرقندي (ت: ٣٧٣ هـ) مفسرا معنى قدم صدق : ((قال مقاتل يعني بأن أعمالهم التي قدموها بين أيديهم ستكون خيرا عند ربهم وهي الجنة))^(٣) فإن الله تعالى يعطي الصادقين في دنياهم منزلة صادقة يرتضونها، ثابتة لا تزول ابداً ، قال الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) : ((والمراد بقدم الصدق هو المنزلة الصادقة كما يشير إليه قوله : ﴿ في مقعد صدق عند مليك مقتدر ﴾ فإن الايمان لما استتبع الزلفى والمنزلة عند الله كان الصدق في الايمان يستتبع الصدق في المنزلة التي يستتبعها فلم منزلة الصدق كما أن لهم إيمان الصدق . فإطلاق القدم على المنزلة والمكانة من الكناية ولما كان إشغال المكان عادة إنما هو بالقدم استعملت القدم في المكان إن كان في الماديات ، في المكانة والمنزلة إن كان في المعنويات ثم أضيفت القدم إلى الصدق ، وهو صدق صاحب القدم في شأنه أي قدم منسوبة إلى صدق صاحبها أو قدم هي صادقة لصدق صاحبها في شأنه . وهناك معنى آخر وهو أن يراد بالصدق طبيعته كأن للصدق

(١) ينظر ، حسين : مريم، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان ، واثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه في قطر ، ص ٤٨ .

(٢) سورة يونس ، الآية ٢ .

(٣) السمرقندي : ابو الليث (ت : ٣٨٣ هـ) ، تفسير السمرقندي ، ١٠٢/٢ .

قدما وللكذب قدما وقدم الصدق هي التي تثبت ولا تزول .^(١) اي أنَّ الله تعالى اعطاهم هذه المنزلة الصادقة لأنهم كانوا صادقين في إيمانهم ((أي كان سعيهم في الدنيا صادقا ومشكورا عند الله))^(٢) فتدل هذه الآية على أهمية الصدق في حياتنا ، وخاصة في حياة المسلمين الاوائل الذين كانوا في بداية إسلامهم ، فجاءت هذه الآية لتثير عقولهم بأحب الاشياء في الاشياء إلا وهو الصدق ، فالصدق هو صفة محبوبة حتى عند الكاذب نفسه، وهو ممدوح وإن لم يُعمل به ، وهو يبين النفس النزيهة، فهو يوضح عن نزاهة الإنسان، وطهارة روحه، وسلامة ما نطوت عليه أضلاعه^(٣)

فليس شيء اجل من الصدق واعلى مرتبة من الصادق، وهو انفع الاشياء في العاقبة، واصله وصف ما يجوز وصفه وهو ضد الكذب^(٤) فيقول الامام الصادق (عليه السلام) : ((اربع من كن فيه كمل ايمانه وان كان من قرنه إلى قدميه ذنوبا لم ينقصه ذلك وهي : الصدق، وأداء الامانة، والحياء وحسن الخلق))^(٥) .

فأهم الامور أنَّ يكون الانسان صادقا في إيمانه حتى ينال هذه المرتبة الصادقة لأنه من أعظم دلائل الصدق وعلاماته القران الكريم الايمان والجهاد في سبيل الله^(٦) فالصدق هو حسن محبوب حتى عند الكاذب نفسه، وهو ممدوح وأن تركه الناس، وهو مرآة النفس النزيهة، فالصدق يكشف عن نزاهة نفسه، وطهارة روحه، وسلامة مانطوت عليه أضلاعه، فليس فيه اي التواء أو او عوجاج، بل مستقيم استقامة البان^(٧)

٢- قوله تعالى : ﴿فِي مَفْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(٨)

^(١)الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٨/١٠ .

^(٢)مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ص ٢٦٥ .

^(٣)الشيرازي : محمد، الفضيلة الاسلامية ، ٣/٣٣٧ .

^(٤)ينظر ، كتاب الاخلاق والعرفان، احد حفاظ الشيعة في القرن الخامس او السادس، ص ٧٣ .

^(٥)ينظر ، الكليني (ت : ٣٢٩ هـ)، اصول الكافي ، ١ / ٣٨٠ .

^(٦)حسين : زينب، السرائر في ضوء القران الكريم ، ص ١١٠ .

^(٧)الشيرازي : محمد، الفضيلة الاسلامية ، ٣/٣٣٧ .

^(٨) سورة القمر، الآية ٥٥ .

قال الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((والمراد بالصدق صدق المتقين في إيمانهم وعملهم أضيف إليه المقعد لملازمة ما ويمكن أن يراد به كون مقامهم ومالهم فيه صدقا لا يشوبه كذب فلهم حضور لا غيبة معه، وقرب لا بعد معه، ونعمة لا نقمة معها، وسرور لا غم معه، وبقاء لا فناء معه. ويمكن أن يراد به صدق هذا الخبر من حيث إنه تبشير ووعد جميل للمتقين، وعلى هذا ففيه نوع مقابلة بين وصف عاقبة المتقين والمجرمين حيث أوعد المجرمون بالعذاب والضلال وقرر ذلك بأنه من القدر ولن يتخلف، ووعد المتقون بالثواب والحضور عند ربهم المليك المقتدر وقرر ذلك بأنه صدق لا كذب فيه)).^(١)

فتدل هذه الآية على أن الله تعالى يبشر المتقين الصادقين بأن لهم محل في يوم القيامة لا يجدون فيه إلا الحق ، وما هذا الا احد الدوافع المعنوية للناس بأن يصدقوا مع الآخرين ، خاصة وأنها نزلت في عصر مهم جدا من الاسلام وهو عصر الدعوة السرية ، حيث إن معنى مقعد صدق هو مجلس حق لا يجد فيه الناس لغواً ولا تأثيماً ومعنى عند مليك مقتدر بما هو عليه من صدق دوام النعيم به ^(٢)،

فشبه الله تعالى هذا المكانة التي يعطيها للمتقين بالصدق للدلالة على أهميته ويقول الشيرازي : ((أن المكان هو (مستقر صدق) وليس فيه باطل، بل كله حق يجد فيه المتقون كل ما وعدوا به كاملا غير منقوص.))^(٣)

فالصدق هنا هو ما معناه ضد الكذب ((يحتمل ان يريد به الصدق الذي هو ضد الكذب أي في المقعد الذي صدقوا في الخبر به ويحتمل أن يكون من قولك عود صدق أي جيد ورجل صدق أي خبر وخلال حسان))^(٤) . ففي الآية إشارة واضحة إلى الذين دخلوا الاسلام بأن يكونوا صادقين في حياتهم لان الله عز وجل سوف يكافؤهم بما ترتضي له نفوسهم ، فالإنسان الصادق في أقواله وأعماله يشرف قدره عند الله تعالى ، وتعلو منزلته في الدنيا والآخرة ، ذلك أن

^(١)الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٩ / ٨٩ .

^(٢) ينظر الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٩ / ٤٦١ .

^(٣)الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ١٧ / ٣٤٩ .

^(٤)الأندلسي : ابن عطية (ت: ٥٤٦ هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ٥ / ٢٢٢ .

الصدق يدل على حسن السيرة ونقاء السريرة وسمو الهمة^(١) و يقول ابن القيم (ت : ٧٥١ هـ) :
 ((ولا يزال الله يمددهم بأنعمه أطافه ومزيده إحسانا منه وتوفيقا ، لهم مرتبة المعية مع الله . فإنَّ
 الله تعالى مع الصادقين ، ولهم منزلة القرب منه))^(٢) ويقول ابن العربي (ت : ٦٣٨ هـ) :
 ((إلاَّ أنَّ ذلك صدقهم هو الذي أقدّمهم ذلك المقعد عند ملكٍ مقتدر فإنَّ الاقتدار يناسب الصدق
 فإنَّ معناه القوي يقال رمح صدق أي صلب قوي ولما كانت القوة صفة هذا الصادق حيث قوى
 على نفسه فلم يتزين بما ليس له والتزم الحق في أقواله وأحواله وأفعاله وصدق فيها أقدّمه الحق
 عند ملكٍ مقتدر أي أطلعه على القوة الإلهية التي أعطته القوة في صدقه الذي كان عليه فإنَّ
 الملك هو الشديد أيضا فهو مناسب للمقتدر))^(٣)

٣- قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٤)

فان الله تعالى أنجى الهدهد من سليمان لأنّه صدق معه((الضمير لسليمان عليه السلام. أحال
 القضاء في أمر الهدهد إلى المستقبل فلم يصدقه في قوله لعدم بينه عليه بعد ولم يكذبه لعدم
 الدليل على كذبه بل وعده ان يجرب ويتأمل))^(٥) ومن الجميل أن هذه الآية تدل على مجموعة
 من القيم الاخلاقية ، التي كانت تريد انباتها في قلوب المسلمين الاوائل إلا وهي وجوب عدم
 تكذيب الإنسان الا بعد التأكد من كذبه ، وأيضا أن الانسان ينجو من خلال صدقه فقط ((قد
 أصغى سليمان (عليه السلام) إلى كلام الهدهد بكل اهتمام.. وفكر مليا، ولعل سليمان كان يظن
 أنَّ كلام الهدهد صحيح، ولا دليل على كذب بهذا الحجم.. لكن حيث أنَّ هذه المسألة لم تكن
 مسألة " ساذجة " بسيطة، ولها أثر كبير في مصير بلد كامل وأمة كبيرة!.. فينبغي أن لا يكتفي
 بمخبر واحد، بل ينبغي التحقيق أكثر في هذا المجال: قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين.
 وهذا الكلام يثبت بصورة جيدة أنه يجب الإهتمام في المسائل المصيرية المهمة، حتى لو أخبر
 بها " فرد " صغير، وأنَّ يعجل في التحقيقات اللازمة " كما تقتضيه السين " في جملة " سننظر

(١) ينظر ، الحمد : محمد ابراهيم ، الكذب ، مظاهره ، علاجه، ص ٣٥.

(٢) ابن القيم : مدارج السالكين ، ٢/ ٢٥٧.

(٣) ابن العربي (ت: ٦٣٨ هـ) ، الفتوحات المكية ، ١ / ١٥٨.

(٤) سورة النمل، الآية ٢٧.

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ١٥ / ٣٥٧.

"سليمان (عليه السلام) لم يتهم الهدهد فيحكم عليه بالكذب.. ولم يصدق كلامه دون أي دليل... بل جعله أساسا للتحقيق!!^(١)

فمن خلال هذه الآية المباركة عَرَفَ الانسان المسلم تأثير الصدق في حياته ، خاصة وأنه كان يعيش في عصر الظلمات ، قلما يجد فيه الانسان الصادق ، فنبه الله تعالى في بداية الدعوة الى الاسلام أن احد تأثيرات الصدق الايجابية هو النجاة فكثير من القضايا التي كان فيها الانسان في خطر شديد لكنه صدق ونجاه الله تعالى بسبب صدقه^(٢) ((النجاة في الصدق))^(٣)

وكقول الامام الصادق (عليه السلام) في أهمية الصدق في نجات الانسان ((من كان فعله لقوله موافقا فهو ناجٍ، ومن لم يكن فعله لقوله موافقا فإنما ذلك مستودع))^(٤).

ومما يدل على أهمية الصدق أيضا وجوب هذه الصفة في الراوي الخاص بالحديث الشريف، فاشتراط اهل مصطلح الحديث أن يكون الراوي صادقا في حديثه حتى يأخذ منه الحديث حيث ورد أنه ((تعلموا الصدق قبل الحديث))^(٥).

^(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢ / ٥٤_٥٥.

^(٢) ينظر ، المامقاني : عبد الله، مرآة الرشاد، ، ص ١٤٩.

^(٣) المجلسي : محمد باقر، بحار الأنوار ، ١٤/٧٠.

^(٤) النيشابوري : محمد بن فتال، روضة الواعظين ، ٢/٤١٩.

^(٥) الكافي، الكليني (ت: ٣٢٩ هـ)، ٢/١٠٤ ، باب الصدق وأداء الأمانة حديث ٤؛ وسائل الشيعة، العاملي (

ت: ١١٠٤ هـ)، ٨ / ٥١٤ ، (باب وجوب الصدق حديث ٥).

المبحث الثاني :

قيمة الصبر في سور الدعوة السرية

المطلب الأول : ماهية الصبر وفضله في سور الدعوة السرية

المطلب الثاني : الأمر بالصبر في سور الدعوة السرية

المطلب الثالث : جزاء الصابرين في سور الدعوة السرية

إنَّ الإنسانَ مُعرض في حياته لجميع أنواع الابتلاءات التي تصيبه في حياته ، من نقص الاموال والبنين وفقدان الأحبة ، وبما أنَّ طبيعة الانسان أنَّه جزوع دائما ، أراد الله تعالى أن يرسخ صفة الصبر في نفوس المسلمين حتى يكونوا قادرين على تحمل المصائب التي تصيبهم في حياتهم .

ففي هذا المبحث سنتناول قيمة الصبر ونبين أهميتها وفضله وجزاء الصابرين مستدلين بمجموعة من آيات الدعوة السرية .

المطلب الأول : ماهية الصبر وأنواعه وفضله في سور الدعوة السرية

أولاً : ماهية الصبر

- الصبر لغة :

١- قال الفراهيدي (ت : ١٧٠ هـ) ((صبر : الصبر : نقيض الجزع . ، الصبر : نصب الإنسان للقتل ، فهو مصبور ، و صبروه أي نصبوه للقتل . و الصبر أخذ يمين إنسان ، تقول : صبرت يمينه أي حلفته بالله جهد القسم .والصبر في الأيمان لا يكون إلا عند الحكام))^(١)

٢- ابن منظور (ت : ٧١١ هـ) ((والصَّبْرُ : نقيض الجزع ، صَبَرَ يَصْبِرُ صَبْرًا ، فهو صَابِرٌ وَصَبَّارٌ وَصَبِيرٌ وَصَبُورٌ ، والأُنثى صَبُورٌ أَيْضًا ، بغير هاء ، وجمعه صُبُرٌ . الجوهري : الصَّبْرُ حَبْسُ النفس عند الجزع ، وقد صَبَرَ فلان عند المُصِيبَةِ يَصْبِرُ صَبْرًا ، وَصَبْرَتُهُ أَنَا : حَبَسَتْهُ . وَالتَّصَبُّرُ : تَكَلُّفُ الصَّبْرِ))^(٢)

٣- واوضح الزبيدي (ت : ١٢٠٥ هـ) معنى الصبر قائلا : ((وَأَصْلُ الصَّبْرِ : الْحَبْسُ : وَكُلُّ مَنْ حَبَسَ شَيْئًا فَقَدْ صَبَرَهُ . وفي حديث آخر في رجل أمسك رجلاً وقتله آخر ، فقال : ((اقْتُلُوا الْقَاتِلَ وَاصْبِرُوا الصَّابِرَ))^(٣) يعني احبسوا الذي حبسه للموت حتى يموت كفعله به وقد قتله صَبْرًا . وقد صَبَرَهُ عليه ، وكذلك لو حَبَسَ رَجُلٌ نَفْسَهُ عَلَى شَيْءٍ يُرِيدُهُ قَالَ : صَبَرْتُ نَفْسِي))^(٤)

- اصطلاحاً : عرفه الشريف المرتضى (ت : ٤٣٦ هـ) ((الكف عن الجزع عند الشدائد))^(٥) ومنهم من عرفه على أنه ((حبس النفس عما تشتهيه من المقبحات وحملها على الطاعات ، واكمل أفراد الصبر كف النفس عن الحظوظات النفسانية والموارات

^(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ١١٥/٧ ، (باب الصاد والراء والباء معهما ص ب ر ، ب ص ر ، ص ر ب ، ب ر ص).

^(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ٤/٤٣٨ ، (فصل الصاد المهملة).

^(٣) المجلسي : محمد باقر ، بحار الأنوار ، ٩٣/٨٣ .

^(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، ٧٠/٧ ، (باب صبر).

^(٥) الشريف المرتضى : علي بن الحسين ، مسائل الشريف المرتضى ، ٢٧٤/٢ .

الجسمانية ، والشهوات الحيوانية المباحة))^(١) وعرفه الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ)
(هو حبس النفس عما تدعوا إليه من الأمور ، والصابر هو الحابس نفسه عما تدعوا
إليه مما لا يجوز له . وهو صفة مدح . ووجه الاستعانة بالصبر أن في توطين النفس
على الأمور تسهيلا لها . واستشعار الصبر إنما هو توطين النفس . ووجه الاستعانة
بالصلاة ما فيها من الذكر لله ، واستشعار الخشوع له ، وتلاوة القرآن وما فيه من الوعظ
، والتخويف ، والوعد ، والوعيد ، والجنة ، والنار ، وما فيه من البيان الذي يوجب الهدى
ويكشف العمى . كل ذلك داع إلى طاعة الله ، وزاجر عن معاصيه))^(٢) وعرفه
الجرجاني (ت : ٨١٦ هـ) هو أن يترك الشكوى من البلوي لما عدا الله تعالى ^(٣)

ثانيا : أنواع الصبر

١- الصبر عن المعصية : ومن أشد أنواع الصبر عن المعاصي ، هي الصبر عن
المعاصي التي صارت مألوفة ومعتادة . فإن العادة طبيعية خامسة فإذا أضيفت إلى
الشهوة حمل جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى ، فلا يقوى باعث الدين على
قمعهما . وإذا كانت المعصية مما يسهل فعلها واجترأها ، كان الصبر عنها أثقل على
النفس^(٤)

فذكر ابن القيم (ت : ٧٥١ هـ) أن له سببين وفائدتين ((أما السببان ، فالخوف من لحيق الوعيد
المرتب عليها ، والثاني ((الحياء)) من الرب تبارك وتعالى أن يستعان على معاصيه بنعمه ،
وأن يبارز بالعظائم ، أما الفائدتان : فالإبقاء على الإيمان ، والحذر من الحرام ، فأما مطالعة
الوعيد والخوف منه : فيبعث عليه قوة الإيمان بالخبر والتصديق بمضمونه . وأما الحياء :
فيبعث عليه قوة المعرفة . وأما الفائدتان : فالإبقاء على الإيمان : يبعث على ترك المعصية ،
لأنها لا بد أن تنقصه ، أو تذهب به ، أو تذهب رونقه وبهجاه ... ، وأما الحذر من الحرام :

(١) الحيدري :فاضل، الصبر مسكن القلوب، ص ٨.

(٢) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٣٣/٢.

(٣) ينظر ، الجرجاني : علي بن محمد ، التعريفات ، ، ص ١٧٢.

(٤) الكاشاني : الفيض (ت : ١٠٩١ هـ) ، احوال السالكين ، ص ٣٣.

فهو الصبر عن كثير من مباح ، حذراً من أن يسوقه الى الحرام))^(١) فالصبر عن المعاصي لازم لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، فإنه عز وجل قد نهى العباد عن الفحشاء والمنكر ليعيشوا في هذه الحياة مطمئنين ، ولا ينال أحدهم من عرض أخيه بالقول والفعل ولا يعتدي أحدهم على غيره في ماله وأهله وبدنه ، ولا تغرهم الحياة الدنيا وزينتها ، فيسعون في الأرض فساداً من أجل الحصول على لذاتها المضمحلة الفانية وشهواتها الفاسدة^(٢) ويقول الانصاري (ت: ٤٨١ هـ) في الصبر عن المعصية ((بمطالعة الوعيد ، إبقاء على الإيمان ، وحذرا من الجزاء . وأحسن منها الصبر عن المعصية حياء))^(٣)

٢- الصبر على الطاعة : ومن الصبر على طاعته دوام الشكر لله تعالى وصرف نعمه في

طاعته وأمرًا بمعروفه ونهياً عن منكره ، واحترام وتوقير أهل الدين وتقديرهم^(٤)

يقول الفيض الكاشاني أن الصبر على الطاعة في ثلاثة حالات :

أ- قبل الطاعة : وذلك في تصحيح النية والإخلاص والصبر عن شوائب الرياء ودواعي

الآفات . وعقد العزم على الإخلاص والوفاء ، وذلك من الصبر الشديد.

ب- حال الطاعة : وذلك لكي لا يغفل عن الله تعالى أثناء أدائه لحق الطاعة ولا يتكاسل

عن تحقيق آدابه وسننه ، من خلال المداومة على الشروط والآداب حتى آخر العمل

، فيلازمه الصبر عن الفتور حتى الفراغ من العمل ، وهذا أيضا من شدائد الصبر

ت- بعد الفراغ من العمل : وهو يحتاج الصبر عن إفشاء العمل والتظاهر به للسمعة

والرياء^(٥)

لهذا فإنَّ الصبر على الطاعة اشد وأقوى من الصبر عن المعصية حيث يقول ابن القيم : ((

أنَّ فعل الطاعة أكد من ترك المعصية . فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في

الدرجة . وهذا هو الصواب ، فإنَّ ترك المعصية إنما كان لتكميل الطاعة . والنهي مقصود للأمر

. فالمنهى عنه لما كان يضعف المأمور به وينقصه : نهى عنه حماية ، وصيانة لجانب الأمر ،

(١) الجوزية : ابن القيم ، مدارج السالكين ، ، ١٦٣/٢ ، ١٦٤ .

(٢) مجيد : مها مد الله ، الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم، ص ٦ .

(٣) الانصاري : عبد الله ، منازل السائرين ، ، ص ٧٠ .

(٤) مجيد : مها مد الله ، الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم، ص ٦ .

(٥) الكاشاني : الفيض (ت: ١٠٩١ هـ) ، احوال السالكين، ص ٣١ ، ٣٢ .

فجانب الأمر أقوى وأكد . وهو بمنزلة الصحة والحياة . والنهي بمنزلة الحمية التي تراد لحفظ الصحة وأسباب الحياة .))^(١)

الصبر عند المصيبة : وأن مما لا شك فيه هو أنه تعالى يبتلي عبده ليمسح شكواه وتضرعه ويرى صبره ورضاءه بما قدره عليه ، فإنه سبحانه يرى عباده إذا انزل بهم ما يختبرهم به من الشدائد ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فيثيب ويجازي كل عبد على قصده ونيته ^(٢)

وقد قسم العلامة الفيض الكاشاني الصبر الى

١- صبر بدني كتحمل المشقات بالبدن والثبات عليها وهي على أقسام

صبر بالفعل : كتعاطي الأعمال الشاقة كالعبادات وغيرها

صبر بالتحمل : كالصبر على الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات العائلة وذلك قد يكون محمودا اذا وافق الشرع، لكن المحمود التام هو النوع الثاني من الصبر

٢- صبر نفسي وهو صبر عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى وهو على عدة اقسام ايضا

العفة: وهو الصبر عن شهوة البطن والفرج و الصبر على المصيبة : وتضاده حالة تسمى الجزع والهلع و ضبط النفس: وهو الصبر على الغنى وتضاده حالة تسمى البطر و الشجاعة : وهي الصبر في الحرب والمقاتلة ويضاده الجبن و الحلم : وهو كظم الغيظ والغضب ويضاده التذمر وسعة الصدر : وهو الصبر على نائبة من نوائب الزمان و الكتمان : وهو الصبر على اخفاء الكلام و الزهد: وهو الصبر عن فضول العيش^(٣)

ثالثا : فضل الصبر

من مميزات صفة الصبر أن الإنسان إذا تحلى بها فإنه لن يكسل ولن يضجر ولن يتذمر ، وبالتالي يضمن الحقوق والواجبات ، ولا يتسلق سلم النجاح سوى من يمتلك صفة الصبر

^(١) الجوزية : ابن القيم ، مدارج السالكين ، ١٦٥/٢ .

^(٢) مجيد : مها مد الله ، الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم، ص ٧ .

^(٣) الكاشاني : الفيض، احوال السالكين، ص ٢٣ .

والثبات^(١) حيث أعتبر القرآن الكريم أنَّ اليأس هو كفر بالله تعالى ، ليعطينا رسالة قوية مفادها بأنَّ اليأس من رحمة الله تعالى هو محرم في الإسلام ، وهذا ما مارسه المسلمون الاوائل فمنحهم الله تعالى القوة وفتحوا بها الدنيا ، حيث أمر يعقوب (عليه السلام) أبناءه أن يذهبوا يتحسسوا أخبار يوسف وأخيه ، مما يدل على اعتقاده الجازم بأنَّ يوسف (عليه السلام) ما يزال حياً ، وأنَّ الله تعالى سيجمعه معه ومع أخيه ، ولم يكتف النبي يعقوب (عليه السلام) بإصدار الأمر فقط ، بل أمرهم بعدم اليأس والصبر ، فليس اليأس من صفات المؤمنين ، بل أنَّ الصبر هو من صفاتهم وهو طريق الخير لهم^(٢) فالصبر هو الرحمة الإلهية التي نزلت على الناس لتقلل معاناتهم وتجعلهم قادرين على الاستمرار بالحياة دون معاناة ((فالصابر يتلقى المكاره بالقبول ويراهها من نعم الله تعالى ، وعند التأمل نرى العناية الإلهية تسوق إلينا الشدائد لحكمة عالية ، والجاهل هو الذي يضجر ويحزن ويكتئب ، أما العاقل فيلتمس وجوه الخير فيما يبتليه الله تعالى به من الشدائد ، وقد جربنا فرأينا النقم تساق لمنافع مستورة نجهلها كل الجهل ، تم تظهر رويداً رويداً فنرى الخيرة فيما اختاره الله تعالى ، ونندم على ما أسلفنا من الحزن والاكتئاب))^(٣) فلولا الصبر لانهارت نفس الإنسان من المحن والمصائب التي تحل به ولما أصبح قادر على السير في ركب الحياة ، ولأصبح كافراً بكل القيم الأخلاقية ، ويكون عنصر شر لا نفع به ، لذلك نستطيع أن نصف الصبر بأنه الحد الفاصل بين الحياة الروحية والمادية ، لذلك عنى به القرآن الكريم ومدحه ورفع منزلته حيث جاء ذكره حوالي سبعين مرة ، ولم تذكر أي فضيلة أخرى بهذا القدر وهذا يدل على عظمة أمره ، ولأنَّه أساس كثير من الفضائل ، بل هو أهمها لأنَّه يربي ملكات الخير في النفس فما من فضيلة إلا وهي بحاجة إليه^(٤)

(١) ينظر ، الحيدري : فاضل، الصبر مسكن القلوب ، ، ص ٧٦.

(٢) ينظر ، محمد مصحوب و مجاد محمد ، الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف (عليه السلام)، ص ٢١٤.

(٣) مبارك : زكي، التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق ، ١٤٩/٢.

(٤) مجيد : مها مد الله. الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم ، ، ص ٤.

المطلب الثاني : الأمر بالصبر في سور الدعوة السرية

لا شك في أنَّ أوامر الله تعالى إنما جاءت من أجل مصلحة معينة مفيدة للإنسانية ، فهو تعالى وحده من يعلم ما يمكن أن يمر به الإنسان في حياته ، وهو وحده يعلم ما ينفعه ، لهذا نجد أنَّ كل الأوامر الإلهية إنما تحمل منافع كثيرة للإنسان سواء كانت منافع بدنية أو نفسية ، ومن هذا نعرف أنَّ أمر الله تعالى بالصبر إنما يُراد منه منفعة نفسية وبدنية نظراً ما يمكن أن يمر به الإنسان .

ففي هذا المطلب سنتطرق إلى الآيات الخاصة بسور الدعوة السرية التي بينت أوامر الله تعالى بالصبر .

١- قوله تعالى : ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾^(١)

يقول الشيخ المفيد (ت: ٤١٣ هـ) ((فبشّرهم بصبرهم على أذى الكافرين بميراث أرضهم ، والملك لديارهم من بعدهم ، والاستخلاف على نعمتهم ، ولم يرد بشيء من ذلك تمليكهم مقام النبوة والإمامة على سائر الأمة ، بل أراد ما بيّناه))^(٢) فإنَّ نبي الله موسى (عليه السلام) إنما أمر قومه بالصبر لما فيه من فائدة ستظهر لهم فيما بعد . فوجب على قوم موسى أن يصبروا على الوقوف مع الحق حتى ينالوا الجزاء فيما بعد ((أمر من موسى إياهم بالصبر وهو حبس النفس عما يؤدي إلى ترك الحق مع تجرع مرارة ذلك الحبس ونقيضه الجزع))^(٣) .

وأن نتيجة ذلك الصبر هو الجنة ((تمسكوا بالتقوى في الدنيا ، فإن حسن العاقبة في الدارين للمتقين ، والعاقبة : ما يؤدي إليه البادئة ، إلا أنه إذا قيل العاقبة له ، فهو في الخير))^(٤) ، فإنَّ اليأس من أعظم الأمور المعيقة للصبر والتي حرص المنهاج القرآني على دفعها عن نفوس

(١) سورة الاعراف ، الآية ١٢٨ .

(٢) الشيخ المفيد : محمد بن محمد (ت: ٤١٣ هـ) ، تفسير القرآن المجيد ، ص ٣٧٩ .

(٣) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥١٣/٤ .

(٤) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٣٣٥/٤ .

المؤمنين ، وأكد أنَّ اليأس من صفات الكافرين^(١) حيث قال الله تعالى : ﴿يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يَيْئَاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٢) حيث أن اخوة يوسف قد حسبوا بأنَّ الأمر قد انتهى وليس له عودة بعد الآن ، لكن النبي يعقوب (عليه السلام) كان صابرا ، وله أمل ورجاء في ردّ ولديه حتى كافأه الله تعالى لصبره^(٣) حيث طلب النبي يعقوب (عليه السلام) من ابنائه أن ينتبهوا وأن يشغلوا كل حواسهم في البحث عن ابنه يوسف وأخيه ، وأمرهم أن لا ييأسوا من رحمة الله لأنَّ اليأس هي صفة الكافرين^(٤).

حيث يقول فتح الله الكاشاني (ت: ٩٨٨ هـ) بأنَّ الله تعالى كافئ الذين صبروا واستعانوا به بأن يهلك فرعون وأنصاره وأن يورثهم الأرض ، كما أن مكانهم في الآخرة مكانة المتقين ألا وهو الجنة^(٥) فإنَّ النبي موسى (عليه السلام) أمرهم بالصبر لما فيه من فائدة من حيث أنّه راحة لقلوبهم وتسكيناً لهم ((تسكيناً لهم من ضجرهم بوعيد فرعون ، وتسلية لقلوبهم . إن الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين : وعد لهم منه بالنصرة ، وتذكير لما كان قد وعدهم من إهلاك القبط ، وتوريثهم ديارهم وتحقيق له .))^(٦).

فلو لم يكن للصبر من أهمية لما أمرهم موسى (عليه السلام) به ، بل أنَّ الصابرين هم المنتصرين بعد صبرهم ((وأمرهم بالصبر والتوكل على الله ، ومناهم بالنصر إذا هم صبروا واتقوا ، لأن الأرض والملك لله لا لفرعون ، والله مع المتقين))^(٧).

٢- قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُصِمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾^(٨)

^(١) علي : مريم حسين، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان، ، ص ٢٤.

^(٢) سورة يوسف ، الآية ٨٧.

^(٣) ينظر ، الحيدري : فاضل، الصبر مسكن القلوب ، ص ٤٥.

^(٤) ينظر ، الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف (عليه السلام) ، محمد مصعب ، ص ٢١٤.

^(٥) ينظر الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير ، ٥٨٠/٢.

^(٦) الكاشاني : الفيض، التفسير الصافي ، ٢٢٧/٢.

^(٧) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) ، ٣٨٢/٣.

^(٨) سورة يونس ، الآية ١٠٩.

قال الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ﴿وَاصْبِرْ﴾ أمر من الله تعالى بالصبر وهو تذوق مرارة الامتناع من المشتبه كصبر الصائم على العطش والجوع، وكصبر النفس عن المحرمات . وإنما يعين الإنسان على الصبر هو العلم بالخير الذي يناله وما يعطيه الله تعالى على فعله من الثواب وعلى تركه من العقاب . وقوله حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ َ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿﴾ أمر من الله تعالى لنبيه صل الله عليه وآله بالصبر على اذى المشركين وعلى وصفهم له بأنه ساحر و كذاب ومجنون ، حتى يحكم فأمره بالهجرة والجهاد^(١) فتدل هذه الآية الكريمة على أنَّ الانسان ينال الخير الوفير بعد جهد الصبر على المشقات إذ يقول الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) : ((اصبر على دعوتهم واحتمال أذاهم ، (حتى يحكم الله) لك بالنصر عليهم والغلبة *) وهو خير الحكمين) لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل))^(٢) ، ويقول الطهراني (ت: ١٣٥٣ هـ) : ((ثم أمر نبيّه باتّباع الوحي والتنزيل فإن وصل إليه صلى الله عليه وآله بسبب ذلك الاتّباع مكروه فليصبر عليه إلى أن يحكم الله فيه وهو حكم عدل لا جور في قضيتّه))^(٣) فالصبر صفة من صفات الانبياء وكل الداعين إلى الحق ، فالآية تحدد وتبين وظيفة الرسول بتبليغه للوحي ، والصبر على ما يلاقه من اذى المشركين إلى أن يغلبه الله عليهم بأن يظهر دينه ، وهذه هي مهمة كل من يبلغ وينشر أحكام الله تعالى^(٤) حيث يذكر المنهاج القرآني بأحسن النماذج الصابرة ، وأقومها على الاطلاق ، كصبر الانبياء (عليهم السلام) فلا بد للمسلم أن يتعظ بهذه النماذج ، ويقتدي بها^(٥) لذا فالمطلوب من المؤمن ألا يخرج الألم بالضراء ، ولا الفرح بالسراء عن دائرة التوجه إلى الله تعالى والتوكل عليه ، بل يجعل الفرح شكرا والحزن صبرا ، وهذا ما كان عليه الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) وأصحابه الكرام^(٦).

فإن الله تعالى عندما أمر نبيه الكريم بوجوب الصبر بين له إنّه سينال الجزاء الذي يرتضيه وما هذا إلا رسالة للناس أجمع بوجوب الاقتداء بالنبي محمد (صل الله عليه وعلى آله) ((أمر

(١) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٤٤٣/٥ .

(٢) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ١٥١/٣ .

(٣) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٢٩١/٥ .

(٤) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ١٩٩/٤ .

(٥) حسين : مريم ، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان ، علي ، ص ٢٥ .

(٦) مجيد : مها مد الله ، الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم ، ، ص ٥ .

باتباع ما يوحى إليه والصبر على ما يصيبه في جنب هذا الاتباع من المصائب والمحن ، ووعده بأن الله سبحانه سيحكم بينه وبين القوم ، ولا يحكم إلا بما فيه قرّة عينه فالآية تشتمل على أمره بالاستقامة في الدعوة وتسليته فيما يصيبه ، ووعده بأن العاقبة الحسنى له ((^(١)) فالصبر أحد الأساسات الإسلامية المهمة (("الصبر " أصل كلي وأساس إسلامي ، يأتي أحيانا في القرآن مقرونا بالصلاة ، ولعل ذلك آت من أن الصلاة تبعث في الإنسان الحركة ، والأمر بالصبر يوجب المقاومة ، وهذان الأمران ، أي " الحركة والمقاومة " حين يكونان جنبا إلى جنب يثمران كل اشكال النجاح والموفقية . وأساسا يتحقق عمل صالح دون صبر ومقاومة . . . لأنه لا بد من إيصال الأعمال الصالحة إلى النهاية ، ولذلك فإن الآية المتقدمة تعقب على الأمر بالصبر بثواب الله وأجره إذ تقول : إن الله لا يضيع أجر المحسنين ومعنى ذلك أن العمل الصالح لا يتيسر دون صبر ومقاومة))^(٢) حتى قال بعضهم في فضل الصبر ((الصبر جنة المؤمن وسريرة الموقن وعزيمة المتوكل ، وهو سبب درك النجاح ومفتاح الظفر وباب الفرح وقيد التعبد وسبيل الأبرار ومطية الأخبار ، والله مع الصابرين ويحبهم ويوفي أجورهم))^(٣)

٣- قوله تعالى : ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٤)

تدل هذه الآية الكريمة على أهمية الصبر من حيث أمر الله تعالى للنبي بالتزام الصبر ، وأنه لن يضيع أجره بعد ذلك الصبر ((أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على أذى قومه وتكذيبهم إياه ، والتجلد عليه ، وعلى القيام بما افترض عليه من أداء الواجب ، والامتناع من القبيح ، وبين له أنه لا يضيع ولا يهمل أجر المحسنين على احسانهم بل يكافئهم عليه أتم الجزاء وأكمل الثواب ، و (الصبر) حبس النفس عن الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق))^(٥) ، إذ إنّ الصبر على الطاعة والصبر عن المعاصي يعد من الحسنات التي يكتسبها الانسان ، فالصبر يعد احسان دائم لصاحبه لا ينتهي أبدا^(٦) وأن الله تعالى لن يدع الصابر بدون أجر

(١) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٣٣/١٠ .

(٢) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٩٣/٣ .

(٣) كتاب في الاخلاق والعرفان ، احد حفاظ الشيعة ، ص ٣١٨ .

(٤) سورة هود ، الآية ١١٥ .

(٥) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٨٠/٦ .

(٦) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٣٢٧/٣ .

حيث يقول عبد الله شبر (ت : ١٢٤٢ هـ) : ((واصبر) على الصلوات الخمس أو الطاعات أو على أذى قومك ﴿ فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ الصابرين على الطاعة وترك المعصية))^(١) .

فالإنسان الذي يقول كلمة الحق سوف يلاقي الكثير من المتاعب في حياته ، فلا سبيل له إلا بالصبر على تلك المتاعب ، فإنَّ الآية تشير إلى أنَّ الذي يستقيم في حياته سيلقى الكثير من المنحرفين والضالين ، فيجب عليه أن يكون صابراً محتسباً ، فهو من أفضل الطاعات واحسنها وفيه أعظم الحسنات^(٢) وهذا ما يؤكد الشيرازي ((انه ستعترضك في هذا الطريق مشاكل مضيئة ومصاعب جمة ، فلا تدع للخوف من سيل المشاكل إلى نفسك طريقاً ، بل واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين فإن أمره حق ، وحكمه عدل ، ووعدته متحقق لا محالة . إلهنا ومولانا : إنك وعدت عبادك الذين يجاهدون في سبيلك بإخلاص ، والذين يصبرون ويستقيمون في سبيلك بالنصر .))^(٣) . فللصبر أهمية نفسية كبيرة ((فلولا الصبر لانهارت نفس الانسان من المحن والمصائب التي تحل به ولما أصبح قادر على السير في ركب الحياة ، ولأصبح كافراً بكل القيم الأخلاقية ويكون عنصر شر لا نفع به))^(٤) .

وأيضاً فإنَّ الصبر يعد من أعظم الأركان في الأخلاق حيث قال العلامة الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) : أن الله تعالى أمر نبيه (صل الله عليه وآله وسلم) بالصبر بعد أن أمره بالصلاة مثل ما جمع بينهما في قوله : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة ﴾^(٥) لأنَّ كلا منهما في بابه من أعظم الأركان أعني الصلاة في العبادات ، والصبر في الأخلاق وقد قال تعالى في الصلاة. و لاجتماعهما أهمية كبيرة فهما وسيلة يستعين بهما المسلم لمواجهة النوائب والمكاره و الامر بالصبر يبين أن المراد به الصبر العام لكل الأمور^(٦) وهذا ما يؤكد العلامة الشيرازي ((وبالرغم من أن بعض المفسرين حاول تحديد معنى الصبر في هذه الآية في الصلاة ، أو إيذاء الأعداء

(١) شبر : عبد الله، تفسير القرآن الكريم، ص ٢٣٨.

(٢) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٤/٧٧٦.

(٣) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٦/٤٥٢.

(٤) مجيد : مها مد الله، الصبر وجزاء الصابرين في القرآن الكريم ، ، ص ٤.

(٥) سورة البقرة، من الآية ٤٥.

(٦) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ١١/٥٨.

للنبي (صل الله عليه وآله وسلم) ، إلا أن من الواضح أن لا دليل على ذلك - بل أن الآية تحمل مفهوما واسعا كليا وجامعا ويشمل كل أنواع الصبر أمام المشاكل والمخالفات والأذى والطغيان والمصائب المختلفة ، فالصمود أمام جميع هذه الحوادث يندرج تحت مفهوم الصبر^(١)

فالصبر يمثل حلا لكل المشكلات التي يمكن تقع في الحياة ، حيث يقول الغزالي (ت: ٥٠٥ هـ) : ((عند التأمل في الصبر كصفحة اجتماعية نجده ملازما لمسيرة الإصلاح الاجتماعي ، وهذا النوع من العمل يحتاج إلى الصبر أكثر من غيره ، ولا يكون إلا بالصبر وطول النفس والمتابعة وعدم التأثر بالمؤثرات وعدم الشعور باليأس عند مواجهة الحياة ، ولولاها لحلت جميع المشاكل والصعوبات بين المصلحين وأداء مهامهم في الإصلاح))^(٢)

٤- قوله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾^(٣)

الاصطبار هو ((والاصطبار افتعال ويدلّ على اختيار الفعل ، فإنّ العمل بالطاعة من الأمور الحادثة والمستقبلية ، فيلزم التهيؤ والتصميم للصبر عليه ، وهذا هو معنى اختيار الصبر))^(٤) .

يقول الطبري (ت : ٣١٠ هـ) في تفسير معنى الاصطبار ((اصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه ، والعمل بطاعته ، تفز برضاه عنك ، فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله هل تعلم له سميا يقول : هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته ، والصبر على طاعته مثلا في كرمه وجوده))^(٥).

فهذه أيضا من الآيات التي تدل على أهمية الصبر من خلال الأمر الإلهي للنبي محمد (صل الله عليه و آله وسلم) بالصبر ، حيث يقول الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) : معنى الآية اصبر

^(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٩٣/٧.

^(٢) الغزالي : محمد ، البداية والنهاية، ص ١٠٦.

^(٣) سورة مريم ، الآية ٦٥.

^(٤) المصطفوي : حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ، ١٨٣/٦.

^(٥) الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٣٣/١٦.

مشقة عبادته^(١) وقال فتح الله الكاشاني (ت : ٩٨٨ هـ) مفسرا الآية ((أي : اصبر على تحمل مشقة عبادته ، يثبك كما أثناب غيرك من المتقين . وهذا خطاب للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مرتب على ما قبله ، أي : لما عرفت ربك بأنه لا ينبغي له أن ينسأك أو ينسى أعمال العمال ، فأقبل على عبادته ، واصطبر عليها ، ولا تتشوش بإبطاء الوحي وهزه الكفرة . وإنما عدّي باللام لتضمنه معنى الثبات للعبادة فيما يورد عليه من الشدائد والمشاق ، كقولك للمحارب : اصطبر لقرنك ، أي : أثبت للعبادة ، ولا تهن ، ولا يضق صدرك عن إلقاء عداتك))^(٢) فلو دقق الانسان في اعمال البر لوجد كثيرا منها من أقسام الصبر ، فالتعفف عن الزنا ، والريا ، وأكل مال الحرام ، وسائر الجنيات يحتاج إلى الصبر ، وإقامة الصلاة والإتيان بالواجبات والمندوبات يحتاج إلى الصبر والنعم والنفقة والوفاء والحياء ، وما إلى ذلك يحتاج الى الصبر ، والمشى مع الناس حتى يصلحهم ويرشدهم يحتاج إلى الصبر ، وعدم الجزع في النوائب والمصائب والنوازل يحتاج إلى الصبر ، وهكذا^(٣)

فلا شك بأن مهمة النبي محمد (صل الله عليه وعلى آله وسلم) في التبليغ برسالته من أهم اوجه البر ((هذا أمر من الله تعالى لنبيه الكريم أن يمضي في مهمة التبليغ لأنها من أعظم العبادات والطاعات ، وأن يصبر على ما يلاقيه من الأذى في سبيل ذلك))^(٤) وبنفس المعنى يوضح العلامة الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) ، حيث يبين بأن الله أمر النبي محمد (صل الله عليه وعلى آله وسلم) بأن يصبر من أجل نشر تعاليم الله تعالى ومن أجل عبادته^(٥) وأيدهم على ذلك العلامة الشيرازي حيث قال : ((إن كل ذلك بأمر ربك رب السماوات والأرض وما بينهما فإذا كان الأمر كذلك ، وكل الخطوط تنتهي إليه فاعبده عبادة مقترنة بالتوحيد والإخلاص . ولما كان

(١) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٤٣٥/٦ .

(٢) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ١٩٦/٤ .

(٣) الشيرازي : محمد ، الفضيلة الاسلامية ، ، ص ٤٤٤ .

(٤) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ١٩١/٥ .

(٥) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٨٤/١٤ .

هذا الطريق - طريق العبودية والطاعة وعبادة الله الخالصة - ملئ بالمشاكل والمصاعب ، فقد أضافت واصطبر لعبادته ((^(١))

المطلب الثالث : جزاء الصابرين في سور الدعوة السرية

من مقتضيات العدالة الإلهية أنه يُجازي من امتثل لأوامره ، ويُعاقب من خالفها ، ومن الطبيعي أن يُجازي الله تعالى الصابرين بعدما أمرهم بالصبر .

وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب من حيث بيان جزاء الصابرين ، معتمدين فقط على آيات من سور الدعوة السرية .

١- قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ ^(٢)

يقول الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) ﴿الْغُرْفَةُ﴾ هي المنازل ذات الثواب العالي في الجنة ، يعطيها جزاء للذين صبروا من أجل الله تعالى ، وعلى أمور الدنيا ومشقاتها ، وعلى صعوبة التكليف ، ثم يلقون فيها تحية من الملائكة كبشارة لهم على عظيم الثواب الذي حصلوه عليه على ما صبروا في جنب الله ، وعلى مشاق الدنيا . وصعوبة التكليف ، وغير ذلك وأنهم " يلقون فيها تحية وسلاما " من الملائكة ، بشارة لهم بعظيم الثواب ^(٣).

فجاء الصبر بمثابة الرحمة للناس ، وبشارة لهم خاصة وأنهم في بداية إسلامهم ، ذلك بأن الله تعالى يكافئ الصابرين ، فهذه الآية تبين أن الله عز وجل يكافئ الصابرين بأن لهم مكانة عالية في الجنة ((يريد الغرفات ، وهي العاللي في الجنة ، فوحد اقتصارا على الواحد الدال على

^(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٨٤/٩ .

^(٢) سورة الفرقان ، الآية ٧٥.

^(٣) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥١٢/٧.

الجنس (بما صبروا) بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات ، وعلى مجاهدة الكفار ومقاساة الفقر ومشاق الدنيا ، لشياع اللفظ في كل مصبور عليه))^(١)

ويبين الفيض الكاشاني بأنّ الانسان في حياته يدخل معركة مع الشهوات والذنوب فإنّ صبر الانسان وترك الشهوات والذنوب فقد نصر حزب الله والتحق بالصابرين ، وأن تخاذل وضعف ولم يصبر فقد التحق بأتباع الشياطين^(٢) .

فبعد دخول الاسلام وإنهاء عصر الجاهلية ، أصبح لازما على المسلمين أن يبتعدوا على الشهوات وارتياب الذنوب ووجوب الالتزام بالعبادات الشاقة وغير الشاقة وكان الصبر على كل ذلك له اجر عند الله تعالى فمعنى يجزون الغرفة ((أعلى مواضع الجنة . وهي اسم جنس أريد به الجمع ، وقيل : هي من أسماء الجنة))^(٣) إما معنى الصبر هنا ((بصبرهم على المشاق من مضض الطاعات ، ورفض الشهوات ، وتحمل المجاهدات ، من أذى الكفار ، ومقاساة الفقر ، وسائر مشاق الدين . وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه))^(٤) فالصبر رحمة إلهية نزلت على المسلمين ، تخفف عنهم مصاعب الحياة حيث يقول البحراني مبينا معنى الصبر في هذه الآية ((اذى الدنيا من الفقر والمصائب))^(٥) ويُعد الصبر من علامات الإنسان المسلم ، وملازما للتقوى أيضا ، فالصبر من القيم العليا في الإسلام و التي يوجب الاسلام ابناءه على أن يتصفوا بها ؛ لأن الصبر يزين المسلم ، ويمثل علامة على إيمانه ؛ ولذا فالصبر والتقوى في الإسلام لا يفترقان ، أحدهما مرتبط بالآخر لا يتم كل واحد منهما إلا بالآخر ، فمن كانت التقوى مقامه كان الصبر حاله ، ومن هنا يكون الصبر أفضل الأحوال من حيث كانت التقوى أعلى المقامات^(٦)

^(١) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٦٦٤/٢ .

^(٢) ينظر ، الكاشاني : الفيض ، احوال السالكين ، ص ١٩ .

^(٣) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٥٩٤/٤ .

^(٤) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٥٩٥ .

^(٥) البحراني : هاشم (ت : ١١٠٧ هـ) ، البرهان في تفسير القرآن ، ١٥٦/٤ .

^(٦) ينظر ، فرحان : مكي ، الصبر-الايمان ، من مظاهر الشخصية المطمئنة نفسيا ، شخصية الإمام زين العبادين (عليه السلام) (مثلا ، وتمثلا) ، ص ٤٥٥ .

ولم يقصد الله تعالى في هذه الآية نوع محدد من أنواع الشقاق والصبر عليه ، بل أن الآية تشمل كل أنواع المتاعب ((أي الموصوفين بهذه الصفات يجزون الغرفة والغرفة في اللغة العلية وكلّ بناء عال فهو غرفة والمراد أنّ لهم الدرجات العالية في الجنّة بسبب صبرهم وذكر الصبر ولم يذكر المصبور عنه ليعمّ كلّ نوع من المشاقّ من ترك الشهوات ومن مشاقّ الطاعات وأذية الجهلة من الناس ومشاقّ الجهاد والفقر ورياضة النفس والمكاره في سبيل الله .))^(١) ففي الآية رسالة إلى الناس بكونهم في أوائل الاسلام وهي بأنهم سيتعرضون إلى شتى مشاق الحياة فيجب عليهم الصبر عليها ، وأن الله تعالى سوف يكافؤهم على ذلك الصبر ((بعد أن بيّن سبحانه أوصاف المتقين ذكر أن جزاءهم عنده الخلود في الهناء والنعيم ، والأمن والأمان مع التوقيير والاحترام . . وخص الصبر بالذكر للإشارة إلى أن كل محق لا بد أن يلاقي الأذى والعناء من المبطلين ، وأن ثواب الله لا يظفر به إلا من صمد وصبر واستمر على مبدئه وعقيدته مهما كان الثمن ويكون .))^(٢) .

فالمؤمن يحتاج إلى جهد ضخم في ضبط النفس ، وكبح جماحها ، وتوجيهها إلى الصراط المستقيم في رسالته التي كلف الله عز وجل بها في الدنيا وهذا هو الصبر ، الذي هو خير كله ، فمن نال هذا الخير نال تشريفا من المولى عز وجل وظفر بالفوز والنجاة في الدنيا والآخرة^(٣)

٢- قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^(٤)

((في الآية وعد جميل لهم على ما فعلوا ومدح لهم على حسن سلوكهم ومداراتهم مع جهلة المشركين ولذا كان الأقرب إلى الفهم أن يكون المراد بإيتائهم أجرهم مرتين إيتاؤهم أجر الايمان بكتابهم وأجر الايمان بالقرآن وصبرهم على الايمان بعد الايمان بما فيهما من كلفة مخالفة الهوى))^(٥) وهذه الآية تبين أن للمؤمنين الصابرين اجر عظيم حيث أن الله تعالى يعطيهم اجرين بدل

^(١)الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٣٥/٨ .

^(٢)مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٤٨٤/٥ .

^(٣) ينظر ، بنت ناصر : هيا ، الصبر جنة المؤمن ، ص ٤٤ .

^(٤)سورة القصص ، الآية ٥٤ .

^(٥)الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٥٤/١٦ .

الواحد ((وهؤلاء بذلوا جهدا وصبروا زمانا طويلا ليؤدوا ما عليهم من وظيفة ومسؤولية . . . ولم يرض بأعمالهم المنحرفون من اليهود ولا النصارى ، ولم يسمح لهم تقليد السابقين والجو الاجتماعي أن يتركوا دينهم ويسلموا ، إلا أنهم وقفوا وصبروا وتجاوزوا هوى النفس والمنافع الذاتية ، فنالوا ثواب الله وأجره مرتين . ثم يشير القرآن الكريم إلى بعض أعمالهم الصالحة من قبيل " دفع السيئة بالحسنة " و " الإنفاق مما رزقهم الله " و " المرور الكريم باللغو والجاهلين " وكذلك الصبر والاستقامة ، وهي خصال أربع ممتازة^(١))) فالصبر ضروري للإنسان المسلم لما له من قيمة خلقية ودينية ، فالإنسان يرتقي به ماديا ومعنويا ، ويجعل الفرد والمجتمع سعيداً ، فلا ينتصر دين إلا بالصبر ، فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينية ، فلا نجاح في الدنيا ولا فلاح في الآخرة إلا بالصبر^(٢)

٣- قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(٣) يقول الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠) : ((استثناء من جملة الناس المؤمنين المصدقين بتوحيد الله بإخلاص عبادته العاملين بالطاعات (وتواصوا بالحق) أي تواصي بعضهم بعضا باتباع الحق واجتناب الباطل (وتواصوا بالصبر) تواصي بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله . وقال الحسن وقتادة : الصبر على طاعة الله . والصبر حبس النفس عما تتأزع إليه من الامر حتى يكون الداعي إلى الفعل . وقد أمر الله تعالى بالصبر والتواضع))^(٤) وقال الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) معنى الصبر هنا حيث قال : ((أي وصى بعضهم بعضا بالصبر على تحمل المشاق في طاعة الله ، عن الحسن وقتادة . وبالصبر عن معاصي الله أي : فإن هؤلاء ليسوا في خسر ، بل هم في أعظم ربح وزيادة ، يربحون الثواب باكتساب الطاعات ، وإنفاق العمر فيها ، فكأن رأس مالهم باق ، كما أن التاجر إذا خرج رأس المال من يده ، وربح

^(١)الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٥٤/١٢.

^(٢) ينظر ، حمدان : إيراد فوزي، الصبر على الابتلاءات الخاصة والعامة ، ص ٤.

^(٣) سورة العصر ، الآية ٣.

^(٤)الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٤٠٥/١٠.

عليه ، لم يعد ذلك ذهاباً))^(١) ففائدة الصبر هنا كونه سبب لعدم الخسران ، حيث حكم الله تعالى بالخسران على بني الإنسان إلا من آمن وعمل صالحاً وكان من الصابرين^(٢)

فالصبر على الطاعة هو صبر شديد ويبين العلامة الفيض الكاشاني (ت: ١٠٩١ هـ) أن الصبر على الطاعة شديد حيث قال : ((والعبد يحتاج الى الصبر عليها ، فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر من العبودية وتشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين : ما من نفس إلا وهي مضمرة ما أظهره فرعون بقوله ﴿ انا ركم الاعلى ﴾ ولكن فرعون وجد له مجالاً وقبولاً فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه))^(٣)

فتبين هذه الآية الكريمة على أهمية الصبر بالنسبة إلى الانسان إذ أن الله تعالى اقسم بما اقسم على أن الانسان خسران في حياته إلا مجموعة من المؤمنين المتصفين بعدد من الصفات منها الصبر^(٤) فإن الله تعالى يكافئ الصابرين بأن فوزهم الأعظم على تحملهم المشاق في الدنيا هو الفوز في جنته تعالى والثبات فيها ((وتواصوا بالصبر ﴾ عن المعاصي وعلى الطاعات والمصائب ، فإنهم اشتروا الآخرة بالدنيا ، ففازوا بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية))^(٥) حيث يعد الصبر من أشد الأمور فلا للإنسان أن يصبر ويتقي ربه ، فلا تتحقق التقوى إلا مع الصبر حتى يفوز المسلم برضا الله تعالى^(٦) .

ويبين السيد هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ) أن معنى الصبر هنا قد يكون الصبر في العسرة ، أو هو الصبر على ولاية أهل البيت (عليهم السلام) أو أن المقصود به الأمر بالصبر^(٧) فالإنسان مخير أما أن يكون من المؤمنين فيصبر ويقول الحق ويربح آخرته الدائمة ، أو يكون من الكفار الذين خسروا الدنيا والآخرة ((وعلى أية حال فإن كل عمل فيه لله رضى وللناس

(١) الطبرسي : الفضل بن الحسن مجمع البيان ، ٤٣٥/١٠ .

(٢) ينظر ، صالح: محمد ، الصبر، ص ٢٠ .

(٣) الكاشاني : الفيض ، احوال السالكين، ص ٣١ .

(٤) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير، ٥٠٧/٧ - ٥٠٨ .

(٥) الكاشاني : الفيض، التفسير الأصفى ، (ت: ١٠٩١ هـ) ، ١٤٧٤/٢ .

(٦) محمد: نبيل، التقوى في القرآن الكريم، ص ٧٨ .

(٧) ينظر ، البحراني : هاشم، البرهان في تفسير القرآن ، ٧٥٣، ٧٥٢/٥ .

صلاح فهو حق وخير وعدل ، أما الصبر فالمراد به ان نثبت على الحق ، ونقول للمبطل : لا ، مهما كانت النتائج .

والخلاصة أن أعظم ما في الإنسان ، وأهم ما أنعم الله به على الإنسان هو أنه تعالى أعطاه القدرة الكافية الوافية على أن يكون ملاكا أو شيطانا ، رابحا أو خاسرا ، وأنه ، جلّت حكمته ، جعل الحرية له وحده في أن يختار لنفسه ما يشاء من الشقاء والخسران ، والريح والسعادة ، وأن الله يعامله بما يختاره لنفسه ربحا أو خسرانا بعد أن هداه النجدين . . وأي فضل أعظم من هذا الفضل ، وعدل أعظم من هذا العدل))^(١) وهو ما أكدّه السيد الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) حيث قال : ((وعلى الجملة ذكر توصيهم بالحق والصبر بعد ذكر تلبسهم بالإيمان والعمل الصالح للإشارة إلى حياة قلوبهم وانشراح صدورهم للإسلام لله فلم اهتمام خاص واعتناء تام بظهور سلطان الحق وانبساطه على الناس حتى يتبع ويدوم اتباعه))^(٢)

فإنّ الله تعالى يجازي الصابرين لأنّ الصبر من أهم أعمدة الأعمال الصالحة ((بأنّ يصبروا على مكاره الدنيا ، وذلك بالصبر على الطاعة ، والصبر على المعصية ، والصبر في الرزية . وخصص السياق هذين الأمرين ، بعد دخولهما في مطلق الأعمال الصالحة ، لشدة الاحتياج إليهما ، في تلازم العمل الصالح فإنهما عمادان له))^(٣).

٤- قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾^(٤)

يقول الشيخ الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((لما أخبر الله تعالى عن أحوال الخلق وأن أكثرهم إذا حل بهم نعمه تعالى بعد أن كانوا في مضرة شديدة وأنهم إذا يقولون ذهب السيئات عنهم وأن كثيرا منهم فرح فخور ، استثنى من جملتهم المؤمنين بتوحيد الله الصابرين على طاعاته والكف عن معاصيه وأضافوا إلى ذلك الاعمال الصالحات . والصبر حبس النفس عن المشتبه من المحارم . والصبر على مرارة الحق يؤدي إلى الفوز بالجنة في الآخرة مع ما فيه من الجمال في

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٦٠٧/٧ .

(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٥٧/٢٠ .

(٣) الشيرازي / محمد الحسيني (ت : ١٤٢٢ هـ) ، تقريب القرآن الى الأذهان ، ٧٣٠/٥ .

(٤) سورة هود ، الآية ١١ .

الدنيا .))^(١) فإن أكثر الأخلاق الفاضلة تتطوي تحت لواء الصبر . ومرتبة الصبر من المراتب الرفيعة ، وقد نسب الله تعالى أكثر الخيرات للصبر ، وخصّص أكثر درجات الجنة بالصابرين ^(٢) وهذا ما أكدّه الشيخ الطبرسي (ت : ٥٤٨ هـ) إذ قال بأنّ الله يكافئ المؤمنين الذين صبروا بأنّ يرزقهم الجنة خالدين فيها^(٣) ، فإنّ الله تعالى إنّما أراد أن يربي الإنسان على الفضائل الصالحة لتعيش معه في حياته الدنيا حتى تنفعه في الآخرة، فأراد الإسلام أن يوجه الإنسان إلى الغاية المهمة التي يجب أن يكرس حياته من أجلها ، فإذا ابتعد عنها وصفه القرآن بأقبح الأوصاف كالظالم والخاسر والكافر والجاهل ، وما إلى ذلك من الرذائل . الأوصاف ليست تحديدا لطبيعة الإنسان وأنّما هي تفسير لسلوكه في بعض مواقفه ، فلقد وصف الإنسان باليأس إذا نزلت به نازلة ، وبالفرح والبطر إذا استغنى ، وبالجزع والهلع إذا مسه الضر ، ونحو ذلك فظن البعض أن هذه الأوصاف تحديد لحقيقة الإنسان ولو كان ظنهم صحيحاً لما جاز أن يؤاخذ الله على الكفر والطغيان ، وكان قوله : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾^(٤) تكريماً للكفر والظلم تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً^(٥) حيث إنّ الله تعالى يميز الناس الصابرين عن غير الصابرين ((إنهم يمتازون عن سائر أفراد الإنسان بالاستقلال في شخصيتهم ، والإخلاص لدينهم ، والثبات على عقيدتهم في السراء والضراء والرضا والغضب ، والفرح والترح ، ويتحملون كل المشاق ، والنكبات في سبيل ما يدينون ، ويقابلونها بشجاعة من غير تظلم وتأفف .))^(٦) وبهذا الصدد يقول ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) بأنّ الله تعالى : ((أثنى على الصابرين أحسن الثناء . وضمن لهم أعظم الجزاء . وجعل أجر غيرهم محسوباً ، وأجرهم بغير حساب . وقرن الصبر بمقامات الإسلام ، والإيمان ، فجعله قرين اليقين ، والتوكل ، والإيمان ، والأعمال ، والتقوى))^(٧)

^(١) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤٥٥/٥ .

^(٢) القمي : عباس ، خمسون درساً في الأخلاق ، ، ص ١٠٧ .

^(٣) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع مجمع البيان ، ٢٤٨/٥ .

^(٤) سورة الأسراء ، من الآية ٧٠ .

^(٥) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٤ / ٢١٣ .

^(٦) مغنية : محمد جواد التفسير المبين ، ص ٢٨٥ .

^(٧) الجوزية : ابن القيم ، مدارج السالكين ، ، ١٦٣/٢ .

من جهة أخرى يبين العلامة الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) بأن الإنسان لديه طباع مذمومة فهو قليل البصر وقليل النظر ، فإن ذهبت من عنده النعمة ظن أنها لن تعود مرة أخرى فكأنها ليست من الله تعالى ، فلن يصبر على زوال النعمة ، وأن عادت إليه النعمة ظن أنه امتلكها ولن يشكر الله تعالى عليها ، وهذه الصفات المذمومة أنما تذهب بطريقة واحدة وهي التماشي مع الصابرين الذين يصبرون عند الضراء ، فلا يحملهم الجزع على اليأس والكفر ، وهؤلاء هم الناجون يغفر لهم الله ولهم اجر كبير ، وفي الآية دلالة على أن الصبر لا ينفك من الايمان ^(١) فإن الله تعالى يفضل الصابرين الذين يتحملون المشاق لوجه الله تعالى ((ثم يستثني الله سبحانه المؤمنين الذين يواجهون الشدائد والمصاعب بصبر ، ولا يتركون الأعمال الصالحة على كل حال ، فهؤلاء بعيدون عن الغرور والتكبر وضيق الأفق ، حيث يقول سبحانه : إلا الذين صبروا وعملوا الصالحات . هؤلاء لا يغترون عند وفور النعمة فينسبون الله ، ولا ييأسون عند الشدائد والمصائب فيكفرون بالله ، بل إن أرواحهم الكبيرة وأفكارهم السليمة جعلتهم يهضمون النعم والبلايا في أنفسهم دون الغفلة عن ذكر الله وأداء مسؤولياتهم ولذلك فإن لهؤلاء ثوابا ومغفرة من الله أولئك لهم مغفرة واجر كبير)) ^(٢) .

فيقول ابن القيم (ت: ٧٥١ هـ) ((فالصبر آخية* المؤمن التي يجول ثم يرجع اليها ، وساق إيمانه التي لا اعتماد إلا عليها ، فلا إيمان لمن لا صبر له ، وإن كان فإيمان قليل في غاية الضعف ... فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم ، وترقوا إلى أعلى المنازل بشكرهم ، فساروا بين جناحي الصبر والشكر إلى جنات النعيم ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم)) ^(٣)

فبينت الآيات قيمة الصبر وما يناله الصابرون من عظيم الجزاء يدل على حرص الرسالة المحمدية ترسيخ هذه القيمة لما لها دور اخلاقي في حياة المجتمع وثواب اخروي .

^(١) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٥٧/١٠ ، ١٥٨ .

^(٢) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٨٠/٦ .

* عود أو حبل يعرض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة تشد اله الدابة ، ينظر لسان العرب ، ابن منظور ، ٢٣/١٤ .

^(٣) الجوزية : ابن القيم ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ص ٨ .

المبحث الثالث

قيمة الحق في سر الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم الحق وأهميته وأنواعه

المطلب الثاني : قيمة حق الإنسان في العدالة

المطلب الثالث : قيمة حقوق الإنسان في سر الدعوة السرية

تُعد مسألة حقوق الإنسان من المسائل التي يهتم بها العالم و من أجل هذه الحقوق تأسست مؤسسات كثيرة وأقيمت مؤتمرات عديدة ، وأصبحوا يتفاخرون بتلك المؤسسات ، إلا أنها لم تكن إلا عبارة عن تسميات فقط وليس لها تطبيق عملي فعلي على أرض الواقع في العديد من دول العالم .

فالتطبيق العملي الفعلي لحفظ حقوق الإنسان بدأ منذ بداية الإسلام ، فتوالت الأوامر والنواهي الإلهية التي تحفظ حقوق الإنسان وتحميها وتصورها .

فما سنتناوله في هذا المبحث هو مفهوم الحق لغة واصطلاحاً ، ومن ثم أهمية الحق في الإسلام ، فضلاً عن حق الإنسان في العدالة ، وبعد ذلك سنتناول نماذج من الحقوق التي بينتها سور الدعوة السرية .

المطلب الأول: مفهوم الحق وأهميته وأنواعه

أولاً: مفهوم الحق لغة واصطلاحاً

١- لغة :

أ- عرفه الفراهيدي (ت: ١٧٠ هـ) قائلاً : ((حق : الحق نقيض الباطل . حق الشيء يحق حقا أي وجب وجوبا))^(١)

ب- وعرفه ابن فارس (ت: ٣٩٥ هـ) : ((الحاء والقاف أصل واحد وهو يدل على إحكام الشيء وصحته . فالحق نقيض الباطل ثم يرجع كل فرع إليه بجودة الاستخراج وحسن التلقيق ويقال حق الشيء وجب))^(٢)

ونلاحظ هنا الفراهيدي وابن فارس يتوافقان في مفهوم الحق معجماً مع اختلاف في بعض العبارات

ت- وبين ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) أنه بمعنى الثبات : ((وَحَقَّ الْأَمْرُ يَحِقُّ وَيَحَقُّ حَقًّا وَحُقُوقًا : صار حَقًّا وَثَبَّتْ))^(٣)

وملخص التعريف اللغوي أنَّ معانيه تتردد في المعاني الآتية : أنه بمعنى أحكام الشيء وصحته والوجوب والثبات . وسوف نرى أنها معانٍ اقتبسها المفسرون عند تفسيرهم لآيات الحق مع اضافات أخرى .

٢- الحق اصطلاحاً :

اختلف المعروفون للحق بحسب اتجاهاتهم لكن ما يهمننا هو تعريف الحق بشكل عام فعرفه بعضهم على أنه ((الحق مصلحة ذات قيمة مالية يحميها القانون))^(٤) ويشكل على هذا البحث

^(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ٦/٣ ، (باب الحاء والقاف وما قبلهما مهمل ح ق ، ق ح مستعملان).

^(٢) ابن زكريا : أحمد بن فارس، مقاييس اللغة ، ١٥/٢ ، (باب حق).

^(٣) ابن منظور : لسان العرب ، ، ٤٩/١٠ ، (فصل الحاء).

^(٤) السنهوري : عبد الرزاق، مصادر الحق في الفقه الإسلامي : دراسة مقارنة بالفقه الغربي ، ١-٥/٣.

بأنه يختص بالماديات فقط ، فالإنسان له حقوق أخرى غير مادية مثل حق حفظ النفس . ومنهم من عرفه على أنه ((مصلحة لا يمنعها الشرع))^(١) .

أما التعريف - الذي هو مجال بحثنا - حقوق الإنسان : ((وهي الحقوق الأساسية للإنسان التي يحفظها الحكام للمواطنين ؛ فإنَّ الإنسان كيان اجتماعي بطبيعته ، بحيث لا يمكن مواصلة الحياة على وجه الأرض ، إلا بمساعدة من الآخرين . ومن هنا كان على الإنسان مراعاة المسئوليات و الواجبات تجاه الإنسانية ، وهي التي تطلق عليها كلمة " حقوق الإنسان "))^(٢) ومنهم من قال ((حقوق مقررة للإنسان بصفته إنساناً وهي لازمة لوجوده للحفاظ على كيانه وحماية شخصه والقيم للصيقة به ، فحقوق الإنسان هي لازمة له ، ولا يكون إنساناً إلا إذا تمتع بهذه الحقوق ، فهي موازية لحياته ، وتمتعه بحقوقه دليلاً على حياته))^(٣) ومنهم من عرفه ((إختصاص يقرر به الشرع سلطة أو تكليف))^(٤)

٣- معاني الحق في القرآن :

للحق معاني كثيرة في القرآن الكريم فهناك من ذكر اثنتي عشر معنى لها ((الله - القرآن - الإسلام - العدل - التوحيد - الصدق - وجب الحق بعينه - المال - أولى - الحظ - الحاجة))^(٥) ، كما جاء بما يدل على معاني أخرى مثل " ضد الباطل ، والأمر المقضي ، والملك ، والموجود الثابت ، والموت ، والحزم ، ووحد الحقوق " ^(٦)

فالمعنى العام للفظ الحق في القرآن هو مطابقة الواقع ، حيث يبين الطباطبائي (١٤٠٢ هـ) ((الثابت الواقع في الخارج من حيث أنه كالأرض والإنسان وكل أمر ثابت في حد نفسه ومنه الحق المالي وسائر الحقوق الاجتماعية حيث إنها ثابتة بنظر الاجتماع))^(٧) و يبين جواد الآملي بأنَّ

(١) القطب محمد، محاضرات في الإسلام والحقوق ، ص ٨٦.

(٢) محمد : ابو القاسم، حقوق الإنسان وموقف النبي (صل الله عليه واله وسلم) ، ص ١٦.

(٣) علي : حكمت، حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية في ضوء مصدريها القرآن والسنة، ١/ ٤٧٩.

(٤) أحمد : مصطفى، المدخل الى نظرية الالتزام العامة ، ٤ / ٥٩.

(٥) الدامغاني : عبد الله (ت: ٤٧٨ هـ) ، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، ص ١٨٨.

(٦) ينظر، محمد : يحيى، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص ٣٠.

(٧) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ١/ ٢٢٣.

معنى الحق في القرآن الكريم هو ما كان مطابقاً للواقع وعكسه الباطل الذي لا يطابق الواقع ولا يكون موجوداً^(١) ، وبهذا قال الشيرازي ((ومن اسمائه الروح قوله تعالى ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾^(٢) ومنها الحق لأنه ثابت لا يتغير ابداً من حق الأمر إذا ثبت ولأنه صادق مطابق للواقع لا يعترضه شك ولا ريب))^(٣)

فهو على رأي كمال الحيدري المفهوم الذي له مصداق حقيقي مطابق في الخارج^(٤)

ومنهم من عرفها على أنه الموجود المتحقق ولا ريب في وجوده ، فالسحر حق ، والعين حق أي أثره موجود^(٥)

ثانيا : أهمية الحق

يتفاخر البعض بأنهم عملوا على ضمان حقوق الناس قبل فترة وجيزة حيث يقول أحدهم ((بعد فترة طويلة من الأهمال النسبي ، حدثت تطورات هامة في ميدان الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في السنوات الاخيرة . وإن اعلان برنامج فيينا ، الذي اعتمدته المؤتمر العالمي لحقوق الإنسان في عام ١٩٩٣ ، قد شكل تطوراً هاماً في هذه العملية ، حيث حث على أنه يجب بذل جهود متضافرة لكفالة الاعتراف بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المستوى الوطني والإقليمي الدولي))^(٦) .

أما القرآن الكريم فقد ضمن وحافظ على حقوق الناس منذ (١٤٤٢ هـ)، حيث أن استقراء المقاصد للشريعة الإسلامية يبين أن الشريعة جاءت من أجل حماية حقوق الفرد والمجتمع ، من حيث تحريره من الظلم الواقع عليه ، وفرض الأوامر والنواهي التي تضمن حقوقه ، وإباحة الرخص ، حيث ((سبق الإسلام الموائيق والشرائع الوضعية في إرساء مبادئ حقوق الإنسان

(١) ينظر ، الأملي : جواد ، نظرية المعرفة في القرآن الكريم، ص ٧٣.

(٢) سورة غافر ، من الآية ١٥.

(٣) الشيرازي : صدر الدين (ت: ١٠٥٠ هـ) ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، ٥٢/٣.

(٤) ينظر ، الحيدري : كمال ، المنهاج الجديد في الفلسفة ، ٣٦/١.

(٥) ينظر ، ناصر : ساجد ، حقوق الإنسان السياسية في الإسلام والنظم العالمية ، ص ٥٨.

(٦) سلسلة التدريب المهني ، الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ،

واحترام الشخصية الإنسانية بكفالاته لحرية الفكر وحرية الدين ، والحرية السياسية وارسائه لمبادئ الشورى والحق والعدل والمساواة بين البشر))^(١)

فنتطبيق حقوق الإنسان بدأ من عهد الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم) ، لهذا فهو يعد أول من قرر المبادئ الخاصة بتلك الحقوق على أكمل صورة ^(٢) إذ ((إِنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ أَصَلَ قَضِيَّةَ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ تَأْصِيلًا شَرْعِيًّا مُتَكَامِلًا ، فقد كرم الله الإنسان وميزه ، ومنحه من الحقوق المفروض له شرعاً ، مما لم يوجد في منهج أو قانون غير منهج القرآن))^(٣)

ثالثاً : أنواع الحق في القرآن

ورد الحق في القرآن الكريم على أنواع كثيرة وبمعان عديدة - من غير الاعتماد على سور الدعوة فقط- ، وهي كما يأتي:-

١- ما يخالف الباطل : حيث وردت العديد من الآيات القرآنية التي تضع الحق في مقابل

الباطل وهي

- أ- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾^(٤)
- ب- قوله تعالى : ﴿ فَوْقَ الْحَقِّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٥)
- ت- قوله تعالى : ﴿ لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾^(٦)
- ث- قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴾^(٧)
- ج- قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾^(٨)
- ح- قوله تعالى : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾^(٩)

(١) علي : حكمت، حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية في ضوء مصدريها القرآن والسنة ، ، ص ٤٧١ .

(٢) ينظر ، عبد الواحد : علي، حقوق الإنسان في الإسلام ، ص ٣ .

(٣) محمد : يحيى، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم ، ، ص ٣ .

(٤) سورة البقرة ، من الآية ٤٢ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ١١٨ .

(٦) سورة الأنفال ، الآية ٨ .

(٧) سورة الرعد ، من الآية ١٧ .

(٨) سورة الأسراء ، الآية ٨١ .

(٩) سورة الأنبياء ، من الآية ٨١ .

خ- قوله تعالى : ﴿ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾^(١)

٢- ورد الحق بمعنى الإيفاء بالوعد :

أ- قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾^(٢) فالحق هنا جاء بمعنى صدق وعد الرسل ، حيث يقول الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) : ((إقرار من أهل الجنة واعتراف بأن ما جاءت به الرسل إليهم من جهة الله أنه حق لا شبهة فيه ، ولا مرية في صحته .))^(٣) فالذين آمنوا بصدق وعد الرسل إليهم يقول ذلك على الوجه السرور والبهجة لأنهم علموا أن وعد الرسل إليهم كان صادقاً وأنه سوف يتحقق فيما بعد^(٤)

ب- قال تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۖ فَادْنُ مَوْدَّنَ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾^(٥)

أن أصحاب الجنة على علم اليقين بأن أصحاب النار قد وجدوا صدق الوعيد والتهديد ، ولكنهم وجهوا إليهم هذا السؤال شكراً لله على ما أنعم عليهم ، وتقريعاً لأهل النار على كفرهم وعنادهم ، وتذكيراً لهم بما كانوا يقولونه من الهزؤ والاستخفاف بدين الحق وأهله .^(٦)

وتتبين أهمية الحق من هذه الآية بوجوب الوفاء بالعهد ((إن الوفاء بالوعد واجب دون الوفاء بالوعد على ما ذكره المتكلمون فما معنى أخذ الاعتراف بحقية ما ذكره الله من عقاب الكفار والمجرمين وأنذرهم به في الدنيا ، وليس تحققه بلزوم . وذلك أن الملاك فيما ذكروه من الفرق أن الثواب حق العامل على ولي الثواب الذي بيده الامر ، والعقاب حق الولي المنيب على العامل ، ومن الجائز أن يصرف الشخص نظره عن أعمال حق نفسه لكن لا يجوز إبطال حق الغير فإنجاز الوعد واجب دون إنجاز الوعيد))^(٧)

(١) سورة الكهف ، من الآية ٥٦ .

(٢) سورة الأعراف ، من الآية ٤٣ .

(٣) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤/٤٠٤ .

(٤) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٢/٥٢٢ .

(٥) سورة الأعراف ، الآية ٤٤ .

(٦) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٣/٣٣٠ .

(٧) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٨/١١٩ .

٣- توحيد الله ودينه :

أ- قوله تعالى : ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١)

ب- قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٢)

حيث قال الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((وهذا هو الحق هو دعاؤهم الناس إلى توحيد الله وإلى دينه وتبئهم إياهم على ذلك))^(٣) فإن تلك الأمة يدعون الناس إلى الحق والذي هو دين الله تعالى وتوحيده^(٤)

٤- بمعنى الحكمة البالغة :

أ- قوله تعالى : ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾^(٥)

فيبين الطبرسي أن المقصود من الحق هنا هو الحكمة البالغة لله تعالى^(٦) وأيده فتح الله الكاشاني (ت : ٩٨٨ هـ) : ((الذي هو الحكمة البالغة ، ولم يخلقه عبثا))^(٧)

٥- معنى حفظ حقوق الآخرين :

أ- قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٨)

بين المشهدي (ت: ١١٢٥ هـ) بأن معنى الحق هنا هو حفظ حقوق الآخرين حيث قال مبينا معنى الحق : ((مبطلين فيه . وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفرة وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم ، فإنها إفساد بحق))^(٩) وهذا المعنى يؤكد الطباطبائي (ت : ١٤٠٢ هـ) حيث

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٠٩ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية ١٨١ .

(٣) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤٠/٥ .

(٤) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٤٠٠/٤ .

(٥) سورة يونس ، من الآية ٥ .

(٦) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ١١٢/٢ .

(٧) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ١٩٠/٣ .

(٨) سورة يونس ، الآية ٢٣ .

(٩) المشهدي : محمد بن محمد رضا القمي ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ٤٣/٦ .

يقول : ((أصل البغى هو الطلب ويكثر استعماله في مورد الظلم لكونه طلبا لحق الغير بالتعدي عليه ويقيد حينئذ بغير الحق ، ولو كان بمعنى الظلم محضا لكان القيد زائدا .))^(١)

٦ - بمعنى أحقية الله تعالى في التصرف :

أ- قوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴾^(٢)

وبين هذا المعنى الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) حيث قال : ((وتوصيفه تعالى بأنه مولاهم الحق للدلالة على علة جميع ما تقدم من تصرفاته تعالى بالإقامة والايقاظ والتدبير والإماتة والبعث ، وفيه تحليل لمعنى المولى ثم إثبات حق المولوية له تعالى ، فالمولى هو الذي يملك الرقبة فيكون من حقه جواز التصرف فيها كيفما شاء ، وإذ كان له تعالى حقيقة الملك ، وكان هو المتصرف بالإيجاد والتدبير والارجاع فهو المولى الحق الذي يثبت له معنى المولوية ثبوتا لا زوال له بوجه البتة))^(٣) فالله تعالى هو من له الولاية العامة على جميع الناس من حيث الخلق والتدبير وله الولاية الخاصة من ناحية العناية على المؤمنين فقط^(٤)

ب- قوله تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رِبُّكُمْ الْحَقُّ ۖ فَمَآذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۚ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾^(٥)

فيثبت ذلك المعنى الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) بقوله : ((ذلك " إشارة إلى اسم الله الذي ذكره في الآية الأولى ، ووصفه بأنه الذي يخرج الحي من الميت من الحي ويرزق الخلق من السماء والأرض . و (الكاف والميم) للمخاطبين ، وإنما جمع لأنه أراد جميع الخلق ، فأخبر الله تعالى أن الذي وصفه في الآية الأولى هو " الله ربكم " الذي خلقكم ويملك تصرفكم . وإنما وصفه بأنه " الحق " لأنه له معنى الإلهية دون غيره من الأوثان والأصنام ، وهو الرب تعالى وحده))^(٦).

^(١) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٠ / ٣٦ .

^(٢) سورة يونس ، الآية ٣٠ .

^(٣) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٧ / ١٣٢ .

^(٤) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٦ / ٣٤٨ .

^(٥) سورة يونس ، الآية ٣٢ .

^(٦) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥ / ٣٦٢ .

ت- قوله تعالى : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ۚ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ۚ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (١)

فالآية تعظيم لله تعالى ، لما يملكه من حق الأوامر والنواهي والوعد والوعيد (٢)

٧- الحق بمعنى العدل :

أ- قوله تعالى : ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣)

فبين الله تعالى أن الناس لا يُظلمون في يوم القيامة فكل شخص يُجازى بما قدمه من أعمال ، فمن عمل صالحاً يلقي خيراً ، ومن عمل باطلاً لقي سيئاً (٤)

ب- قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ (٥)

فمعنى قوله تعالى ﴿ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ فاقض بيننا بالعدل ولا تشطط (٦)

المطلب الثاني : قيمة حق الإنسان في العدالة

من حق الإنسان أن يُعامل بعدالة في جميع شؤونه الحياتية ، فبدون هذا الحق تتحل جميع المجتمعات ويسود قانون الغابة فيها ، لهذا جاء الإسلام مراعيًا لهذا الحق ، فقضى أن يحكم بين الناس بالعدل وهذا نلمسه من خلال الآيات القرآنية الخاصة في سور الدعوة السرية الدالة على ذلك .

١- قوله تعالى : ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ۚ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)

(١) سورة طه ، الآية ١١٤ .

(٢) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٢ / ٥٠٣ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٨ .

(٤) ينظر ، القمي : علي بن إبراهيم (ت: ٣٢٩ هـ) ، تفسير ، ١ / ٢٢٤ .

(٥) سورة ص ، الآية ٢٢ .

(٦) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٣ / ١٦٩ .

((أي : والوزن الحق يوم يسأل الله الأمم ورسلمهم الوزن الحق أي : العدل))^(٢) فالآية توضح قيمة العدل ، حيث إنَّ الله تعالى يبين أنَّ الحكم بالعدل هو أساس الحكم يوم القيامة ، ولا شك في أن حق العدل في الحكم ، فمعنى الآية هو أنَّ الله تعالى يحكم ويقضي بين الناس بالعدل^(٣) فيجب تطبيق هذه القاعدة على الناس في حياتهم ، فمن الحق الناس أنَّ يصيبهم العدل في كل أمور الدنيا ، وهذا حق ثابت لهم بمقتضى معنى الآية ((ان لكل شيء في هذه الحياة أصولا ، وضوابط علما كان أو أدبا أو فنا أو غير ذلك ، وبها يتميز الشيء عن غيره ، بل ويعرف جيده من رديئة ، وتسمى تلك الأصول والضوابط ميزانا ومقياسا ومنهاجا وحكما ، وكذلك الحساب في الآخرة له أصول وضوابط ، أو أطلق القرآن عليها كلمة الميزان ، وكلمة الصراط ، وهذه الأصول والضوابط ، أو الميزان لأعمال الناس وأهدافهم هو أمر الله ونهيه ، فشأنهما في محاكمة الإنسان غدا ك شأن الفقه والقانون في محاكمة المدعى عليه في هذه الحياة))^(٤) فيكون معنى الآية أن يكون جمع موزون وهو العمل وإن أمكن أن يجعل جمع ميزان ويوجه تعدد الموازين بتعدد الأعمال الموزونة بها . لكن يبقى الكلام على قول المفسرين أن الوزن الحق هو العدل في تصوير معنى ثقل الموازين بالحسنات وخفتها بالسيئات فإن يوزن به الأعمال حسناتها وسيئاتها خفاء ، والقسط وهو العدل صفة للتوزين وهو نعت لله سبحانه))^(٥)

٢- قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾^(٦)

فمعنى الآية هو اقض بيننا بالعدل في نزول العذاب ، وانت خير القاضين^(٧)

معنى قوله تعالى : ﴿ افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ﴾ ((احكم بيننا وبينهم بحكمك الحق الذي لا جور فيه ولا حيف ولا ظلم ، ولكنه عدل وحق))^(٨) ، حيث يقول محمد جواد مغنية (ت :

(١) سورة الأعراف ، الآية ٨.

(٢) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٦٤٢/١.

(٣) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٤٩٥/٢.

(٤) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٣٠٣/٣.

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٢/٨.

(٦) سورة الأعراف ، من الآية ٨٩.

(٧) ينظر ، ابن سليمان ، مقاتل (ت : ١٥٠ هـ) ، تفسير مقاتل ابن سليمان ، ٤٠٣/١.

(٨) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٤/٩.

١٤٠٠ هـ) في تفسير الآية : ((بعد أن يؤس شعيب منهم وتؤكد من إصرارهم على الكفر التجأ إلى الله ، وتضرع إليه أن يحكم ويفصل بينه وبين من كفر من قومه ، لأنه تعالى هو مصدر القوة والعدل .))^(١) فَإِنَّ دَعَاءَ شُعَيْبٍ (عليه السلام) لربه بأن يحكم بينه وبين الكافرين لا عجب أنه يقصد أن يحكم بينهما بالعدل ، لأنَّ الله تعالى لا يحكم بين الناس إلا بالعدل ، فهذا من حق الناس اجمع ولو كانوا كافرون ، فما يبين قيمة حق الإنسان في العدل هو أنَّ شعيب (عليه السلام) على الرغم من عناد الكافرين معه طلب من الله تعالى أن يحكم بينهم ، لأنه كان يعلم أنَّ الله سينصره لأنه على حق والله يحكم به ، فهو تأدب من شعيب (عليه السلام) بإرجاع الحكم إلى الله تعالى^(٢)

٣- قوله تعالى : ﴿ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾^(٣)

معنى قوله تعالى ﴿ حَصْحَصَ الْحَقُّ ﴾ ((يعني ظهر الحق ووضح ويقال أستبان))^(٤) وتعني بالآن حصص الحق : ذهب الباطل والكذب وانقطع وتبين الحق فظهر وبهر^(٥) فيروى بأن زليخة قد خافت من شهادة النسوة عليها ، ففكرت بأن تظهر العدل بنفسها وتقول الحقيقة^(٦) وفي معناه أيضاً ((واشتقاقه من الحصّة أي بانته حصّة الحق من حصّة الباطل أي وضح الحق))^(٧) فالآية تبين أن زليخة قد اعترفت بنفسها بظهور الحكم العادل ، وإن يوسف (عليه السلام) كان صادقاً فيما قاله ، وأن العدل سيظهر ولو طال الزمن على ظهوره^(٨)

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٣/٣٦٢.

(٢) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٨/١٩٢.

(٣) يوسف ، من الآية ٥١.

(٤) السمرقندي : أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، ٢/١٩٧.

(٥) الثعلبي: احمد بن محمد (ت: ٤٢٧ هـ) ، تفسير الثعلبي ، ٥/٢٢٩.

(٦) ينظر ، السمعاني: منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ٣/٣٨.

(٧) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٦/٣٩.

(٨) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٤/٣٢٥.

٤- قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُوا وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾^(١)

فمعنى قوله تعالى ﴿ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ هو الحكم بالعدل دون الميل لطرف دون الآخر ، وعدم الإسراف بالحكم^(٢) وهذا ما أكدته الطبرسي حيث قال : (ت : ٥٤٨هـ) : ((أي : ولا تجر علينا في حكمك ، ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه .))^(٣) فالآية تبين قيمة حق العدل للناس في الحكم بين الناس والدليل أنه عبر عن العدل بالحق ، وهذا ما نراه من ترابط الآيات حيث معنى قوله ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ هو أي دلنا إلى وسط الطريق الذي هو طريق الحق^(٤) ، ثم عُبر عن هذا الحق بالعدل ((ودلنا على الوسط العدل من الطريق))^(٥) .

فتبين قيمة هذا النوع من الحقوق من خلال هذه الآية التي تبين طلب الحكم بالعدل^(٦) وفي الأخير نقول أن الحق العدل هو من الحقوق التي يجب تطبيقها على الناس ، وهذه الآية التي نزلت في فترة بداية الإسلام كانت موجهة للناس للتعامل على أساس هذا الحق ، وللتعامل على أساس هذا الحق يجب الرجوع إلى الاحكام الإلهية لإستلها المبادئ الصحيحة لتطبيق هذا الحق ((الحكومة الوحيدة التي تستطيع تطبيق الحق والعدالة ، هي الحكومة التي تستلهم أفكارها ومعتقداتها من المبادئ الإلهية ، والتي تقول إن الباري عز وجل لم يخلق العالم عبثا وإنما خلقه لأهداف وأغراض معينة ، كي تسير الحكومات وفق تلك الأهداف ، وإذا كان العالم الإلحادي قد وصل اليوم إلى طريق مسدود في شؤون الحكم والحرب والسلام وفي الاقتصاد والثقافة ، فالسبب الرئيسي يكمن في ابتعادهم عن هذا الأمر ، ولهذا فإن أسس حكوماتهم تقوم على الظلم والتسلط ، فكم تكون الدنيا موحشة ورهيبة إذا أصبحت تدار وفق هذا النوع من التفكير العشوائي))^(٧)

(١) سورة ص ، الآية ٢٢ .

(٢) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥٥٢/٨ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان، ٣٥٢/٨ .

(٤) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ١٦١/٩ .

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٢/١٧ .

(٦) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٣٧٣/٦ .

(٧) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٩٧/١٤ .

٥- قوله تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَظْلُمُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١)

فمعنى قوله تعالى : ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ هو أنَّ الله تعالى أراد أن يهذب نبيه داود (عليه السلام) ويؤدبه بوجوب الحكم بالعدل^(٢) ، فيقول الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) : ((ومعناه افصل بين المختلفين من الناس والمتنازعين " بالحق " بوضع الأشياء مواضعها على ما أمرك الله " ولا تتبع الهوى " أي ما يميل طبعك إليه ويدعوك هواك إليه إذا كان مخالفا للحق ، فلا تمل إليه " فيضلك عن سبيل الله " ومعناه إنك متى اتبعت الهوى في ذلك عدل بك الهوى عن سبيل الله الذي هو سبيل الحق))^(٣) فالآية تدل على أن الحاكم يحكم بعلمه في جميع الأحكام سواء كان من حقوق الله أو حقوق الخلق لأن من حكم بعلمه فقد حكم بالعدل والحق وحكمه بشهادة الشاهدين بغلبة ظنه وحكمه بعلمه باليقين واليقين أولى من غلبة الظن .^(٤) وبين السيوري أن الآية تدل على حلية القضاء والحكم العادل حيث بين : -

الخليفة يراد بها عرفا لمعنيين إما كونه خلقا لمن كان قبله من الرسل أو كونه مدبرا للأمور من قبل غيره وقد دلت الآية على أمور :

١ - مشروعية القضاء والحكم.

٢ - وجوب الحكم بالحق أي بما هو مطابق لما في نفس الأمر بحسب ما يقود إليه الدليل أو الأمانة .

(١) سورة ص ، الآية ٢٦ .

(٢) ينظر ، الشيخ المفيد : محمد بن محمد ، تفسير القرآن المجيد ، ص ٤٣٨ .

(٣) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥٥٦/٨ .

(٤) ابن شهر آشوب (ت : ٥٨٨ هـ) ، متشابه القرآن ومختلفه ، ٢٢٥/٢ .

٣ - أنه لا ينبغي اتباع الهوى أي الميل بمجرد الحظّ النفساني ، ويدخل في ذلك وجوب الانصاف والإنصاف والتسوية بين الخصوم في السلام والكلام وأنواع الإكرام أمّا الميل القلبي إلى أحدهما مع الحكم بالحقّ فذاك مكروه^(١)

فالآية توجب عدم اتباع هوى النفس في اصدار الأحكام ، لأنّ في ذلك تضييع لحقوق الناس ، فلذا فإنّ الآية تضمن حق الناس في الحكم العادل ((فالحاكم الذي يتبع هوى النفس ، إنما يفرط بمصالح وحقوق الناس لأجل مطامعه ، ولهذا السبب فإن حكومته تكون مضطربة ومصيرها الانهيار والزوال . ومن الممكن أن يكون ل(هوى النفس) معاني واسعة ، تضم في نفس الوقت هوى نفس الإنسان ، وهوى النفس عند كل الناس ، وهكذا فإن القرآن يحكم ببطلان المناهج الوضعية التي تستند على أفكار عامة الناس في الحكم ، لأن نتيجة الاثنتين هو الضلال والانحراف عن سبيل الله وصراط الحق))^(٢) .

٦- قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٣)

والتحريم هو المنع من الفعل بإقامة الدليل على وجوب تجنبه ، وضده التحليل ، وهو الاطلاق في الفعل بالبيان عن جواز تناوله . وأصل التحريم المنع مثل : حرم فلان الرزق ، فهو محروم حرمانا ، وحرم الرجل إذا لج في الشيء بالامتناع منه ، وأحرم بالحج إحراما وتحرم بطعامه تحرما^(٤) ومعنى قوله هو : ((فكأنه قال : حرم ربي الفواحش التي منها الإثم ، ومنها البغي ، ومنها الإشراك بالله . وقيل : إن الفواحش هي الزنا ، وهو الذي بطن منها ، والتعري في الطواف ، وهو الذي ظهر منها ، عن مجاهد . وقيل : هي الطواف فما ظهر منها : طواف الرجال بالنهار ، وما بطن : طواف النساء بالليل . والإثم : قيل هو الذنوب والمعاصي ، عن الجبائي

(١) السيوري : المقداد (ت : ٨٢٦ هـ) ، كنز العرفان في فقه القرآن ، ٣٧٦/٢ .

(٢) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٩٥/١٤ .

(٣) سورة الأعراف ، الآية ٣٣ .

(٤) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣٨٩/٤ .

* ، هو محمد بن عبد الوهّاب بن سلام الجبائي، المعروف بأبي علي الجبائي. شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، مؤسس فرقة الجبائية. ولد سنة ٢٣٥ هـ ٨٤٩م في مدينة جبّى في محافظة خوزستان، وتوفي في البصرة سنة ٣٠٣ هـ ٩١٦م.

*. وقيل : الإثم ما دون الحد^(١) أما معنى البغي فهو الظلم والتكبر على الآخرين ومعنى بغير حق ، هو منع الظلم والتكبر ، أي أنه ليس هناك حق لأحد بأن يظلم الناس بل العكس هو الصحيح^(٢) ويؤكد هذا المعنى الاسترابادي (ت: ١٠٢٨ هـ) : ((« وَالْبَغْيُ » الظلم والكبر أفردته للمبالغة : « بَغْيَرِ الْحَقِّ » متعلّق بالبغي مؤكّد له معنى .))^(٣)

المطلب الثالث : قيمة حقوق الإنسان في سور الدعوة السرية

لا شك في أن الإنسان خُلق وله الكثير من الحقوق التي يتمتع بها وهذه الحقوق ، ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم وألزمها على المسلمين خاصة وأن أغلبها كانت مفقودة في عصر الجاهلية.

فبعد أن بينا قيمة حق العدل في المطلب السابق لأهميته وكثرة ذكره في آيات الدعوة السرية ، سوف نتطرق الآن إلى مجموعة أخرى من حقوق الإنسان التي ذُكرت في سور الدعوة السرية :-

أولاً : الحق في حفظ النفس

١- قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ۗ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۗ ﴾^(٤)

ويبين علي ابن ابراهيم القمي (ت: ٣٢٩ هـ) تفسير الآية أي سلطانا على القاتل فينصر ولد المقتول على القاتل^(٥) فالآية تبين أن الله تعالى حفظ حق الإنسان فيقول الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) : ((فالنفس المحرم قتلها هي نفس المسلم والمعاهد دون الكافر الحربي ، والحق الذي يستباح به قتل النفس المحرمة ثلاثة أشياء : قود بالنفس الحرام ، والزنا بعد احصان ، والكفر بعد

^(١)الطبرسي : الفضل بن الحسن مجمع البيان ، ٢٤٧/٤.

^(٢) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير ، ٥١٦/٢.

^(٣)الاستراباداي : محمد ابراهيم، آيات الأحكام ، ، ص ١٦٨.

^(٤) سورة الأسراء ، الآية ٣٣.

^(٥) ينظر ، القمي : علي ابن ابراهيم ، تفسير القمي ، ، ١٩/٣.

الايمان .))^(١) وما يدل على حفظ النفس في هذه الآية هو أن الله تعالى جعل لولي المقتول الحق في الإقتصاص من القاتل أو أخذ الدية فقوله تعالى ﴿ فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ ((أي : قد أثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل ، أو الدية ، أو العفو))^(٢) ومما يثبت قيمة الحق في حفظ النفس هو أن الله تعالى منع قتل غير القاتل ، فيُحرم الإقتصاص من أهله ، وهذا يدل عليه قوله تعالى ﴿ فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ ﴾ فالآية تبين تحريم الإقتصاص من غير القاتل ، أو قتله وقتل وغيره^(٣) حيث ((لو قتل الواحد جماعة ليس لأوليائهم إلا قتله ، وكذا لو قتل العبد حرًا ليس لوليّه إلا قتل العبد ولا سبيل له على مولاه وقرأ ابن عامر وحمزة « فلا تسرف » بالتاء جريا على أنه خطاب إمّا للقاتل أو للولي ، وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله وفيه ضعف .))^(٤)

والجزء الأخير من الآية يثبت أيضاً الحق في حفظ النفس حيث قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ حيث إنَّ الله تعالى نصر المقتول بثبات حق القتل على القاتل ، وأيضاً له الثواب في الآخرة ، ولولي المقتول بأن له الحق بأن يقتص من القاتل^(٥)

٢- قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾^(٦)

وتبين الآية قيمة حفظ النفس من جهة أخرى حيث يبين الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) بأن الآية تثبت أن أعظم الذنوب بعد الشرك بالله هو القتل والزنا^(٧) ومن جهة أخرى تبين الآية أن تلك الصفات خارجة عن المؤمنين ((نفى هذه المقبّحات العظام - التي هي أمّ المعاصي - عن الموصوفين بأصول الطاعات ، التي هي خلال العظيمة في الدين ، إظهارا لكمال إيمانهم ، وإشعارا بأن الأجر المذكور موعود للجامع بين ذلك ، وتكريضا للكفرة بأضداده . ولذلك عقّبه

(١) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣١٦/٤ .

(٢) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ، ٢٤٨/٦ .

(٣) الراوندي : قطب الدين (ت: ٥٧٣ هـ) ، فقه القرآن ، ٤٠٢/٢ .

(٤) السيوري : المقداد ، كنز العرفان ، ، ٣٥٦/٢ .

(٥) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٤١/٤ .

(٦) سورة الفرقان ، الآية ٦٨ .

(٧) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٣١٢/٧ .

بالوعيد تهديدا لهم))^(١) والمقصود بقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ حسب رأي بعض المفسرين هو واد في جنهم يدعى أثاماً^(٢) ، فحتى يحمي الله تعالى نفس الإنسان أنزل هذه الآية ليبين الحق لأهل المقتول بقتل القاتل ((والنفس التي تقتل بالحق والعدل هي التي قتلت نفسا بغير الحق ، أو زنت عن إحسان ، أو ارتدت عن دين الحق ، أو سعت في الأرض فسادا))^(٣).

فالآية تحفظ النفس الإنسانية من القتل ، وأن من يفعل ذلك يلقي عذابا كبيرا^(٤) فكما بينا سابقا فإن الآية تتحدث من جهة عن صفات المؤمنين الذين يحفظون النفس الإنسانية ، ومن جهة أخرى عن حفظ النفس ((الصفة السابعة طهارتهم من التلوث بدم الأبرياء ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ويستفاد جيدا من الآية أعلاه أن جميع الأنفس الإنسانية محترمة في الأصل ، ومحرم إراقة دماءها إلا إذا تحققت أسباب ترفع هذا الاحترام الذاتي فتبيح إراقة الدم))^(٥)

ثانياً: حفظ حقوق الناس من الفساد

١ - قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَنْعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ۚ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦١﴾

ومعنى البغي في الآية هو ((يفسدون فيها ويعيثون ممعنين في ذلك))^(٧) أي أن هؤلاء المقصودين في الآية الكريمة ينشرون الفساد والظلم في الأرض ، فيقصدون إيقاع الظلم على الانبياء والمؤمنين^(٨) فمن أجل أن يحفظ الله تعالى حق الناس من انتشار الفساد

(١) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٥٩٠/٤ .

(٢) ينظر ، الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٣١/٨ .

(٣) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٣٨٤/٥ .

(٤) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٤١/١٥ .

(٥) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣١٣/١١ .

(٦) سورة يونس ، الآية ٢٣ .

(٧) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ١٢١/٢ .

(٨) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٧٤/٥ .

والظلم قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغَيْكُمُ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ﴾ فمعنى قوله تعالى ((فإن وبالهم عليكم ، وإنما بغيكم على أمثالكم وأبناء جنسكم))^(١).

وبين بعضهم أن ثلاثة أمور ترجع على صاحبها البغي و المكر والنكث^(٢) ويقول الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((بل هي بغي منكم على أنفسكم فإنها تبعكم منا وتكتب آثامها في صحائف أعمالكم فبغيتكم على أنفسكم وهو متاع الحياة الدنيا تتمتعون به اياما قلائل ثم إلينا مرجعكم فنخبركم ونوضح لكم هناك حقائق أعمالكم .))^(٣) وأما قوله تعالى ﴿ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ فهو بمعنى ((أي أن بغيكم إنما هو ما يتمتع به في الحياة الدنيا ، وذلك منقطع لا يبقى ، فإن الإنسان إنما يبغى لأمر دنيوية ، ولا فائدة فيما لا بقاء له ولا دوام))^(٤) فإن الله حذر الذين ينشرون الفساد والظلم في الدنيا على الناس وذلك بأنهم ميتون بلا شك وسيرجعون بين يدي ويحاسبهم على ما فعلوه^(٥).

ثالثاً : حق الحياة

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾^(٦)

ومعنى سؤالها تبكيت قاتلها في القيامة ، لأن جوابها : قتلت بغير ذنب . ومثل هذا التبكيت وقيل سئلت طلبت كما تقول سألته حقي وإنما طلبت لتبكيت قاتلي^(٧) يعني إن قاتلها هو مسؤول عن قتله لها فيسأل بأي ذنب قتلها ؟^(٨) حيث إن العرب كانت تقتل البنات من خلال دفنهن وهن على قيد الحياة ، وكانوا يقولون أن الملائكة هن بنات الله فلحق البنات بهن^(٩) .

(١) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٢٠١/٣ .

(٢) ينظر ، الكاشاني : الفيض ، التفسير الأصفى ، ، ٥٠٨/١ .

(٣) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٧/١٠ .

(٤) الشيرازي : محمد (ت: ١٤٢٢ هـ) تقريب القرآن إلى الأذهان ، ٥٠٩/٢ .

(٥) الشيرازي : ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٣٣٣/٦ .

(٦) سورة التكويد ، الآيات ٨-٩ .

(٧) ابن الجوزي : عبد الرحمن (ت: ٥٩٧ هـ) ، زاد المسير في علم التفسير ، ١٩٠/٨ ، ١ .

(٨) ينظر ، ابن شهر آشوب ، متشابه القرآن ومختلفه ، ، ١٠٥/٢ .

(٩) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٣٤٦/٧ .

ويقول مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) : ((وهي البنت الصغيرة تدفن حية ، فإنها تبعث وتسأل على مسمع من وائدها : لما ذا وأدك الوائدون ؟ ليكون أشد وقعا على الوائد))^(١) فقد حفظ القرآن الكريم حق المرأة في العيش بسلام ، فنبت لها من الحقوق ما توازي به حقوق الرجل ((واما وزنها الاجتماعي : فإن الاسلام ساوى بينها وبين الرجل من حيث تدبير شؤون الحياة بالإرادة والعمل فإنهما متساويان من حيث تعلق الإرادة بما تحتاج إليه البنية الانسانية في الأكل والشرب وغيرهما من لوازم البقاء ، وقد قال تعالى ﴿ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ ﴾^(٢)، فلها أن تستقل بالإرادة ولها أن تستقل بالعمل وتمتلك نتاجهما كما للرجل ذلك من غير فرق فهما سواء فيما يراه الاسلام ويحقه القرآن والله يحق الحق بكلماته غير أنه قرر فيها خصلتين ميزها بهما الصنع الإلهي : أحديهما : أنها بمنزلة الحرث في تكون النوع ونمائه فعليها يعتمد النوع في بقائه فتختص من الاحكام بمثل ما يختص به الحرث ، وتمتاز بذلك من الرجل . والثانية أن وجودها مبني على لطافة البنية ورقة الشعور ، ولذلك أيضا تأثير في أحوالها والوظائف الاجتماعية المحولة إليها .))^(٣).

فالآية تثبت الحق للنساء على عكس ما كان موجود في عصر الجاهلية ((وجود الفقر الشديد في تلك الحقبة الزمنية ، والمرأة كانت مستهلكة غير منتجة ، إضافة لعدم اشتراكها في الغارات التي تقوم بها القبيلة لتوفير لقمة العيش . الخوف من وقع النساء أسرى في شباك الأعداء ، نتيجة للمعارك التي كانت دائرة على الدوام بين القبائل ، لأن في هكذا أسر جرح للشرف وإذلال شديد . وتجمعت هذه الأسباب (بالإضافة لأسباب أخرى) فأدت إلى ظهور عادة (الواد) الوحشية بين أفراد القبائل في ذلك العصر القابع تحت ظلام الجهل المقيت .))^(٤) .

وهكذا ، فإنَّ المسلمين الجدد لم يكملوا السنة الأولى من البعثة النبوية إلا وكانوا قد تعرفوا على أهم حق للإنسان وهو حق التمتع بالحياة والعيش الكريم ، ولزوم احترام هذا الحق الذي يبلغ

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٥٢٤/٧ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٩٥ .

(٣) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٢٧١/٢ .

(٤) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٥١/١٩ .

درجة عالية من السعة والشمول بحيث لا يجوز لأي أحد أو جماعة مهما كان يملك من امتيازات ومناصب وعلاقات متميزة بالإنسان أن يسلبه هذا الحق^(١)

رابعاً: الحق في الإيفاء بالوعد

١ - قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾^(٢)

أي أنّ الوعد الذي وعده الله تعالى من أعطاه الثواب وانزال العقاب هو متحقق ويوفي به ، فلا يغر الناس بالله تعالى^(٣) فيقول الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) : ((بالبعث والجزاء ، والثواب والعقاب (حق) لا خلف فيه))^(٤) فالوعد الذي وعده به الله تعالى متحقق لا محالة^(٥) فإن الله تعالى راعى حق الناس في الإيفاء بالوعد ((ووعده حق لا يتخلف))^(٦) .

والإيفاء بالوعد هو صفة من صفات الله تعالى ، والتي لا يمكن أن يتخلى عنها ((ومن هنا يظهر أن هذه الكلمات التي أنبأ سبحانه عن كونها لا تقبل التبديل أمور خارجة عن لوح المحو والاثبات ، فكلمة الله وقوله وكذا وعده في عرف القرآن هو القضاء الحتم الذي لا مطمع في تغييره وتبديله))^(٧) فتكررت كلمة الوعد في القرآن الكريم وكلها متحققة وتدل على نصرته المؤمنين^(٨) .

فيجب على الناس أن يثقوا بوعد الله تعالى ، وأنّه لن يخلف وعده فيبتعدوا على وسوسة الشيطان ((أجل ، إن عوامل الإثارة ، وزخارف الدنيا وزبارجها ، إنما تريد أن تملأ قلوبكم ، وتلهيكم عن تلك الوعود الإلهية العظيمة ، وكذلك فإن شياطين الجن والإنس دائمة السعي بوساوسها وإغرائها

(١) باغستاني : محمد، صور من حقوق الإنسان في القرآن الكريم ، ص ١٧ .

(٢) سورة فاطر ، الآية ٥ .

(٣) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٢٨٩/٨ .

(٤) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٩٥/٨ .

(٥) ينظر ، المصدر نفسه ، ٤٥٨/٨ .

(٦) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٢٥٢/٨ .

(٧) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٦٣/٧ .

(٨) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٥٧٨/١٢ .

وبمختلف وسائل الخداع والاحتتيال ، وهي أيضا تريد إلفات اهتمامكم إليها ، وإلهائكم عن التفكير في ذلك اليوم الموعود ، فإن تمكنت أضاليلهم وخدعهم منكم ، فقد ضاعت عليكم حياتكم بأكملها ، وكانت سعادتكم وآمالكم نقشا على الماء ، فالحذر الحذر ((^(١)

حيث يعالج القرآن الكريم جانبا آخر من العلاقات الإجتماعية السليمة ، وهو احترام العهود والمواثيق والاتفاقيات ، سواء الكتابية منها أو الشفوية . فمن حق الناس في المجتمع الإسلامي الجديد أن يتمتعوا بالأمن في العهود ، الأمر الذي يعزز الأمن في المجالات الأخرى من العلاقات الاجتماعية .^(٢)

(١) المصدر نفسه ، ٢٢/١٤ .

(٢) أباغستاني : محمد، صور من حقوق الإنسان في القرآن الكريم، ص ١٨

الفصل الثالث

القيم الانسانية الاجتماعية في سور الدعوة

السرية

المبحث الأول :

القيم الانسانية المتعلقة بالتكافل الاجتماعي في سور الدعوة السرية

المبحث الثاني :

قيمة الأخوة في سور الدعوة السرية

المبحث الثالث :

قيم العدل والمساواة في سور الدعوة السرية

توطئة :

اهتم الإسلام كثيراً بترسيخ القيم الإجتماعية في نفوس الناس وخاصة في المرحلة الاولى من عصره لما كان في الناس من طبائع الجاهلية والتي كانت قليلة جدا ، بل أكثرها كانت غير موجودة في سلوك المجتمع ، فجاءت الآيات التي تدعو الناس إلى الإلتزام بتلك القيم من أجل مجتمع صحي ويحافظ على استقرار الناس .

وفي هذا الفصل سوف نتناول ثلاث قيم إجتماعية وهي التكافل الإجتماعي والأخوة والعدل والمساواة ، من حيث بيان معاني هذه القيم وأهميتها ومن ثم بيان دلالات سور الدعوة السرية عليها .

المبحث الأول

القيم الانسانية المتعلقة بالتكافل الاجتماعي في سورة الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم التكافل الاجتماعي والتأسيس الإسلامي له .

المطلب الثاني : أنواع التكافل الاجتماعي

المطلب الثالث : التكافل الاجتماعي في سورة الدعوة السرية

تعددت الأمثلة في كيفية اهتمام الإسلام بالمجتمعات وتماسكها ، ومن أهم الأمثلة هو اهتمام الإسلام بالقضاء على آفة الطبقة التي من شأنها أن تدمر مجتمعات كاملة ، فأهتم الإسلام بهذه المسألة إهتماماً كبيراً ، فأنزل الله تعالى العديد من الآيات إلى تدعو إلى التكافل بين أفراد المجتمع الواحد مادياً ومعنوياً إضافة إلى كثرة الأحاديث التي تدعو إلى تلك المسألة أيضاً ، ومن ثم أوضح الإسلام السبل التي يمكن استخدامها من أجل الوصول إلى تكافل اجتماعي مضمون يحقق المساواة المادية والمعنوية بين جميع أفراد المجتمع الواحد ،

ففي هذا المبحث سنقوم بتناول قيمة مهمة إلا وهي قيمة التكافل الاجتماعي ، إذ سنقوم ببيان مفهومه والتأسيس الإسلامي له ، وبيان أنواعه ، وأهميته في سور الدعوة السرية الذي هو اختصاص البحث .

المطلب الأول : مفهوم التكافل الإجتماعي والتأسيس الإسلامي له .

بما أن للتكافل الاجتماعي أثر مهم وكبير جدا في استقرار المجتمعات ، فإنَّ الله تعالى قد أمر به في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهذا ما سندرسه في هذا المطلب إضافة إلى بيان معنى مفهوم التكافل الإجتماعي .

أولاً : مفهوم التكافل الإجتماعي

عُرف: ((أن يكون آحاد الشعب في كفالة جماعتهم وأن يكون كل قادر أو ذي سلطان كفيلاً في مجتمعه يمدّه بالخير ، وأن تكون القوى الإنسانية في المجتمع متلاقية في المحافظة على مصالح الآحاد ، ودفع الأضرار عن البناء الإجتماعي وإقامته على أسس سليمة))^(١)

وهناك من عرف التكافل على أنّه ((قيام مجموعة بالاشتراك في نظام يتيح لهم التعاون في تحمل الضرر الواقع على أحدهم بدفع تعويض مناسب للمتضرر من خلال ما يتبرعون به من أقساط .))^(٢)

فالتكافل الاجتماعي هو حق يضمن للإنسان حياة كريمة أمر به الله تعالى على عباده وهو من الأسس الثابتة في المنهج الإسلامي^(٣) ومنهم من عرفه على أنّه ((أصل من الأصول التي تنظم العلاقات في المجتمع في مواجهة الظروف الاستثنائية العامة أو الخاصة وتعبير عملي عن الأخوة الإيمانية وثمره لتأزر العلاقات الروحية والاقتصادية والثقافية التي تربط أفراد المجتمع ببعضهم))^(٤) فهو تضامن ابناء المجتمع الواحد على واجبات إنسانية مثل رعاية الإيتام ، وبنشأ هذا التضامن من شعور وجداني أصله العقيدة الإسلامية ، حتى يعيش الفرد في كفالة الجماعة ، حيث يتعاون جميع ابناء المجتمع ويتضامنون من أجل الوصول الى مجتمع أفضل يحمي افراده من الضرر^(٥)

(١) أبو زهرة : محمد (ت: ١٣٩٤ هـ) ، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، ص ٧ .

(٢) أبو غدة : عبد الستار ، نظام التأمين التكافلي من خلال الوقف ، ص ٢ .

(٣) ينظر ، محمد : جمال الدين ، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة ، ص ٣٥٥ .

(٤) محمد سلوى ، دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي ، ص ٣٠٣ .

(٥) ينظر ، ناصح : عبد الله ، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، ص ٩ .

ثانياً : التأسيس الإسلامي لمبدأ التكافل الاجتماعي

وردت الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي أسست أصول التكافل الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية وكالاتي :

١- القرآن الكريم

أ- قوله تعالى ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١﴾

فمعنى قوله تعالى ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ هو التمسك بالدين الإسلامي الذي جمعهم على الحب والألفة ، فيقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((وتعلقوا بأسباب الله جميعا . يريد بذلك تعالى ذكره : وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به ، وعهده الذي عهده إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله وأما الحبل ، فإنه السبب الذي يوصل به إلى البغية والحاجة ، ولذلك سمي الأمان حبلا ، لأنه سبب يوصل به إلى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر))^(١)، ثم نهى الله تعالى عن الاختلاف بين المسلمين كما اختلف اليهود والنصارى ، فقال الله تعالى ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٢)

فالآية تبين بكل اجزاءها على وجوب التعاون والتكافل بين المسلمين ، حيث يقول الله تعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ فإن الله تعالى قد ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم كتلة واحدة بعد ما كانوا يخضون حروباً بين الاوس والخزرج استمرت مائة

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .

(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٤/٤٢٠ .

(٣) ينظر ، السمرقندي : أبو الليث تفسير السمرقندي ، ١/٢٥٩ .

وعشرين سنة ، فأزال الله تعالى تلك الأحقاد التي كانت بينهم^(١) ثم تبين الآية الكريمة أن الله تعالى جعلهم متآخين متحابين فيما بينهم ((متحابين مجتمعين على الأخوة في الله))^(٢)

ولا يتصور البعض أنَّ الآية قد تكون مختصة بالمجتمع الإسلامي فقط بل أن الله تعالى دعا إلى التكافل بين جميع الناس وهذا يؤيده مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) حيث يقول : ((على العكس بالنسبة إلى الإسلام ، حيث يدعو إلى التعاطف والتآلف بين جميع أعضاء الأسرة الانسانية بصرف النظر عن أديانهم وأفكارهم وقومياتهم . . وعليه تكون الاخوة الاسلامية قوة ودعامة للأخوة الانسانية .))^(٣)

ب- قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(٤)

أمر الله تعالى المسلمين أن يتعاونوا على فعل الخير والطاعة له وترك المعاصي^(٥) فالآية تبين أهمية تعاون الناس فيما بينهم ووجوب العفو بينهم حيث يقول الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) في تفسير الآية : ((أي : على العفو والإغضاء))^(٦) فالآية تؤسس إلى مبدأ التكافل الإجتماعي خاصة وأنها تدعو بل تؤمر إلى وجوب أن يعين الناس بعضهم البعض على فعل الخير^(٧) وبهذا الصدد يقول الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((إلى غير ذلك من الآيات الأمرة ببناء المجتمع الاسلامي على الاتفاق والاتحاد في حيازة منافعها ومزاياها المعنوية والمادية والدفاع عنه))^(٨)

(١) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٣٥٧/٢ .

(٢) القمي : محمد رضا ، تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ١٨٩/٣ .

(٣) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ١٢٢/٢ .

(٤) سورة المائدة ، من الآية ٢ .

(٥) ينظر ، التستري : سهل عبد الله (ت: ٢٨٣ هـ) ، تفسير التستري ١ ، ص ٥٨ .

(٦) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٤٧١/١ .

(٧) ينظر ، الحلي ابن ادریس ، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ، ١٩٧/١ .

(٨) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٩٥/٤ .

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تدل على وجوب التعاون والتكافل والإجتماعي مثل قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١) وقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ ۚ وَانْقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢)

٢- السنة النبوية : وردت العديد من الأحاديث النبوية التي تؤكد وتبين أهمية ووجوب التكافل بين الناس وهي كالآتي :-

أ- ما رواه مسلم (ت: ٢٦١ هـ) : ((حدثنا يحيى بن يحيى التميمي وأبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن العلاء الهمداني (واللفظ ليحيى) قال يحيى أخبرنا وقال الآخران حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة))^(٣)

ب- ما رواه الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) عن أبي عبد الله (عليه السلام) : ((أن الله فرض للفقراء في مال الأغنياء ما يسعهم ، ولو علم الله أن ذلك لا يسعهم لزداهم ، أنهم لم يؤتوا من قبل فريضة الله ولكن أوتوا من منع من منعهم حقهم لا مما فرض الله لهم ولو أن الناس أدوا حقوقهم لكانوا عائشين بخير .))^(٤)

(١) سورة الأنعام ، الآية ١٥٣ .

(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

(٣) النيسابوري : مسلم ، صحيح مسلم ، ٧١/٨ ، (باب فضل الإجتماع على تلاوة القرآن) .

(٤) الطوسي : محمد بن الحسن ، الأحكام ، ط ٤ ، ٤٩/٤ ، (باب أصناف أهل الزكاة الحديث ٢) .

فيتضح من الآية الكريمة أن مبدأ التعاون والتكافل الإجتماعي هو مبدأ إسلامي عام يدخل فيه جميع المجالات الأخلاقية والإجتماعية والسياسية والحقوقية وغيرها ، فقد أوجبت هذه الآية المسلمين على التعاون فيما بينهم على عمل الخير ، وهذا المبدأ الإسلامي جاء على نقيض ما كان سائداً في الحياة الجاهلية من عدم التعاون وغزو قبيلة لقبيلة أخرى ، فكانت كالرحمة الإلهية للمسلمين^(١) .

فما ورد من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة يدل على أهمية التكافل ودوره في النهوض بالمجتمعات الإسلامية ، من خلال توفير الحياة الكريمة لأبناء المجتمع الواحد وتوزيع الثروات بداخله ، فلا شك في أن دور التكافل الاجتماعي الذي أقره الإسلام لا يقتصر على الأسرة الواحدة داخل المجتمع بل يتعدى إلى كافة أفراد المجتمع فهو مسؤولية الجميع^(٢) .

حيث عمل الإسلام على بناء وتدعيم علاقات طيبة بين الناس تقوم على أساس الأخوة والألفة ، وإذا كان علم الاجتماع معنياً أولاً وقبل كل شيء بالظواهر الاجتماعية ، فإن ظاهرة الأخوة التي أوجدها الإسلام بين أفرادها تستحق الدراسة والتأمل ، فقد كان العرب - في الجاهلية - على شفا حفرة من نار الخلاف والاختلاف والتقاتل ، ولكنهم بعد أن ارتضعوا من لبان ثقافة الإسلام أصبحوا أمة متحدة ، موهبة الجانب تمتلك أسباب التمدن والرفي^(٣)

فإن الله تعالى عندما أمر بالتكافل فذلك يعني تحقيق سنة من سنن الله تعالى الكونية إلا وهي حاجة المؤمن إلى أخيه المؤمن حيث إن الإنسان تتقلب به الأحوال في الدنيا فيكون محتاجاً إلى مساعدة الغير^(٤)

(١) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣/٥٨٥ .

(٢) ينظر ، سيف : حبيبة، التكافل بين النظرية والتطبيق، ص ٤ .

(٣) ذهبيات : عباس، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ص ٩ .

(٤) ينظر ، ع فضيلة : اقلي ، التكافل الاجتماعي في الإسلام وأبرز صورته، ص ٨ .

المطلب الثاني : أنواع التكافل الإجتماعي

حرص الإسلام على تقوية المجتمع الإسلامي من جوانب عديدة ، ومن تلك الجوانب هو تربية أبناءه على مساعدة غيرهم معنوياً ومادياً ، لأنّ تماسك المجتمع لا يتم إلا من خلال التعاون بين أفرادهم ومساعدة بعضهم البعض ، لهذا كثرت الآيات والأحاديث التي توجب على المسلمين التكافل فيما بينهم ، ففي هذا المطلب سوف ندرس أنواع التكافل الإجتماعي التي أمر بها الله تعالى .

أولاً التكافل المعنوي : عُرِفَ التكافل المعنوي على أنّه : ((كل تعاون للمشاركة والمؤازرة ذو مظهر معنوي تتحد فيه العواطف والمشاعر والأحاسيس))^(١)

حيث لا يقتصر مفهوم العبادة في الإسلام على أداء الصلوات والصوم والحج ... بل يتعدى الأمر إلى غير ذلك فتشمل العبادة كل الأعمال الصالحة التي يقوم بها الفرد من أجل الغير ابتغاءً لمرضات الله تعالى ^(٢) ومن تلك الأعمال الصالحة هو مساعدة الغير معنوياً حيث ((أن التكافل الإجتماعي في الإسلام في مفهومه العام لا يقتصر على سد حاجات الأفراد ، أو المجتمع المادية ، حيث الغذاء والكساء والسكن ، ومن كل ما هو ضروري لقيام الحياة في صورتها المادية ، بل يتناول حفظ مقومات الفرد الأساسية في الحياة ، من حفظ دينه ونفسه وماله ونسله وعقله))^(٣)

لهذا فإنّ التكافل الإجتماعي في نظر الإسلام لا يعتمد على التكافل في الأمور المادية فقط ، بل هو في نظر الإسلام نظام متكامل يربط بين الأمور المعنوية والرغبات النفسية وبين الحاجات والمتطلبات المادية ، لهذا فهو أساس رصين لبناء المجتمع لأنّه يقوم على تربية أرواح الأفراد والإهتمام بشخصيتهم وعلاقاتهم الإجتماعية ^(٤) لهذا قال بعضهم ((إنّ مفهوم التكافل في الإسلام ليس قاصراً على ضمان الأمور المادية والحيوية من صدقات للفقراء أو بر بالمعوزين و

^(١) وغلانت : فاطمة الزهراء البعد المقصدي لمبدأ التكافل في الإسلام، ص ٦٥.

^(٢) ينظر ، ناصح : عبد الله، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، ص ٢٨.

^(٣) إبراهيم : خالد، دور التكافل الاجتماعي في تفعيل القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وترسيخها ولا سيما قيم (التعاون والأخاء والكرم والمساواة والرحمة)، ص ٢٦٠.

^(٤) ينظر ، فضيلة : عاقل، التكافل الإجتماعي في الإسلام وأبرز صورته ، ص ٥.

العاجزين بل هو أشمل من ذلك . فهو يشمل تربية عقيدة الفرد وإحياء ضميره وتقويم سلوكه الاجتماعي وإصلاح شأنه في جميع نواحي الحياة))^(١)

وورد عدد من الآيات القرآنية التي تدل على ذلك التكافل منها قوله تعالى : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾^(٢) ومعنى قوله تعالى تواصي المؤمنين بعضهم البعض باتباع الحق واجتناب الباطل ، وتواصيهم على الصبر على مشقات عبادة الله تعالى ومشقات الدنيا^(٣) فمآزره المؤمنين بعضهم البعض يدل على ذلك التكافل المعنوي والنفسي ، والآيات على ذلك كثيرة مثل قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴾^(٤) وقوله تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾^(٥)

ثانياً التكافل المادي : ويقصد به ((كل تعاون ذو سمة أو صفة مادية ، ويدخل فيه كل موساة بالمال أو البدن والخدمة))^(٦)

ويبرز أهمية التكافل المادي من حيث القضاء على الطبقة الاجتماعية وأنهاء مسألة وجود فئة مظلومة وفئة ظالمة في نفس المجتمع بالتالي القضاء على الاستغلال المادي في نفس المجتمع ومن ثم إنهاء التباين المادي في نفس المجتمع^(٧) إذ يُعَدُّ ((المال من الحاجات الأساسية التي بدونها لا يستطيع الإنسان أن ينفق على ماله وعياله ، وعلى ذوي المكنة والغنى وظيفة اجتماعية تتمثل في مساعدة السائلين والمحرومين))^(٨) وردت عدد من الأحاديث التي تدعو إلى ذلك التكافل المادي منها ((عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاري قال : سمعت أبا جعفر (عليه السلام) ، يقول : إنّ رجلاً جاء إلى أبي علي بن الحسين (عليه السلام) فقال له : أخبرني عن

(١) عبد الله : شواطئ مؤسسات التكافل الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية " الزكاة نموذجاً ، ص ١٩ .

(٢) سورة العصر ، من الآية ٣ .

(٣) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤٠٥/١٠ .

(٤) سورة البلد ، الآية ١٧ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية ٢ .

(٦) وغلانت فاطمة الزهراء ، البعد المقصدي لمبدأ التكافل في الإسلام ، ، ص ٥٦ .

(٧) ينظر ، فضيلة : عاقل ، التكافل الاجتماعي في الإسلام وأبرز صوره ، ، ص ٣٠٢ .

(٨) ذهبيات : عباس ، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ص ٨١ .

قول الله عز وجل : ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾^(١) ما هذا الحق المعلوم ؟ فقال له علي بن الحسين (عليهما السلام) : الحق المعلوم الشيء يخرج به الرجل من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضتين ، قال : فإذا لم يكن من الزكاة ولا من الصدقة فما هو ؟ فقال : هو الشيء يخرج به الرجل من ماله إن شاء أكثر وإن شاء أقل على قدر ما يملك ، فقال له الرجل : فما يصنع به ؟ قال : يصل به رحماً ويقرى به ضيفاً ويحمل به كلاً أو يصل به أخاً له في الله أو لنائبة تتوبه ، فقال الرجل : الله يعلم حيث يجعل رسالاته .^(٢)

وقد أمر الإسلام بمجموعة من الأساليب التي تضمن ذلك التكافل المادي وأهمها

١. الزكاة : حيث وردت العديد من الآيات التي تدعو إلى الزكاة مثل قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾^(٣) وقوله تعالى ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾^(٥)

وقوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ

(١) سورة المعارج ، الآية ٢٤ .

(٢) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ٣/ ٥٠٠ ، فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق ، حديث

١١ .

(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٧٣ .

(٤) سورة البينة ، الآية ٥ .

(٥) سورة الحج ، الآية ٤١ .

(٦) سورة البقرة ، الآية ١١٠ .

يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١﴾

فالزكاة أثر مهم في تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي المادي لأنها تجعل المجتمع كأنه أسرة
متحدة واحدة ، القوي فيه يرحم الضعيف ، ويحسن الغني إلى المعسر فتكون الأمة
الإسلامية بمثابة عائلة واحدة^(٢) إذ ((كان للزكاة أثر فعال في التخفيف من مظاهر الفقر في
المجتمع الإسلامي عبر التاريخ ، وذلك في الفترات التي طبقت فيها الزكاة ، وفي الزمن
الذي كان فيه الأغنياء يؤدون الزكاة على اعتبارها ركن من أركان الإسلام))^(٣)

٢ - الصدقة : ويقصد بها في المقام ((الجانب التبرعي الذي يدفعه المسلم طوعاً
للفقراء والمحتاجين))^(٤)

تُعَدُّ الصدقة أحد الأساليب التي أمر بها الإسلام - على وجه الإستحباب- من أجل التكافل
المادي بين المسلمين
، وقد ورد في ذلك العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى ﴿ مِّنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا
حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٥) وقوله تعالى ﴿ مَثَلُ
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أُنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ
يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا
وَلَا أَذَى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾^(٦) وقوله تعالى ﴿ إِنْ تُبْدُوا
الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ مِّنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا

(١) سورة النساء ، الآية ١٦٢ .

(٢) ينظر ، بن علي: سعيد، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٣٢ .

(٣) صالح : محمد راشد، الزكاة : آلية الإقتصاد الإسلامي لمعالجة الفقر ، ص ٣٣٨ .

(٤) ذهبيات : عباس، التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ، ص ٩٥ .

(٥) سورة البقرة ، الآية ٢٤٥ .

(٦) سورة البقرة ، الآيات ٢٦١-٢٦٢ .

تَعْمَلُونَ خَيْرٌ لِّنَفْسِكُمْ هَٰذَا مِمَّا لَدَيْكُم مِّنَ خَيْرٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ وَتَعْلَمُوا أَنَّكُمْ كَائِدُونَ ﴿١﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿٢﴾ وَمَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٣﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى ﴿٤﴾ وَالْمُصَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفَ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٥﴾

إضافة إلى عدد من الأحاديث منها ((عن عبد الله بن عمر قال : إنَّ رسول الله (عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام) قال وهو على المنبر ، وهو يذكر الصدقة والتعفف عن المسألة : اليد العليا خير من اليد السفلى ، واليد العليا المنفقة والسفلى السائلة))^(١) وقد جاء في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنَّ رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) قال له: ((أما علمت أنَّ صدقة المؤمن لا تخرج من يده حتى تفك بها عن لحيي سبعين شيطانا، وما تقع في يد السائل حتى تقع في يد الرب (تبارك وتعالى)))^(٥)

حيث إنَّ الصدقة عامل مهم حب الناس لبعضهم البعض ((الصدقة سبب في إستمالة قلوب الناس ، ومحبتهم ، واحترامهم ، فإنَّ النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها ، وهذه من أعظم نعم الله تعالى))^(٦)

٣- الوقف : ويُقصد بالوقف هنا ((حبس العين عن أن تمتلك لأحد العباد . والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء . أو انتهاء فقط))^(٧)

حيث تبرز أهمية الوقف كوسيلة كمهمة للتكافل المادي من حيث كونه أداة مهمة للرعاية الاجتماعية وذلك من خلال صلة الرحم من خلال الإنفاق على الأقرباء من الأبناء من خلال

^(١)سورة البقرة ، الآيات ٢٧١-٢٧٢.

^(٢) سورة الحديد ، الآية ١١.

^(٣) سورة الحديد ، الآية ١٨.

^(٤)النيسابوري : مسلم ، صحيح مسلم ، ، ٣/٣٠٩ ، (باب النهي عن المسألة).

^(٥)، العياشي (ت: ٣٢٠ هـ) : تفسير العياشي ، ٢/ ١٠٧.

^(٦)عبد العزيز : عبد الرحمن، تحفة المورّد بفضل الصدقة والجود ، ١ ، ص ٦١.

^(٧)عبد الرحمن : عبد الجليل، كتاب الوقف ، ، دار الآفاق ، ص ٩.

الوقف الذري أو الأهلي ، وأيضاً رعاية أبناء السبيل والأيتام وذوي العاهات من خلال الأوقاف الخيرية ^(١) فالوقف ((هو نمط آخر من أنماط التكافل الإجتماعي يكتسي صفة المنفعة المستمرة ليعدم الأجيال المتعاقبة ويعبر حقاً عن معنى الإيثار والتعاون بين المسلمين ، إذ يحمل الأثرىء على أن يفيدوا المعسرین مما لديهم من بحبوة المال الذي رزقهم الله به على الأرض)) ^(٢)

ووردت عدد من الآيات التي استفاد منها العلماء في تأصيل الوقف منها قوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ^(٣) وقوله تعالى ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَآظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٤)

المطلب الثالث : التكافل الإجتماعي في سور الدعوة السرية

عاش الناس في عصر الجاهلية على أساس أحكام ذلك العصر الذي كان يأكل فيه القوي الضعيف ، ولم تكن المبادئ والقيم الإنسانية سائدة ، ومن تلك القيم التي كانت ضائعة وغير موجودة هي قيمة التكافل الإجتماعي ، فنزلت سور الدعوة السرية توجب على الناس القيام بدورهم التكافلي مع الآخرين ، ففي هذا المطلب سوف ندرس التأسيس الذي جاءت به آيات الدعوة السرية فيما يخص التكافل الإجتماعي .

١- قوله تعالى : ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ

الْمُسْكِينِ﴾ ^(٥)

^(١) ينظر ، فداد: العياشي الصادق ، مسائل في فقه الوقف، ص ٩ .

^(٢) فضيلة : عاقل ، التكافل الإجتماعي في الإسلام وأبرز صوره ، ، ص ١٣ .

^(٣) سورة آل عمران ، الآية ٩٢ .

^(٤) سورة آل عمران ، الآية ١٣٤ .

^(٥) سورة الماعون ، الآيات ١-٣ .

تبين الآية الكريمة مجموعة من الأوصاف التي يتصف بها الكافر ، فمعنى قوله تعالى ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ﴾ هو المشرك الذي لا يعترف بيوم القيامة ، اي لا يعترف بالحساب ^(١) فيقول الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((قوله) أَرَأَيْتَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله على وجه التعجيب له من الكافر (الذي يكذب بالدين) وذهابه عن الإيمان به مع وضوح الامر فيه وقيام الدلالة على صحته والمراد بالدين الجزاء من الثواب والعقاب ، فالتكذيب بالجزاء من أضر شيء على صاحبه ، لأنه يعدم به أكثر الدواعي إلى الخير ، والصوارف عن الشر ، فهو يتهالك في الاسراع إلى الشر الذي يدعوه إليه طبعه لا يخاف عاقبة الضرر فيه .)) ^(٢) ، ثم يبين الله تعالى بعضاً من أوصاف ذلك الكفار فيقول عز وجل ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ ومعنى يدع هنا هو : ((أي يدفعه ، ويجفو عليه . اللغة : الدع : الدفع بشدة ، ومنه الدعدة : تحريك المكيال ليستوعب الشيء ، كأنك تدفعه . والدعدة أيضاً : زجر المعز . والحض والحث والتحريض بمعنى واحد)) ^(٣) وقيل أنها نزلت في ابي سفيان أو الوليد بن المغيرة أو ابي جهل ^(٤) .

ومعنى اليتيم هنا هو ((والمراد باليتيم كل ضعيف لا يستطيع الذب عن نفسه ، صغيراً كان أم كبيراً . وخص سبحانه اليتيم بالذكر لأنه أضعف من كل ضعيف ، والمعنى كل ظالم هو كافر مكذب بدين الله ، وإن صلى وصام لأن دين الله لا تغني فيه المظاهر والشعائر إلا مع التقوى والكف عن المحارم . . أجل ، من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله يعامل في الدنيا معاملة المسلم ، ولكن حكمه في الآخرة حكم الكافر)) ^(٥) . فالآية تبين صفة من صفات الذي يكذب بيوم الدين إلا وهو الذي يطرد ويزجر اليتيم والضعيف ولا يخاف من عاقبة سوء عمله ^(٦) فالآية تبين من جهة أخرى وجوب التكافل الاجتماعي ومساعدة .

(١) ينظر ، ابن أبي زمينين : محمد عبد الله ، تفسير ابن زمينين ، ١٦٦/٥ .

(٢) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤١٥/١٠ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٤٥٥/١٠ .

(٤) ينظر ، شبر : عبد الله ، تفسير شبر ، ص ٥٦٧ .

(٥) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٦١٤/٧ .

(٦) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٦٨/٢٠ .

ثم تبين الآية صفة أخرى من صفات الكافرين إلا وهي منع الآخرين من مساعدة الناس فيقول تعالى ﴿وَلَا يَحْضُرْ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ ومعنى قوله تعالى هو ((أي لا يحث الناس على إطعام الفقراء الذين أسكنهم الفقر عن الحركة والعمل))^(١) ، فقوله تعالى يوجب بكل وضوح مبدأ العمل بالتكافل الاجتماعي بين الناس لأنه يعني إنَّ الإنسان إن لم يستطع اطعام المحتاجين فيجب عليه التشجيع على اطعامهم ومساعدتهم^(٢)

فنستج من الآية الكريمة وجوب اطعام ومساعدة المحتاجين ، وعلى أقل تقدير يجب على الإنسان أن يدعو ويشجع على مساعدتهم إن لم يكن قادراً على مساعدتهم ، وأن من يفعل عكس ذلك فهو كالذي لا يعترف بيوم الحساب ، ولصق هذه الصفات بالكافر أنما تدل على وجوب التعاون بين المسلمين ومساعدة بعضهم البعض .

٢- قوله تعالى : ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ نَبْذِيرًا﴾^(٣)

وهذه آية أخرى من آيات الدعوة السرية التي تدعو إلى التكافل الاجتماعي فمعنى قوله تعالى ﴿وَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ هو وجوب صلة الرحم مع الأقارب^(٤) واختلف المفسرون في القرابة هنا فمنهم من ذهب إلى أن الله تعالى أمر بصلة قرابة الميت من جهة الأب والأم ، ومنهم ذهب إلى صلة قرابة الرسول محمد (صل الله عليه واله وسلم)^(٥) ، فلا شك في أنَّ وجوب صلة القرابة يدل على التكافل الاجتماعي بين العائلة الواحدة ، فيقول الرازي (ت: ٣٢٧ هـ) : ((بدأ فأمره بأوجب الحقوق ، ودله على أفضل الأعمال إذا كان عنده شيء))^(٦) ، فيتبين أن صلة الرحم وإيفاء حقوقهم من أهل مبادئ التكافل الاجتماعي التي يدعو إليها الإسلام ويأمر بها الله تعالى .

(١) تقريب الشيرازي : محمد، القرآن الى الأذهان ، ، ٧٤١/٥ .

(٢) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٤٨٨/٢٠ .

(٣) سورة الأسراء ، الآية ٢٦ .

(٤) ينظر ، بن سليمان: مقاتل، تفسير مقاتل ابن سليمان ، ٢٣٥/٢ .

(٥) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٩٢/ ١٥ .

(٦) الرازي : ابن ابي حاتم ، تفسير القرآن العظيم، ٢٣٢٦/٧ .

ثم تبين الآية الكريمة وجوب التكافل مع صنفين آخرين وهما السائلين وابناء السبيل فيقول تعالى ﴿وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ فيقول السمرقندي (ت: ٣٨٢ هـ) : ((والمسكين﴾ أي أعط

السائلين﴾ وابن السبيل﴾ أي الضيف النازل وحقه ثلاثة أيام))^(١)

فإنَّ الله تعالى أوجب على المسلمين مساعدتهم ، فلهم حقوق في أموال المسلمين ^(٢) ثم بين الله تعالى حرمة التصرف في الأموال بغير فائدة ، فأوجب صرف الأموال في طاعته ، وذلك يدل على وجوب صرف الأموال في مساعدة الغير ، فقال تعالى : ﴿وَلَا تُبْذَرُ تَبْذِيرًا﴾ حيث يبين السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ) معنى التبذير فيقول : ((والتبذير : هو الإنفاق في غير طاعة الله تعالى))^(٣)

فأمر الله تعالى بترك تقاليد الجاهلية التي كانت سائدة وهي بذخ الأموال وصرفها وتتحر الأبل من أجل الفخر والسمعة ، وأمر بصرف تلك الأموال من أجل مساعدة المحتاجين ^(٤) ، فالآية تؤسس إلى مبدأ التكافل الإجتماعي في المجتمع من خلال صلة الرحم ومساعدتهم ، إضافة إلى مساعدة المحتاجين من السائلين وعابري السبيل ((والحق ، في هذه الآية ، ما يتعين له ، من صلة الرحم ، وسد الخلة ، والمواساة عند الحاجة بالمال والمعونة بكل وجه))^(٥)

٣- قوله تعالى: ﴿مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمَصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ

الْمَسْكِينِ﴾^(٦)

توضح الآية الكريمة وجوب الإعتماد على مبدأ التكافل الإجتماعي بين الناس من خلال بيانها أنَّ الذين لم يطعموا المساكين في الدنيا فإنَّهم في الآخرة في نار تسمى سقر ، فمعنى قوله تعالى

^(١) السمرقندي : أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، ، ٣٠٨/٢ .

^(٢) ينظر ، النيسابوري : الواحد (ت: ٤٦٨ هـ) ، تفسير الواحدي ، ٦٣٢/٢ .

^(٣) السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ، ٣٢٥/٣ .

^(٤) ينظر ، الزمخشري : محمود بن عمر ، الكشاف ، ٤٤٦/٢ .

^(٥) الثعالبي : عبد الرحمن ، تفسير الثعالبي ، ، ٤٦٩/٣ .

^(٦) سورة المدثر ، الآيات ٤٢-٤٤ .

﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَر ﴾ سؤال من المؤمنين إلى مجموعة من الكافرين كانوا في النار عن سبب دخولهم سقر الذي هو أسم من أسماء جهنم ^(١) وبهذا الصدد يقول الطبرسي (ت: ٥٤٨ هـ) : ((هذا سؤال توبيخ أي يتطلع أهل الجنة على أهل النار ، فيقولون لهم ما أوقعكم في النار)) ^(٢) ((^(٢)

ثم بعد ذلك بين الله تعالى الصنفين الذين هم في سقر ، فالصنف الأول بينه بقوله تعالى ﴿ لَمْ تَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ أي هم الذين لم يؤدوا الصلاة المفروضة عليهم في الدنيا ^(٣) ، بعد ذلك بينت الآية الصنف الثاني في سقر إلا وهم الذين لا ينفقون أموالهم في سبيل الله فقال تعالى ﴿ وَلَمْ تَكُ تَنْطَعُمُ الْمُسْكِينَ ﴾ فهي تدل على أنهم ((كانوا يكتنزون المال ولا ينفقونه في سبيل الله)) ^(٤) ((^(٤)

حيث إنَّ إطعام المساكين يعني به حق الناس بشكل عام ، فالآية توجب على الإنفاق على فقراء المجتمع بما يرتفع به حاجتهم ويقوم به صلبهم ^(٥) وبهذا يقول الشيرازي : ((ولكن الظاهر أنه يراد بها المساعدة والإعانة الضرورية للمحتاجين عموماً بما ترتفع بها حوائجهم كالمأكل والملبس والسكن وغير ذلك .)) ^(٦)

^(١) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٠/١٨٥ .

^(٢) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٠/١٨٧ .

^(٣) ينظر ، شبر : عبد الله ، تفسير شبر ، ، ص ٥٤٠ .

^(٤) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٧/٤٦٥ .

^(٥) ينظر ، ، الطباطبائي : محمد حسين الميزان في تفسير القرآن ، ٢٠/٩٧ .

^(٦) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩/١٨٥ .

٤- قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا بَلْ لَا تَكْرُمُونَ

الْيَتِيمَ وَلَا تَخَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾^(١)

يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) في تفسيرها : ((وقوله : بل لا تكرمون اليتيم يقول تعالى ذكره : بل إنما أهنت من أهنت من أجل أنه لا يكرم اليتيم ، فأخرج الكلام على الخطاب ، فقال : بل لستم تكرمون اليتيم ، فلذلك أهنتكم ولا تخاضون على طعام المسكين))^(٢) فالآية الكريمة توضح أن الله تعالى قد أهان من لم يساعد اليتيم ومن يحض على طعام المساكين وفي ذلك دلالة واضحة إلى وجوب مساعدتهم وهذا يعني وجوب التكافل الإجتماعي .

فمعنى قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ أي أن بعض الناس قالوا بأن الله تعالى يكرم الغني ويهين الفقير فقط^(٣) ثم جاءهم الجواب من الله تعالى بقوله ﴿كَلَّا﴾ فيقول الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) : ((وهو ردع للإنسان عن تلك المقالة ، قال ابن عباس : المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ، ولم أبتله بالفقر لهوانه علي))^(٤) ثم يبين الله تعالى سببين تلك الإهانة لهم فيقول في السبب الأول ﴿بَلْ لَا تَكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾ ومعناه : ((إخبار عن ما كانوا يصنعونه من منع اليتيم الميراث ، وأكل ماله إسرافاً وبداراً أن يكبروا))^(٥) فسبب الإهانة هو أنهم كانوا لا يكرمون الأيتام بالنفقات والمبرة^(٦) ثم يبين الله تعالى السبب الثاني فيقول عز وجل : ﴿وَلَا تَخَاضُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ والمسكين هنا هو ((يعني

(١) سورة الفجر ، الآيات ١٦-١٨ .

(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٢٨/٣٠ .

(٣) ينظر السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ٢٢١/٦ .

(٤) الرازي : فخر الدين ، التفسير الكبير ، ١٧٢/٣١ .

(٥) القرطبي: محمد بن أحمد (ت: ٦٧١ هـ) ، تفسير القرطبي ، ٥٢/٢٠ .

(٦) ينظر ، البيضاوي: ناصر الدين (ت: ٦٨٢ هـ) ، تفسير البيضاوي ، ٣١١/٥ .

الفقير الذي لا شئ له يقوم بأوده وكفايته ((^(١)) فسبب الإهانة لهم لأنهم لم يحتثوا الناس واهلهم على ضرورة إطعام الفقير^(٢) .

فبالتالي عندما تكون الإهانة لهذين السببين فهذا يؤكد على وجوب التكافل الإجتماعي من خلال مساعدة اليتيم والفقير المحتاج ، بل وجوب حث الآخرين على مساعدتهم .

(١) ابن كثير: اسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤هـ) تفسير ابن كثير، ٥٩٢/٤.

(٢) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير، ٤٢٦/٧.

المبحث الثاني

قيمة الأخوة في سور الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم الأخوة وأهميتها

المطلب الثاني : أنواع الأخوة في القرآن الكريم

المطلب الثالث: أثر سور الدعوة السرية في ترسيخ مبدأ الأخوة

من أهم مميزات الدين الإسلامي أنه سعى إلى خلق مجتمع تفاعلي يعيش على مبدأ الأخوة التي تجمع الجميع وتضمن لهم نفس الحقوق بدون تمييز ، حيث بين الإسلام أنه يرى أنَّ الناس عبارة عن مجموعة من الأخوة الذين يعيشون في أماكن متفرقة ، وأن استخدام الإسلام لمصطلح الأخوة ما هو إلا دلالة واضحة لما يريده من التعاون ومساعدة الغير ، فسندرس في هذا المبحث أهمية الأخوة في منظور الدين الإسلامي ، ومن ثم نقوم بدراسة تطبيقية خاصة في سور الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم الأخوة وأهميتها

لا شك في أن الأخوة عامل مهم في استمرار عيش المجتمعات بنظام صحي حيث يكفل العيش السعيد والمطمئن لأبناء المجتمع الواحد ، لذا ركز الإسلام من خلال القرآن الكريم ، أو السنة النبوية على بيان أهمية الأخوة وما له من تأثير مهم على حياة الناس ، ففي هذا المطلب سنبين مفهوم الاخوة وأهمية الأخوة في الإسلام ، ونوضح أيضاً الوسائل التي اعتمدها الإسلام في ترسيخ مبدأ الأخوية بين ابنائه .

أولاً: ماهية الأخوة

١- الأخوة لغة : ذهب أغلب المعرفون اللغويون إلى أنَّ معنى الأخوة في اللغة هو العلاقة بين ابناء العائلة الواحدة - النسب، أو هو بمعنى الرابطة الإيمانية بين الناس .
أ- حيث قال الجوهري (٣٩٣ هـ) : ((وأكثر ما يستعمل الاخوان في الأصدقاء ، والاخوة في الولادة))^(١)

ب- وعرفها ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) : ((أخا : الأخُّ من النسب : معروف ، وقد يكون الصديقَ والصاحبَ))^(٢)

بالتالي فإنَّ المقصود من الأخوة في اللغة لا يُقصد بها الأخوة ذات النسب الواحد ، أي المولودون من أم واحدة فقط، بل يُقصد بها أيضاً الرابطة الإجتماعية والإيمانية مع الآخرين ، وهذا ما يؤيده ابن منظور (ت: ٧١١ هـ) عندما نقل معنى الأخوة ((هُمُ الإِخْوَةُ إِذَا كَانُوا لِأَبٍ ، وَهُمْ الإِخْوَانُ إِذَا لَمْ يَكُونُوا لِأَبٍ))^(٣) وهو ما سنتوسع به في المطلب التالي .

٢- الأخوة اصطلاحاً : هو رباط يقوم على منهج الله ، ينبثق من التقوى ، ويرتكز على الإعتصام بحبل الله ، فهي رباط إيماني ، إذ لا أخوة دون رباط إيماني قوي^(٤) وهناك من عرفها على أنها علاقة نفسية تورث شعور عميق وقوي بالمحبة والعاطفة والاحترام ،

(١) الجوهري ، الصحاح ، ، ٢٢٦٤/٦ ، (باب الواو والياء فصل الألف) .

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ، ١٩/١٤ (باب الواو والياء من المعتل ، فصل الهمزة).

(٣) المصدر نفسه، ٢١/١٤ .

(٤) إيتيم : عبد الرحمن، الأخوة في ضوء القرآن الكريم، ص ٩٩

فهو شعور يتولد في نفس المؤمن لأخيه المؤمن^(١) أما التعريف المختار كونه أكثر ملائمة ((رابطة متينة موثقة ، تجمع بين طرفين أو أكثر ، تتصف بالدوام والملازمة ، وتنشأ بسبب النسب أو الرضاع أو الدين ، أو الاشتراك في القبيلة أو الوطن ، أو المقاصد والأعمال))^(٢)

ثانياً : أهمية الأخوة في الإسلام

يرى الإسلام أن المحبة تؤدي أكبر دور في تنظيم شؤون المجتمع الإنساني المثالي ، ويتضح ذلك من خلال ملاحظة النصوص الواردة في القرآن الكريم ، حيث أن المجتمع الذي ينشده الإسلام هو مجتمع تتبلور أسسه على أساس المحبة التي تربط بين أبنائه ؛ فالإسلام يطمح إلى بناء مجتمع يتأخى فيه الناس ويحب بعضهم بعضاً إلى درجة الإيثار على النفس^(٣) .

حيث عُرف الإسلام منذ فجره بدعوة السلام الذي هو عنوانه ومادته التي اشتق منها في بناء علاقة المسلمين بعضهم ببعض على المحبة والأخوة^(٤) فالإنسانية التي حملها المسلمون هي إرث حضاري عربي إسلامي ، وهي حضارة إنسانية في قمة الإنسانية ، ويجب أن لا ننسى التجربة العربية الإسلامية في بلاد الأندلس ، اذ تعايشت ثقافات وحضارات وشعوب ، فالحاكم كان عربياً مسلماً وعنده وزير يهودي و وزير مسيحي ، وقائد الجيش في إحدى المرات كان يهودياً^(٥) .

فالله تعالى عقد بين المسلمين بعقد الأخوة الوثيق الذي لا ينفك أبداً ((إنها عقد وثيق ؛ أطرافه جميع المسلمون الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، و يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويصومون رمضان ، ويحجون البيت الحرام ، ويؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ...))^(٦)

(١) ينظر ، جار الله : عبد الله ، الأخوة الإسلامية وآثارها ، ص ٥

(٢) علي : اسماعيل ، الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية ، ص ٩

(٣) ينظر ، الريشهري : محمد ، المحبة في الكتاب في السنة ، ص ١٧-١٨

(٤) محمد : عبده ، الإسلام رسالة السلام والتسامح ، ص ٣٧٦

(٥) صالح : فائز ، التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي ، ص ٤٨٦

(٦) علي : اسماعيل ، الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية ، ص ١٠

ويمكن تلخيص أهمية الأخوة بالنقاط التالية :-

١- الشعور بالراحة النفسية الإيجابية : وما يبين أهمية وأثر الأخوة السليمة في نفوس المسلمين هو أنها توجب على الفرد أن يكون مواطناً صالحاً مفيداً لمجتمعه ، فهي قوة إيمانية تجعل الإنسان يشعر بالمحبة والعاطفة والاحترام والثقة بالآخرين ، فهذه المشاعر الأخوية الصادقة أن تولد للإنسان مع غيره ستؤدي إلى نتائج إيجابية كبيرة وكثيرة من الإيثار والتعاون والمغفرة والرحمة بين الناس ، وهذا هو المغزى المهم من إشاعة مبدأ الأخوة بين الناس ^(١) وهذا المعنى يؤكد ابن الجوزي (ت: ٥٩٧ هـ) بقوله ((اعلم أن المعنى الجامع بين المسلمين في الإسلام ، فقد اكتسبوا به أخوة أصلية ، ووجب عليهم بذلك حقوق لبعضهم على بعض)) ^(٢) .

ضمان الحقوق : فالأخوة تضمن حقوق المتأخين بما يحافظ كل شخص على حقوق غيره ولا يتعدها ، حيث أن لكل مسلم على أخيه المسلم حقوقاً ، وهذه الحقوق أوجبها عقد الإسلام ، وصارت لكل مسلم بهذا العقد حرمة ، لا يحق لأحد انتهاكها ^(٣) ويروي البخاري (ت: ٢٥٦ هـ) ذلك في صحيحه عن رسول الله : ((إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ، ولا تجسسوا ، ولا تتنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تغاضوا ، وكونوا عباد الله إخواناً ، والمسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ولا يحقره ، التقوى ههنا .. ويشير إلى صدره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام : دمه وعرضه وماله)) ^(٤) وروي عن الإمام علي (عليه السلام) : ((لا تضيع حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه ، فإنه ليس بأخ من ضيعت حقه)) ^(٥)

٢- الشراكة الفعلية : ومما يميز الأخوة في الإسلام ويبرز تأثيرها هو أنها تجعل المسلمين شركاء في السراء ومتعاونون في الضراء ، همهم واحد وأملهم واحد ، لا يؤمن أحدهم إن

^(١) ينظر ، ناصح: عبد الله ، الأخوة في الإسلام، ص ٤

^(٢) ابن الجوزي : عبد الرحمن ، التبصرة ، ص ٢٧٣

^(٣) فريد : احمد ، الحب في الله وحقوق الأخوة ، ص ٢٦

^(٤) البخاري : محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦ هـ) ، صحيح البخاري ، ١١٢/٣ ، (باب الوصايا) .

^(٥) الشاكري : حسين ، موسوعة المصطفى والعترة ، ، ٢٩٠/١١

شبع واخ له جائع ، أو أمين وأخ له فزع ، أو لبس وأخ له عاري ^(١) فيقول رسولنا الكريم ((إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً)) ^(٢) وقوله أيضاً ((مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ؛ مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)) ^(٣)

٣- تقديم النصح والتوجيه : فحين يكون المؤمن مرآة لأخيه المؤمن ينصحه ويوجهه نحو الصواب ، يترك الأمر أثراً بالغ الأهمية في نفس المقابل إذ يفهم منها حرص أخيه عليه ولو بعد حين ^(٤) لهذا قال رسولنا الكريم ((المؤمن مرآة أخيه المؤمن يميّط عنه الأذى)) ^(٥)

وقد وردت آيات كثيرة في القرآن سواء في سور الدعوة السرية - محل البحث - أو الدعوة العلنية تدعو إلى ترسيخ مبدأ الأخوة في المجتمعات عامة وخاصة المجتمعات الإسلامية مثل قوله تعالى ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ ^(٦) وقوله تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(٧) وايضاً قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ ^(٨) . أما بالنسبة للسنة فقد وردت الكثير من الأحاديث التي تبين أهمية الأخوة في الإسلام ، فقال النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) : ((من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، كان كمن عبد الله دهره)) ^(٩) وقوله (صل الله عليه واله وسلم) : ((من مشى في عون أخيه ومنفعته ، فله

(١) كنعان : عماد، فقه الخندق الواحد ، ، ص ٢٥٩.

(٢) البخاري : محمد بن اسماعيل ، صحيح البخاري، ٩٨/٣ ، (باب المظالم) .

(٣) النيسابوري : مسلم، صحيح مسلم ، ، ٢٠/٨ ، (باب النهي عن السباب) .

(٤) ينظر ، متعب : فاضل مدب، الأخوة الإيمانية في ضوء القرآن الكريم والسنة المطهرة واثراها في السلم الاجتماعي ، ، ص ٦٦.

(٥) الصدوق : محمد علي ، مصادقة الإخوان، ص ٣٢.

(٦) سورة المائدة ، من الآية ٢.

(٧) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣.

(٨) سورة الحجرات ، من الآية ١٠.

(٩) الطوسي : محمد بن الحسن ، الأمالي ، ص ٤٨١ .

ثواب المجاهدين في سبيل الله))^(١) فيتبين من الحديثين أن قضاء الحاجة للمؤمن ، وخاصة الضرورية منها لاستمرار المعيشة والحياة ، فإن رسول الله (صل الله عليه واله وسلم) يرفعها إلى منزلة العبادة العملية التي توجب الثواب الأخروي^(٢)

وترى الباحثة بأنَّ الإسلام رسَّخ الأخوة بين المسلمين من خلال مبدئين مهمين وهما : -

١- التسامح : والتسامح في الدين الاسلامي يقوم على حفظ حريات الإنسان وكراماته ، ونحن مطالبون أخلاقياً بحسب ديننا أن نكون متسامحين مع كل البشر بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية ، بما لا يخالف الدين الإسلامي ، مع تمسكنا بثوابت الدين والعقيدة^(٣) .

فالتسامح قيمة كبرى في الإسلام فهو نابع من السماحات بكل ما تعنيه من حرية ومن مساواة بغير تفوق جنسي أو تمييز عنصري ، بحيث تحت هذه الرسائل المتمثلة في ديننا الحنيف على الاعتقاد بجميع الديانات ، والتسامح ليس هو التنازل أو التساهل أو الحياد اتجاه الغير ، بل هو الاعتراف بالآخر ، أنه الاحترام المتبادل والاعتراف بالحقوق العالمية للشخص^(٤) .

والجدير بالذكر أنَّ الإسلام لم يشع روح التسامح ومبدأ الأخوة بين المسلمين فقط ، بل هو نظام عالمي اوجب نشر تلك المبادئ في جميع الأحوال وبدون أي تفرق ، ونلاحظ ذلك من خلال ملاحظة أن أصحاب الديانات الاخرى عاشوا في ظل الحكومات الإسلامية سنوات طويلة كانت تحفظ فيها كراماتهم وتصورون فيها حرمتهم ، وكان بمقدور الحكومات في ذلك الوقت أن تفعل ما تريد ، لكن تلك الأفعال التي تؤدي إلى ابعاد الناس عن بعضهم البعض لم يكن من ديدن

(١)الصدوق: محمد علي ، ثواب الأعمال ، منشورات الرضي ، قم-إيران ، ١٣٦٨ هـ ، ط ٢ ، ص ٢٨٨ .

(٢)ينظر ، ذهبيات : عباس،التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ، ص ١٠ .

(٣) ينظر ، صباح : عامر ، دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح في المجتمع ، ص ٦٣٠ .

(٤)أمين : عبده، الإسلام رسالة السلام والتسامح، ص ٣٧٧ .

الإسلام^(١) . وأن اعظم مثال على ما ذكرناه من التسامح هو قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) : ((إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق))^(٢)

٢- التعايش السلمي : إنَّ الاسلام لا يوصي بمبدأ التعايش السلمي فحسب؛ بل تخطاه إلى ابعد من ذلك، فحث المسلمين على إقامة وشائج الصداقة والمحبة مع الشعوب غير المسلمة^(٣) حيث أن المجتمع في نظر القرآن الكريم لا يكون وسطا اجتماعيا الا اذا كانت العلاقات فيه تهدف إلى توفير دواعي الامن واسباب الحياة المطمئنة، ولا يتم ذلك في نظر القرآن الكريم الا بالتعاون الذي امر الله به في قوله تعالى : ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾^(٤) .

فقد جاء النبي محمد منقذا للامة بتوجيهاته من العادات التي كانت سائدة في عصر الجاهلية حيث أن المستقراً للسنة النبوية يلاحظ بوضوح الانعطافة التاريخية في نهج الامة وفي حياة الناس، تلك الانعطافة التي سببت تحولاً مرموقاً في حياة الناس وطريقة تعاملهم مع الغير ورفضهم للعنصرية المقيتة بما يوجب انتشار مبدأ الاخوة بينهم^(٥)

المطلب الثاني : أنواع الأخوة في القرآن الكريم

إن الأخوة لا تقتصر على المعنى الحقيقي لها ، أي لا تقتصر على الأخوة التي تكون من عائلة ، بل تنقسم على قسمين أخوة عامة وهي التي تشمل فئة عامة من المؤمنين كما وضحاها القرآن الكريم وعدد كبير من الاحاديث ، وأخوة خاصة وهي التي تعني الأخوة من أبوين أو الأخوة بين جماعة محددة من الناس .

(١) ينظر ، صالح : فائز ، التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٨٦.

(٢) ابن أبي طالب : علي (عليه السلام) ، نهج البلاغة ، ، ٨٤/٣.

(٣) الجيلاوي : محمد عباس، التعايش السلمي، دراسة في المأثور عن الامام علي عليه السلام في عهد مالك الاشتر ، ص ١٦.

(٤) جبر : عبد الله، الاسلام والتعايش السلمي ، ص ١١.

(٥) ينظر، حسن : حنان، من هدى السنة النبوية في التعايش مع الآخر ، ص ٤٣٠.

ففي هذا المطلب سنقوم بدراسة أنواع الأخوة بحسب ما جاء في القرآن الكريم من آيات كريمة ، وبحسب الأحاديث الشريفة.

أولاً :الأخوة العامة

حيث أن لا شك في أن أعلى مراتب الأخوة وخيرها هي تلك الأخوة المبنية على وثائق العقيدة والإيمان؛ وذلك لأهمية العقيدة في حياة المسلم ، فالعقيدة الصحيحة هي أصل دين الإسلام ، وأساس الملة ^(١)

فورد في القرآن الكريم ما يُثبت هذه الأخوة فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ^(٢) فمصطلح الأخوة لا يطلق فقط على الأخوين من أب وأم ، بل يطلق أيضاً على الصديق المقرب ، وأيضاً على الموافق في الدين الإسلامي ^(٣) وبهذا الصدد يقول ابن ادريس الحلي (ت: ٥٩٨ هـ) مفسراً الآية : ((فجعلهم اخوة وان لم يكونوا بني أب واحد)) ^(٤) فجميع المؤمنين أخوة لأن يرجعون إلى أصل واحد وهو الإيمان ^(٥)

فالآية الكريمة تبين قيمة هذه الأخوة في بناء مجتمع سليم يستطيع أن يحافظ على ثرواته المادية والمعنوية والدفاع عنها ^(٦)

ووردت الكثير من الأحاديث التي تبين أهمية هذا النوع من الأخوة كقول الإمام علي (عليه السلام) عن الناس ((فإنهم صنفان إما أخ لك في الدين وإما نظير لك في الخلق)) ^٧ وكقوله :

^(١)الفضلي : عبد الرحمن، الأخوة في ضوء القرآن الكريم ، ، ص ١٠٤ .

^(٢) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

^(٣) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤/٤٩٧ .

^(٤)الحلي : ابن ادريس، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان ، ، ٢/٢٢٠ .

^(٥) ينظر ، القمي : محمد رضا كنز الدقائق ، وبحر الغرائب ، ، ١٢/٣٣٣ .

^(٦) ينظر ، الطباطبائي : محمد حسين الميزان في تفسير القرآن، ٤/٩٥ .

^٧ الامام علي (عليه السلام) ، نهج البلاغة ، ٣/٨٤

((رب اخ لم تلده امك))^(١) وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ((إنما المؤمنون إخوة ، بنو أب وأم ، وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون))^(٢)

وشرح الحديث هو : أي مثل الأخوة النسبية في لزوم التعاطف والتوازر والتراحم أو المراد بالأب مادتهم وهي الطينة الجنانية وبالأُم روحهم المربية لهم ، وإطلاق الأب والأم عليهما مجاز وحملهما على آدم وحواء بعيد لاشتراك جميع الناس في ذلك ، ثم رغب في رعاية الأخوة بقوله وإذا ضرب على رجل منهم عرق سهر له الآخرون (ضرب العرق وهذا كناية عن الألم المخصوص أو مطلقاً ، وفيه تنبيه على أن المؤمنين لما كانوا من أصل واحد بمنزلة شخص واحد لزم أن يتألم الجميع بتألم واحد منهم كما يتألم سائر أعضاء الجسد بتألم بعضها^(٣)

وأيضاً نقل الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) : ((الحسن بن علي بن شعبة في (تحف العقول) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال في خطبة الوداع : أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لمؤمن مال أخيه إلا عن طيب نفس منه .))^(٤)

ثانياً : الأخوة الخاصة

وهي الأخوة التي تكون بين أفراد المسلمين - كالأخوة من عائلة واحدة - وآحادهم ، أو بين جمع بينهم ، ومثال على ذلك أن تقوم جماعة من المسلمين أو أهل منطقة معينة في وقت معين ، أو مجموعة من المسلمين تجمعهم أهداف محددة^(٥)

وورد عدد من الآيات القرآنية - من غير سور الدعوة السرية - يؤيد ذلك المعنى مثل قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١١٠﴾^(١)

^(١) الريشهري : محمد، ميزان الحكمة ، ، ٣٨/١ .

^(٢) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ، ١٦٥/٢ ، اخوة المؤمنين بعضهم لبعض ، حديث ١ .

^(٣) ينظر ، المازندراني : محمد صالح، شرح أصول الكافي ، ، ٣٣/٩ .

^(٤) العاملي: لحر، وسائل الشيعة ، ، ١٢٠/٥ ، باب حكم الصلاة في المكان المغصوب والثوب المغصوب ، حديث ٣ .

^(٥) ينظر ، علي: اسماعيل ، الأخوة فريضة شرعية وضرورة عصرية ، ص ١٢ .

يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((والذين آمنوا بالله ورسوله من بعد تبنياني ما بينت من ولاية المهاجرين والأنصار بعضهم بعضا وانقطاع ولايتهم ممن آمن ولم يهاجر حتى يهاجر وهاجروا دار الكفر إلى دار الاسلام وجاهدوا معكم أيها المؤمنون ، فأولئك منكم في الولاية يجب عليكم لهم من الحق والنصرة في الدين والموارثة مثل الذي يجب لكم عليهم ولبعضكم على بعض))^(١)

وأن ما يدل على قيمة تلك الأخوة الخاصة هو أن احد أسباب التوارث في بداية الإسلام هو المآخاة التي آخى بها رسولنا الكريم إضافة إلى التبني والحلف والهجرة^(٢)

فمعنى اولوا الأرحام ((أي مصاحبو الأرحام والذين يتعلّقون بهم ويرجعون إليهم ، فيشمل جميع طبقات الأقرباء وذوى النسب والحسب ، فيكون الأرحام جمع الرحم ، ويمكن أن يكون جمع الرحم الذى بمعنى القرابة كما قيل ، واطلاق الرحم على القرابة للمبالغة ، لكونها مظهر الرحم))^(٣)

وأیضا في قوله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴾^(٤)

فالآية تعبر عن الأخوة الخاصة لأنها تتكلم عن جماعة من الناس ((بل نزلت هذه الآية في الذين آخى بينهم رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار ، فكان بعضهم يرث بعضا بتلك المؤاخات ثم نسخ الله ذلك بالفرائض))^(٥)

ووردت عدد من الأحاديث التي تبين معنى قوله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ في الأخوة الخاصة

فنقل الكليني (ت: ٣٢٩ هـ) : ((علي بن إبراهيم ، عن محمد بن عيسى ، عن يونس ، عن الحسين بن ثوير بن أبي فاختة ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لا تعود الإمامة في أخوين

^(١) سورة الأنفال ، الآية ٧٥.

^(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٠/٧٤.

^(٣) ينظر ، الجصاص (ت: ٣٧٠ هـ) ، أحكام القرآن ، ، ٢/٩٩.

^(٤) المصطفوي : حسن ، التحقيق في كلمات القرآن ، ، ٤/٩٩.

^(٥) سورة الأحزاب ، الآية ٦.

^(٦) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٥/٧٦.

بعد الحسن والحسين أبدا ، إنما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى : " وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله " فلا تكون بعد علي بن الحسين عليه السلام إلا في الأعقاب وأعقاب الأعقاب .))^(١)

المطلب الثالث: أثر سور الدعوة السرية في ترسيخ مبدأ الأخوة

أسهمت سور الدعوة السرية بدور كبير في ترسيخ الأخوة في المجتمعات الإسلامية الأولى من خلال ما تضمنته من إشارات توحى بقيمة الأخوة في التعامل مع المواقف المختلفة ، ولذلك سندرس في هذا المطلب نماذج من سور الدعوة السرية ونبين أهميتها في ترسيخ مبدأ الأخوة في مجتمعاتنا الإسلامية .

١- قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾^(٢)

وتبين قيمة هذه الآية من خلال بابين رئيسيين الأول أن يوسف (عليه السلام) وعلى الرغم مما فعله به أخوته وبالرغم من المكانة التي وصل إليها إلا أنه أكرمهم ولم يفعل بهم شيئا ، والثاني أن يوسف (عليه السلام) احتضن أخاه بنيامين (عليه السلام) وضمه إليه وواساه ويتبين ذلك من قول السمرقندي (ت: ٣٧٣هـ) : ((قال بعضهم أخبره في السر أنه أخوه وقال بعضهم لم يخبره ولكن معناها إني لك كأخيك الهالك فأنزلهم يوسف منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب فلما كان الليل أتاهم بالفرش وقال لينام كل أخوين منكم على فراش واحد ففعلوا وبقي الغلام وحده فقال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه يوسف يشم ريحه .. يقول لا تحزن بما يعيرون يوسف وأخاه بشيء))^(٣) فمما يدل على قيمة الأخوة هو أن يوسف (عليه السلام) أكرم أخوته وعاملهم معاملة حسنة ، ولم يعاقبهم على ما فعلوه به وبأبيه يعقوب (عليه السلام)^(٤) ، وأن

^(١) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ، ٢٨٥/١ ، باب ثبات الإمامة في الأعقاب وانها لا تعود في أخ ولا

عم ولا غيرهما من القرابات ، حديث ١ .

^(٢) سورة يوسف ، الآية ٦٩ .

^(٣) السمرقندي : أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، ٢ / ٢٠٢ .

^(٤) ينظر ، الثعلبي : احمد بن محمد ، تفسير الثعلبي ، ٢٣٧/٥ .

يوسف (عليه السلام) احتضن أخيه الشقيق بنيامين (عليه السلام) ، وصبره واعترف له بأنه أخوه وأن الله تعالى سوف يجازيهم على صبرهم ^(١)

فعمل يوسف (عليه السلام) على تقسيم أخوته كل اثنين على حدا من أجل أن يصل إلى غايته الكبرى وهي أن ينفرد بأخيه بنيامين ويواسيه ((بأن إخوة يوسف لما وصلوا إلى مصر دعاهم إلى طعامه ، وأجلسهم مثنى مثنى لغاية أرادها ، وهي أن يبقى أخوه بنيامين وحيدا ليجلسه معه على مائدته ، تماما كما آخى الرسول الأعظم (صل الله عليه واله وسلم) بين أصحابه مثنى مثنى ، وأبقى عليا لنفسه ، وبعد الطعام أنزل يوسف كل اثنين من إخوته في حجرة ، وبات أخوه بنيامين معه في حجرته ، وعند ما اختلى به قال له : أتحب أن أكون أخاك ؟ . فأجابه : ومن يجد أخا مثلك ؟ . ولكن لم يلدك يعقوب ، ولا راحيل ، وراحيل هي أم يوسف وبنيامين ، فعانقه وقال : أجل ، لقد ولدني يعقوب وراحيل ، فأنا أخوك ، ولا تحزن بما كان من إختوك معي ومعك . . .
ففرح بنيامين للمفاجأة السارة))^(٢)

٢- قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾^(٣)

وهذه آية أخرى تبين قيمة الأخوة في الإسلام ، فموسى (عليه السلام) على الرغم من كون كان قادراً على طلب أي معونة أخرى من الله تعالى لكنه طلب أن يكون أخوه مساعداً له ويشد به أزره ويكون عوناً له ^(٤) فيقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((يقول تعالى ذكره مخبراً عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون . وإنما يعني بقوله : اشدد به أزرى أقوي ظهري ، وأعني به . يقال منه : قد أزر فلان فلانا : إذا أعانه وشد ظهره))^(٥) فموسى (عليه السلام) لم يختار أخوه معيناً له لأمر اعتباطي بل لأنَّ الأخ هو من يقف مع أخيه في وقت الشدائد ،

(١) ينظر ، النيسابوري : الواحد، تفسير الواحدي ، ، ٥٥٤/١ .

(٢) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٣٤٠/٤ .

(٣) سورة طه ، الآيات ٢٥-٣٥ .

(٤) ينظر ، مقاتل: بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان ، ، ٣٢٨/٢ .

(٥) الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٢٠٠/١٦ .

ولهذا يقول السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ) : ((ويقال : إنه لم يكن أحد على أخيه أسعد ولأخيه أنفع من موسى لهارون))^(١)

ويذكر الرازي (ت: ٦٠٦ هـ) أن هناك احتمالين لاختيار موسى (عليه السلام) أخيه لهذه المهمة الأولى أن التعاون على الدين له ثواب عظيم وموسى (عليه السلام) أراد أن يشارك ذلك الثواب مع أخيه هارون ، أما الثاني هو أن كل من موسى (عليه السلام) وأخيه كانا متوافقين ومتفاهمين مع بعضهما البعض فلأحد السببين اختاره^(٢)

فما يبين قيمة الاخوة في الآية الكريمة هو دعاء نبينا محمد (صل الله عليه واله وسلم) مستنداً بهذه الآية من أجل أن يُعُضد الله تعالى له الإمام علي (عليه السلام) : ((وبالأسناد عن عبد الله ، عن أبيه ، عن عبد الله بن عامر ، عن عبادة بن يعقوب ، عن علي بن عباس ، عن الحارث بن حصيرة ، عن القاسم قال : سمعت رجلاً من خثعم يقول : سمعت أسماء بنت عميس تقول : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : اللهم إني أقول كما قال أخي موسى : اللهم اجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً))^(٣)

فترى الباحثة أنَّ هذه الآية يمكن تطبيقها في حياتنا اليومية ، فلا تتعلق بمهمة الانبياء فقط وتستند على رأي محمد جواد مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) : ((ومهما يكن فلا بد لصاحب الرسالة من التعاون مع من يخلص لها ، ويضحي في سبيلها ، فان النبوة في حقيقتها مجرد خبر ونبا عن الله ينقله من يستحيل في حقه الكذب والخطأ ، وما هي بقوة تنفيذية تقول للشيء كن فيكون ، أن النبي بشر لا يملك لنفسه نفعا ، ولا يدفع عنها ضرا ، ويستعمل لتنفيذ مقاصده نفس الوسائل التي يستعملها المؤمن والجاهد ، ولا يمتاز إلا بهذا النبا عن الله ، وأنه أخذ من الإنسانية أكرم ما فيها ، واستصفى أجل صفاتها ، ولكن الصفات الجليلة لا تجعل صاحبها في المكان الذي

(١)السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ٣/٣٢٨ .

(٢) ينظر ، الرازي : فخر الدين ، التفسير الكبير ، ٢٢/٤٩ .

(٣)المجلسي : محمد باقر ، بحار الأنوار ، ١٤٨/٣٨ ، جوامع الأخبار الدالة على إمامته من طرق الخاصة والعامة ، حديث ١١٠ .

يستغني معه عن الأسباب العادية والسنن الطبيعية . . كلا ، أن الأنبياء وغير الأنبياء سيان في الحاجة والافتقار إلى الأخذ بالعلل والأسباب .))^(١)

٣- قوله تعالى : ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْعَالِيُونَ ﴾^(٢)

يقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((تقول العرب إذا أعز رجل رجلا ، وأعانه ومنعه ممن أراده بظلم : قد شد فلان على عضد فلان ، وهو من عاضده على أمره))^(٣) فالله تعالى وصف الأخ هنا بالسند الذي من شأنه أن يسند موسى (عليه السلام) ((وهذا على طريق التمثيل ؛ لأن قوة اليد بالعضد . وفي الكلام المنقول من العرب أن رجلا قيل له : مات أبوك ، قال : ملكت نفسي ، قيل له : مات ولدك ، قال : تفرغ قلبي ، قيل : ماتت زوجتك ، قال : تجدد فراشي ، قيل : مات أخوك ، قال : وانفصام ظهراه))^(٤)

فالآية تبرز دور الأخ بالسند ، وأن الله تعالى جعل هارون (عليه السلام) عضيداً لأخيه موسى (عليه السلام) أي قوة له تساعده وتسانده^(٥) فموسى (عليه السلام) طلب من الله تعالى أن يرسل معه أخيه هارون (عليه السلام) من أجل مساعدته ومن ثم استجاب الله تعالى له ((سأل موسى ربه أن يشد أزره بأخيه هارون ، فاستجاب له ، وآتاه سؤله))^(٦) فعندما رأى موسى (عليه السلام) هذه المسؤولية الكبيرة التي وقعت عليه ، لم يفكر إلا بأن يطلب من الله تعالى أن

^(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٢١٣/٥ .

^(٢) سورة القصص ، الآية ٣٥ .

^(٣) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٩٤/٢٠ .

^(٤) السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ١٤٠/٤ .

^(٥) ينظر ، شبر : عبد الله ، تفسير شبر ، ٣٧٣ .

^(٦) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٦٥/٦ .

يرسل معه أخيه هارون (عليه السلام) فاستجاب الله له بل طمأنه بأنه تعالى سينصرهم على فرعون وجنوده ^(١)

فقصة موسى (عليه السلام) مع هارون (عليه السلام) تبين الأهمية الكبيرة للأخ في مساعدة أخيه ودفع البلاء عنه ولذلك تكررت عدة آيات في القرآن الكريم تقتنر بموسى (عليه السلام) مع هارون (عليه السلام) ^(٢)

٤- قوله تعالى ﴿ وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٣)

تدل الآية الكريمة على قيمة الأخوة من ناحيتين ، الأولى هي ثقة موسى (عليه السلام) بهارون (عليه السلام) ، حيث إن موسى (عليه السلام) أخلف في قومه أخيه هارون (عليه السلام) ، فهارون (عليه السلام) وأن كان نبياً إلا أن ترك موسى (عليه السلام) له خليفة على بني إسرائيل يعني أنه كان واثقاً فيه من أنه سيفعل ما يريد ((فإن قيل : إن هارون كان نبياً والنبي لا يفعل إلاّ الصالح فالمقصود التأكيد)) ^(٤) أما الناحية الثانية هو أن هارون بالرغم أنه كان نبياً ولا يفعل الخطأ إلا أنه تقبل النصيحة من أخيه بصدر واسع وطيب خاطر ^(٥)

فأهمية الأخوة في الآية بحسب رأي الباحثة تتبع من الثقة التي في قلب موسى (عليه السلام) لأخيه ((وموسى عليه السلام أعلم بحال أخيه فليس مراده نهيه عن الكفر والمعصية بل أن لا يتبع في إدارة أمور قومه ما يشير إليه ويستصوبه المفسدون من القوم أيام خلافته ما دام موسى غائباً .)) ^(٦) حيث كان باستطاعة موسى (عليه السلام) وهو نبي الله تعالى أن يجعل شئياً آخر في قومه حتى يطمئن عليهم من الفساد ، أما الناحية الثانية فهو احترام هارون (عليه

^(١) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٢٢٨/١٢.

^(٢) مصطفىوي : حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، ، ٢١٠/١١.

^(٣) سورة الأعراف ، من الآية ١٤٢.

^(٤) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر، ١٤/٥.

^(٥) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٣٩١/٣.

^(٦) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ٢٣٦/٨.

المبحث الثالث

قيم العدل والمساواة في سور الدعوة السرية

المطلب الأول : مفهوم العدل والمساواة في المنظور الإسلامي

المطلب الثاني : أنواع العدل

المطلب الثالث : العدل والمساواة في سور الدعوة السرية

أعتنى الإسلام كثيراً بمسألة العدل والمساواة ، فمن الأوليات التي حافظ عليها هي حفظ حقوق الناس ، فجاء الإسلام حامياً لكل حقوق الناس من خلال تطبيق مبدأ العدالة والمساواة ، ولا شك في إن استمرار اي مجتمع لا يتم إلا من خلال كون العدل هو الحاكم الأول فيه ، لهذا أمر الله تعالى أن يكون الحاكم عادلاً منصفاً في اصدار احكامه ، ولم يفرق الله تعالى بين المسلمين والكافرين ، بل ساوى بينهم وحفظ حقوقهم كما حفظ حقوق المسلمين .

ففي هذا المبحث سوف ندرس العدالة والمساواة من خلال بيان معاني المصطلحات وأهمية العدل والمساواة وأنواع العدل ، ثم نقوم بإجراء دراسة تطبيقية في سور الدعوة السرية .

المطلب الأول : مفهوم العدل والمساواة في المنظور الإسلامي

اهتم الإسلام كثيراً بمبدأ العدل والمساواة ويؤيد ذلك كثرة الآيات والأحاديث التي وردت عن ذلك ، ففي هذا المطلب سنتناول تعريف العدل والمساواة ، وأهميته في المنظور الإسلامي .

أولاً : العدل لغة

- ١- الخليل الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ) : ((العدل : المرضي من الناس قوله وحكمه ، هذا عدل ، قلت : فهم عدول على العدو . قلت : هما عدلان ، وهو عدل بين العدول . والعدولة والعدل : الحكم بالحق . والعدل ان تعدل الشيء عن وجه فتميله))^(١)
- ٢- بينما عرفها ابن منظور : ((ما قام في النفوس أنه مستقيم ، وهو ضد الجور ، ويقال عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلاً وهو عادل ، وهو في الأصل مصدر سمي به موضع العادل وهو أبلغ منه ، لأنه جعل المسمى نفسه عدلاً))^(٢)

ثانياً: اصطلاحاً

عُرف على إنه المساواة في كل الاشياء من غير نقصان ولا زيادة ولا غلو ولا تقصير ، وقيل بأنه الإنصاف^(٣) وهناك من عرفه على أنه : ((العدل عند أهل الشرع نعت من العدالة ، ويسمى عادلاً أيضاً ، وقد عُرفت العدالة وهي في اللغة الإستقامة ، وعند أهل الشرع هي الانزجار عن محظورات دينية))^(٤)

وعرفه الجرجاني : ((الاستقامة عن طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينياً ، والعدل عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط .. وقيل : العدل مصدر بمعنى العدالة وهو الميل إلى الحق))^(٥)

^(١) الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ٣٨/٢ ، (باب العين والادل واللام معهما عدل - عدل د - عدل ع مستعملات د عدل - عدل د - عدل د ع مهملات).

^(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ، ٤٥٦/١٣ ، (فصل العين المهملة).

^(٣) ينظر ، الخازن : لباب التأويل في معاني التنزيل ، ١٣١/٢ .

^(٤) علي : محمد ، كشف اصطلاحات الفنون ، ، د.ت ، د.ط ، ١٠١٥/٢ .

^(٥) الجرجاني : علي بن محمد ، التعريفات ، ، ص ١٢٨ .

فهو القصد في الأمور وهو خلاف الجور ، يقال عدل في أمره عدلاً من باب ضرب ، وعدل على القوم عدلاً أيضاً ومعدلة بكسر الدال وفتحها ، وعدل عن الطريق عدولاً : مال عنه وانصرف ، وعدل عدلاً من باب تعب : جار وظلم^(١)

اما المساواة فهي لغة :

١- أن المساواة من السواء ، والسواء ((السواء ، ممدود : وسط كل شيء)).^(٢)

٢- بينما ذهب الزبيدي (ت: ١٢٠٥ هـ) إلى أن معنى المساواة هو المماثلة : ((المماثلة والمعادلة قدرًا وقيمة ؛ ومنه قولهم : هذا يساوي دَرهما ، أي يُعادلُ قيمته دَرهما))^(٣)

اصطلاحاً : لا يوجد هناك اختلاف كبير ومؤثر في تعاريف المؤلفين لمصطلح المساواة لذا ارتأت الباحثة إلى الإعتماد على تعريف واحد وشامل وهو ((تماثل كامل أمام القانون ، وتكافؤ كامل إزاء الفرص ، وتوازن بين الذين تفاوتت حظوظهم من الفرص المتاحة للجميع))^(٤)

أهمية العدل والمساواة :

أن أول ما نبدأ به عندما نتكلم عن العدل هو أن العدل صفة من صفات الله تعالى ، والأمثلة على ذلك كثيرة ولا يمكن حصرها ، ومن أمثلة ذلك هو ما ذكره الشريف المرتضى من جواب الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لأبي حنيفة على سؤاله ((ممن المعصية)) ؟ حيث قال ((إنَّ المعصية لا بد أن تكون من العبد ، أو من ربه ، أو منهما جميعاً ، فإن كانت من الله تعالى ، فهو أعدل من أن يظلم عبده ، ويأخذه بما لم يفعله ، وإن كانت منهما فهو شريكه ، والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف ، وإن كانت من العبد فعليه وقع الأمر ، وإليه توجه النهي ، وله حق الثواب والعقاب ، ووجبت الجنة والنار))^(٥) .

^(١)الخميني : مصطفى، التحقيق في كلمات القرآن ، ٥٣/٨.

^(٢)الفراهيدي : الخليل بن أحمد ، العين ، ٣٢٦/٧ ، (باب الليف من السين).

^(٣) الزبيدي : تاج العروس ، ، ٥٤٩/١٩ ، (باب سو).

^(٤)عمارة : محمد، الإسلام والامن الاجتماعي ، ص ٩٥.

^(٥)ابن شهر آشوب : متشابه القرآن ومختلفه، ١٢٠/١.

فلا عجب من اهتمام الإسلام بالعدل والمساواة ، والعدل صفة من صفات الله تعالى ، والإسلام منذ بدايته أراد مجتمع اسلامي متكامل تُضمن فيه الحقوق من البداية ، والمجتمع لا يكون متكاملًا ولا تُضمن فيه الحقوق إلا إذا كان العدل سائداً ، لذا اوجب الإسلام على الحاكم أن يكون عادلاً في حكمه لما له من أثر كبير ((اذا هم الولي بالعدل أدخل الله تعالى البركات في اهل مملكته حتى في الأسواق والارزاق ، وذا هم بالجور أدخل الله النقص في مملكته حتى في الأسواق والأرزاق))^(١)

وليس الولي بل أن العدل يُعدُّ فريضة واجبة على كل مسلم ومسلمة ، يقوم به الإنسان المؤمن الذي يتقي ربه ويرغب في ثوابه ، فالمتقين هم من ينصرون الحق ويظهرونه معتمدين على العدل دون هوى النفس ، أو ميل لهذا أو ذاك ، فبالعدل تأخذ الحقوق وتصان ، وبه يحفظ المجتمع^(٢)

أما المساواة فهي لا تختلف عن العدل ، بل هي جزء من العدل ، حيث عَرَفَ بعضهم العدل على أنه ((إعطاء كل ذي حق حقه ، وهو المساواة بين الناس جميعاً في إعطاء الحقوق ، والمساواة في المكافأة إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر))^(٣) إذ أن العدالة والمعادلة : يقتضى معنى المساواة^(٤)

حيث إنَّ المساواة فبحسب المنظور الإسلامي لا تعني إنهاء الاختلاف بين الناس أو التمايز بينهم ، لأن الاختلاف هي سنة من سنن الله تعالى ، وهو حقيقة واقعة ، حيث أن الاختلاف بين الناس هو إرادة الله تعالى ، إضافة إلى ذلك فإن الناس جميعاً بمقتضى العقيدة التوحيدية هم

(١) ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك ، ١/٢٢٧ .

(٢) ينظر ، السمرحاني : العدل فريضة إسلامية والحرية ضرورة انسانية ، د.ت ، د.ط ، ص ، ٢٦ .

(٣) الصلابي : علي محمد ، العدالة من المنظور الإسلامي ، ص ١٩ .

(٤) مصطفىوي : حسن ، التحقيق في كلمات القرآن ، ٨/٥٣ .

متساوون أمام الله تعالى فهم جميعاً عباد لرب واحد^(١) فكان القرآن الكريم مؤسساً لفكرة المساواة في مجتمع كان يغرق في مستنقع التناقضات والطبقية^(٢)

فقد اهتم الإسلام بترسيخ مبدأ المساواة بين الناس في الاسس والمبادئ العامة التي تحكم العلاقات الإنسانية والمقومات الأساسية للنظام العام الإسلامي التي يحظر المساس بها أو الخروج عليها^(٣)

فعلى الرغم من الصيحات الحديثة التي تدعو إلى المساواة بين الرجل والمرأة إلا أنَّ القرآن الكريم ومنذ آلاف السنين قد ساوى بين الرجل والمرأة في الحقوق العامة فهي مساوية للرجل في حق التصرف والتملك في مالها كيفما تشاء ، كما تعتبر مساوية للرجل في حقها في التعلم والتعليم^(٤) كما قرر القرآن الكريم المساواة بين الرجل والمرأة في الإيمان والعمل والجزاء على ذلك . إذ أن المرأة أهل للتكاليف الشرعية مثل الرجل ، وولي أمرها مطالب بأمرها بأداء العبادات ، وتعليمها لها منذ الصغر^(٥)

ويمكن تلخيص أهمية العدالة والمساواة إلى :-

١- إشاعة الطمأنينة في النفوس : فمتى ساد العدل عم الأمن ، فיאمن المسلم على دينه وعرضه وأهله وماله ، وبهذا يؤدي الناس شعائرهم الدينية في أمان ، كما يتفرغوا لأعمالهم الدنيوية بجد ونشاط^(٦) فمن أهم دعائم الأمن والسعادة التي يسعى إليها البشر أن يطمئن الناس على حقوقهم ، وأن يستقر العدل فيما بينهم ، فمن أجل ذلك أمر الإسلام بوجوب تحقيق العدل وانتشار العدالة ليضمن ويحفظ كيان الإنسان خاصة ،

(١) ينظر ، جمعة : علي، المساواة الإنسانية في الإسلام بين النظرية والتطبيق ، ، دار المعارف ، القاهرة - مصر ، ٢٠١٤ م ، ط ١ ، ص ٩ .

(٢) باقر : محسن، الحقوق والحريات من منظار علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ص ٣٤ .

(٣) ينظر ، اسماعيل : محمد، المركز القانوني للمرأة العاملة ، ص ٨٥ .

(٤) ينظر ، محمد : عصام، المساواة بين الرجل والمرأة، ص ٣٧ .

(٥) كاظم : أمل، المساواة بين الرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم دراسة تفسيرية - موضوعية ، ص ٤١٧ .

(٦) رشيد : عباس محمد، العدل وعدم الظلم في القرآن الكريم - دراسة موضوعية ، ص ٧١٣ .

والمجتمع البشري عامة ، باعتباره قيمة عالية تنصدر كل القيم التي يدعو إليها
الاسلام^(١)

٢- الشمولية : يقول محمد قطب : ((فهي قبل كل شيء عدالة إنسانية شاملة لكل جوانب
الحياة الإنسانية ومقوماتها ، وليست مجرد عدالة اقتصادية محدودة . وهي اذن تتناول
جميع مظاهر الحياة وجوانب النشاط فيها ، كما تتناول الشعور والسلوك ، والضمان
والوجدانات . والقيم التي تتناولها هذه العدالة ليست القيم الاقتصادية وحدها ، وليست
القيم المادية على وجه العموم . إنما هي هذه ممتزجة بها القيم المعنوية والروحية جميعاً
((^(٢)

٣- الثواب الجزيل : حيث وردت الكثير من الآيات القرآنية التي تبين ثواب هذا الخلق ، بأن
فاعله يحبه الله ، وحب الله على عباده أعلى مراتب الثواب . ولذلك لقب النبي محمد
(صل الله عليه واله وسلم) بحبيب الله لأنه كان في أعلى المراتب على سائر الخلق .^(٣)
٤- إن العدل في التشريع القرآني له قيمة حية ، وله أبعاد إنسانية راقية ، فليس هو مجرد
شعار للمزايدة الفارغة ، والخداع الإعلامي للعقول ، لهذا تعددت مجالات العدل في
التشريع القرآني ؛ كالعدل في الأمور العائلية ، والأمور المالية ، و...غيرها.^(٤)

المطلب الثاني : أنواع العدل

لا يختص العدل في شيء معين لأن الإنسان يجب أن يكون عادلاً في كل تصرفاته ، سواء في
أقواله أو أفعاله ، فما سندرسه هنا هو مجموعة لأنواع العدل حسب ما جاء في القرآن الكريم من
غير الإعتداد على سائر الدعوة السرية فقط .

١- العدل في القول : حيث قال تعالى في كتابه ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾^(٥)

(١) ينظر ، حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية في ضوء مصدريها القرآن والسنة، ص ٥١١-٥١٢.

(٢) سيد قطب: ابراهيم حسيم ، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص ٢٦.

(٣) شذرة : عباس، العدالة في تصور القرآن، ص ١٣٥.

(٤) ينظر ، منصور : سيف ، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، ص ٨٨.

(٥) سورة الأنعام ، من الآية ١٥٢.

ففي الآية أمر من الله تعالى بأن يقول الناس العدل ((فقولوا الحق بينهم ، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا ولو كان الذي يتوجه الحق عليه والحكم ذا قرابة لكم))^(١) وقول الحق يجب أن يكون مع الجميع وفي كل الحالات ، فيحرم الدفاع عن الأقارب بقول غير العدل ^(٢) فالآية واضحة في بيان الوجوب بالعزم على قول العدل ((وليس المراد العدل بعد القول ، ولكن قبله ، يعزم على أن لا يقول إلا عدلاً))^(٣) .

وذهب بعض المفسرين إلى أن اختصاص هذه الآية بالقول ، لأن من كان عادلاً في أقواله ، كان عادلاً في أفعاله ، وذلك من أكثر الدواعي إليه ^(٤) فالآية تبين أهمية قول العدل لأن ذلك يدخل في مدارك كثيرة ((معناه : إذا شهدتم أو حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم ، وإن كان المقول عليه ، أو المشهود له ، أو عليه ، قرابتك ، وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقارير ، والشهادات ، والوصايا ، والفتاوى ، والقضايا ، والأحكام ، والمذاهب ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر))^(٥)

٢- العدل في الحكم : حيث أمر الله تعالى بالعدالة في الحكم حيث قال : ﴿وَإِذَا

حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾^(٦)

فالخطاب موجه إلى الولاة المختصين بإصدار الأحكام ، حيث أمرهم أن يحكموا بالإنصاف والسوية ولا يميزوا بين شخص وآخر في إصدار الأحكام^(٧) حيث يقول مغنية (ت: ١٤٠٠هـ) : ((أما عدل القاضي فيتمثل في مساواته بين الخصمين في كل شيء ، وإعطاء كل ذي حق حقه

(١) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١١٤/٨ .

(٢) الرازي : ابن أبي حاتم ، تفسير القرآن العظيم ، ١٤٢١/٥ .

(٣) الجصاص : أحكام القرآن ، ، ٤٨١/١ .

(٤) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣١٩/٤ .

(٥) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ١٩٤/٤ .

(٦) سورة النساء ، من الآية ٥٨ .

(٧) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٨٨/٢ .

بصرف النظر عن دينه وعقيدته ، وصداقته وعداوته ، وعظمته وضعته ، وما عرف التاريخ
شريعة اهتمت وتشددت في ذلك كالشريعة الاسلامية))^(١)

وإن الإتصاف بصفة العدل تحتاج الى قوة وشجاعة حيث يقول أحد العلماء : ((وهو يتوقف على
الكمال في القوة العقلية . واتصافها بغاية العلم ونهاية المعرفة وتمييزها بين الحق والباطل ، وعلى
الاستقامة في القوة الغضبية ، وعدم ميلها إلى جهة الإفراط والتفريط لأن جهة التفريط توجب
العجز عن إقامة الحدود وإجراء الأحكام ، وجهة الإفراط توجب ارتكاب الظلم والجور . وتلك
الاستقامة هي الشجاعة المعدودة من الأخلاق الحسنة))^(٢)

فالحياة لا تستقيم من غير عدل ، لأنه أداة للتوازن والمساواة ، وهو حمة للحق ، فكل من ساند
الحق فهو عادل ، وكل من وقف ضده فهو باغ وباطل^(٣) فالعدل يمثل أساس المجتمع الصحي
والسليم ، فالمجتمع سواء كان مادياً أو إلهياً لا يستقيم إلا من خلال العدل ، ومن ثم فإن
الأحكام تلازم التصادمات والمنافع الشخصية ، فالحل الوحيد هو حكومة عادلة ومنصفة تمحي
كل أنواع التمييز الظالم عند اصدار الأحكام^(٤) ووردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها رواية
الصدوق (ت: ٣٨١ هـ) ((وروى معلى بن خنيس عن الصادق (عليه السلام) قال : " قلت له :
قول الله عز وجل ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ
تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾^(٥) قال : على الامام أن يدفع ما عنده إلى الامام الذي بعده ، وأمرت الأئمة أن
يحكموا بالعدل ، وأمر الناس أن يتبعوهم "))^(٦).

(١) مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف ، ٣٥٧/٢ .

(٢) المازندراني : محمد صالح ، شرح أصول الكافي ، ٨٤/٦ ، باب أن الإمام (عليه السلام) يعرف الإمام
الذي يكون من بعده وأن قول الله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ إلى أهلها ، فيهم
عليهم السلام (نزلت ، حديث ١ .

(٣) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير المبين ، ص ١١٠ .

(٤) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ٢٨٥/٢ .

(٥) سورة لنساء ، من الآية ٥٨ .

(٦) الصدوق : محمد بن علي ، من لا يحضره الفقيه ، (ت: ٣٨١ هـ) ، ، ٣/٣ ، باب من يجوز التحاكم
إليه ومن لا يجوز ، حديث ٣٢١٧ .

٣- العدل في الشهادة : فقال تعالى في محكم كتابه الشريف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ

بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ

﴿١﴾

فمن الشروط التي أمر بها الله تعالى عند الشهادة هو شرط العدل ، فلا تُقبل شهادة الشاهد إلا إذا كان معروفاً بتلك الصفة^(١) فالشاهد العادل يُعرف هنا من خلال كونه لم يرتكب الذنوب الكبيرة الموبقة للدين ((فاشترط كون الشاهدين ذوي عدل منهم مفاده كونهما ذوي حالة معتدلة متوسطة بالنسبة إلى مجتمعهم الديني ، وأما بالقياس إلى المجتمع القومي والبلدي فالإسلام لا يعبأ بأمثال هذه الروابط غير الدينية ، وظاهر أن محصل كونهما على حالة معتدلة بالقياس إلى المجتمع الديني هو كونهما ممن يوثق بدينه غير مقترفين ما يعد من المعاصي الكبيرة الموبقة في الدين)^(٢) ، فإن مسألة حفظ الحقوق وتحقيق العدالة الاجتماعية تُعتبر من المسائل المهمة التي ركز عليها الإسلام ، وهذه الآية خير دليل في حفظ حقوق ورثة الميت^(٣) .

ووردت عدد من الأحاديث تلصق صفة العدل برسول الله محمد (صل الله عليه وآله وسلم) ، وأهل بيته الأئمة (عليهم السلام) ((محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد ، عن ابن فضال ، عن ابن بكير ، عن زرارة قال : سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : ﴿حُكْمٌ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٤) قال : العدل رسول الله (صل الله عليه وآله وسلم) والامام من بعده ثم قال : هذا مما أخطأت به الكتاب))^(٥) . كما وردت آيات أخرى تؤيد المعنى الذي ذكرناه مثل قوله تعالى : ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾^(٦)

(١) سورة المائدة ، من الآية ١٠٦ .

(٢) ينظر ، الجصاص : أحكام القرآن، ١/٦١٥ .

(٣) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ٦/٢٠٦ .

(٤) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤/١٧٧ .

(٥) سورة المائدة ، من الآية ٩٥ .

(٦) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ، ٤/٣٩٧ ، (باب نوادر ، حديث ٣) .

(٧) سورة الطلاق ، من الآية ٢ .

٤- العدل في الكتاب : حيث ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ

بِالْعَدْلِ﴾^(١)

وتبين الآية شرطاً من شروط كاتب العقود بشكل عام ، وإن كانت مختصة بالدين ، لكنها تبين وجوب وجود صفة العدالة في الكتاب ، فمعنى كاتب بالعدل : ((يعني بالحق والانصاف في الكتاب الذي يكتبه بينهما ، بما لا يحيف ذا الحق حقه ، ولا يبخسه ، ولا يوجب له حجة على من عليه دينه فيه بباطل ، ولا يلزمه ما ليس عليه))^(٢). وما يبين دلالة الآية على عمومية الكتاب هو قول الجصاص (ت: ٣٧٠ هـ) : ((فيه أمر لمن تولى كتابة الوثائق بين الناس أن يكتبها بالعدل بينهم ، والكتاب وإن لم يكن حتماً فإن سبيله إذا كتب أن يكتب على حد العدل والاحتياط والتوثق من الأمور التي من أجلها يكتب الكتاب ، بأن يكون شرطاً صحيحاً جائزاً على ما توجبه الشريعة وتقضيها))^(٣).

فجاء هذا الأمر إلى الكتاب ليضمن حق الناس ، خاصة وإن الكتاب في ذلك الوقت كانوا قليلون ، فكانت الآية ضمان لحقوق الناس^(٤) ،

المطلب الثالث : العدل والمساواة في سور الدعوة السرية

احتوت سور الدعوة السرية على الكثير من الآيات التي تتضمن العدل والمساواة ، ولا شك في هذه الكثرة يفهم منها قيمة العدل والعدالة ، وما له من أثر كبير في المجتمعات ، فجاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو إلى العدل ، وأن بينا ذلك سابقاً في مبحث الحقوق ، أما هنا فسنقوم بأخذ آيات أخرى للعدالة والمساواة .

^(١) سورة البقرة ، من الآية ٢٨٢ .

^(٢) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٦٢/٣ .

^(٣) الجصاص : أحكام القرآن ، ، ٥٨٧/١ .

^(٤) ينظر ، السمرقندي : أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، ، ٢١٠/١ .

١- قوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُوا وَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾^(١)

فمعنى قوله تعالى ﴿ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ هو الحكم بالعدل دون الميل لطرف دون الآخر ، وعدم الإسراف بالحكم^(٢) وهذا ما أكدته الطبرسي حيث قال : (ت : ٥٤٨ هـ) : ((أي : ولا تجر علينا في حكمك ، ولا تجاوز الحق فيه بالميل لأحدنا على صاحبه .))^(٣) فالآية تبين قيمة حق العدل للناس في الحكم بين الناس والدليل أنه عبر عن العدل بالحق ، وهذا ما نراه من ترابط الآيات حيث معنى قوله ﴿ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ هو أي دلنا إلى وسط الطريق الذي هو طريق الحق^(٤) ، ثم عُبر عن هذا الحق بالعدل ((ودلنا على الوسط العدل من الطريق))^(٥) ، فنتبين أهمية هذا النوع من الحقوق من خلال هذه الآية التي تُبين طلب الحكم بالعدل^(٦)

وفي الأخير نقول أن الحق العدل هو من الحقوق التي يجب تطبيقها على الناس ، وهذه الآية التي نزلت في فترة بداية الإسلام كانت موجهة للناس للتعامل على أساس هذا الحق ، وللتعامل على أساس هذا الحق يجب الرجوع الى الاحكام الإلهية لإستلها المبادئ الصحيحة لتطبيق هذا الحق ((الحكومة الوحيدة التي تستطيع تطبيق الحق والعدالة ، هي الحكومة التي تستلهم أفكارها ومعتقداتها من المبادئ الإلهية ، والتي تقول إن الباري عز وجل لم يخلق العالم عبثا وإنما خلقه لأهداف وأغراض معينة ، كي تسير الحكومات وفق تلك الأهداف ، وإذا كان العالم الإلحادي قد وصل اليوم إلى طريق مسدود في شؤون الحكم والحرب والسلام وفي الاقتصاد والثقافة ، فالسبب

(١) سورة ص ، الآية ٢٢ .

(٢) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥٥٢/٨ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان، ٣٥٢/٨ .

(٤) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر، ١٦١/٩ .

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ١٩٢/١٧ .

(٦) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٣٧٣/٦ .

الرئيسي يكمن في ابتعادهم عن هذا الأمر ، ولهذا فإن أسس حكوماتهم تقوم على الظلم والتسلط ، فكم تكون الدنيا موحشة ورهيبة إذا أصبحت تدار وفق هذا النوع من التفكير العشوائي!!^(١) .

٢- قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾^(٢) وردت هذه الآية وهي تبين أمر الله تعالى بالعدل ، حيث إن لفظة القسط تدل على العدل ، فيقال أقسط يقسط أي أعدل^(٣) ، أما تفسير الآية فيقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) : ((يقول تعالى ذكره لنبيه : قل يا محمد لهؤلاء الذين يزعمون أن الله أمرهم بالفحشاء كذبا على الله : ما أمر ربي بما تقولون ، بل أمر ربي بالقسط يعني : بالعدل))^(٤) وإلى هذا المعنى ذهب السمرقندي (ت: ٣٨٣ هـ) فيبين أن معنى القسط في الآية الكريمة هو العدل وفعل الصواب^(٥) وأن خالفهم السلمي (ت: ٤١٢ هـ) ، في تفسيره للقسط حيث قال : ((أمر بحفظ السر وعلو الهمة وأن يرضى بالله عوضا عما سواه))^(٦) أما الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) فيبين أن القسط في القرآن الكريم على معنيين ، الأول بمعنى العدل إذا كان إلى جهة الحق ، وقد يأتي بمعنى الظلم والجور إذا كان مع الباطل^(٧) كقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ

فَكَانُوا لِحَبَّتِهِمْ حَطَبًا ﴾^(٨)

٣- قوله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُوا بِالْقِاسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^(٩) فالقسطاس هنا معناه العدل والسواء^(١٠) فيقول الطبري (ت: ٣١٠ هـ) في معنى الآية : ((وقضى

^(١) الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٤/٤٩٧.

^(٢) سورة الأعراف ، من الآية ٢٩ .

^(٣) ينظر ، المصطفوي : حسن، التحقيق في كلمات القرآن ، ، ٩/٢٥٨ .

^(٤) الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٨/٢٠٣ .

^(٥) ينظر ، السمرقندي: أبو الليث، تفسير السمرقندي ، ١/٥٢٦ .

^(٦) السلمي : محمد بن الحسين ، تفسير السلمي ، ، ١/٢٢٦ .

^(٧) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٤/٣٨٣ .

^(٨) سورة الجن ، الآية ١٥ .

^(٩) سورة الأسراء ، الآية ٣٥ .

^(١٠) ينظر ، التيمي : معمر (ت: ٢١٠ هـ) ، مجاز القرآن، ٢/٩٠ .

أو زنوا أيضا إذا وزنتم لهم بالميزان المستقيم ، وهو العدل الذي لا اعوجاج فيه ، ولا دغل ، ولا خديعة^(١)

ويبين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) أهمية تحقيق العدل في مورد الآية الكريمة فيقول : ((لما فيهما من رعاية الرشد والاستقامة في تقدير الناس معيشتهم فان معاشهم تقوم في التمتع بأمثلة الحياة على أصلين اكتساب الأمثلة الصالحة للتعلم والمبادلة على الزائد على قدر حاجتهم فهم يقدرون معيشتهم على قدر ما يسعهم أن يبذلوه من المال عينا أو قيمة ، وعلى قدر ما يحتاجون إليه من الأمثلة المشتراة فإذا خسروا بالتطفيف ونقص الكيل والوزن فقد اختلت عليهم الحياة من الجهتين جميعا ، وارتفع الامن العام من بينهم .^(٢)

فالآية الكريمة تبين حكماً مهماً إلا وهو وجوب العدل في الوزن ، ورعاية حقوق الناس^(٣)، وورد في القرآن الكريم ما يؤيد هذا المعنى لكن بغير محل البحث - بغير سور الدعوة السرية- مثل قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾^(٥). أما فيما يخص المساواة ، فعلى الرغم من أننا بينا في بداية البحث بأن المساواة جزء من العدل ، إلا أن هناك عدد من الآيات القرآنية التي بينت المساواة مثل:-

١- قوله تعالى ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ

^(١) الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠٨/١٥.

^(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ٩١/١٣.

^(٣) ينظر ، الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ناصر مكارم الشيرازي ، ٤٧٩/٨.

^(٤) سورة النساء ، من الآية ٣٥.

^(٥) سورة المائدة ، من الآية ٨.

الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِنَسْكُوتِ فِيهِ وَلِنَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَفْرُقْ

بين الكافرين والمسلمين في النعم العامة التي أنعم بها على الناس أجمع ، فلم يفرق الله تعالى بين الناس في نعمتي تعاقب الليل والنهار ^(٢) فلا شك في أَنَّ المساواة في المصالح العامة هي صفة من صفات الله تعالى ليتم شكره ((أن العيش لا يصلح إلا بالليل والنهار فأخبر عن صنعه لمصلحة الخلق ليذكروه ويوحده ويعبدوه)) ^(٣)

فإنه القادر على كل شيء كان باستطاعته أن يفرق بين المؤمن والكافر ، وأن يختص برحمته للمؤمنين فقط ، لكن الله تعالى اعتمد مبدأ المساواة في انزال رحمته على الجميع وأن تختص بالمؤمن في يوم الآخرة ((وهذا رحمة من الله للمؤمن والكافر ؛ فأما المؤمن فتتم عليه رحمة الله في الدنيا والآخرة ، وأما الكافر فهي رحمة له في الدنيا ، وليس له في الآخرة نصيب)) ^(٤)

٢- قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ

وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ ^(٥)

فتدل الآية الكريمة على المساواة من حيث إِنَّ الله تعالى عندما أنعم ، أنعم على جميع خلقه بما فيهم الكفار ^(٦) فمعنى كرمنا هو ((هم بالنطق والعقل والتمييز والصورة الحسنة والقامة المعتدلة ، وتدبير أمر المعاش والمعاد ، وبتسليطهم على ما في الأرض ، وتسخير سائر الحيوانات لهم)) ^(٧) ومعنى قوله تعالى ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ هو جعلنا لهم الرطب واليابس ، ورزقناهم من جميع الثمرات في الأرض ^(٨) ومعنى قوله تعالى : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ هو ((ليس من دابة ولا طائر إلّا

(١) سورة القصص ، الآية ٧٠-٧٣.

(٢) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٢٥/٢٠.

(٣) السمرقندي: أبو الليث، تفسير السمرقندي، ٦١٧/٢.

(٤) ابن زنين : محمد بن عبد الله ، تفسير ابن زنين ، ٣٣٢/٣.

(٥) سورة الأسراء ، الآية ٧٠.

(٦) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٥٠٣/٦.

(٧) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٣٨٥/٢.

(٨) ينظر ، الحويزي : عبد علي (ت: ١١١٢ هـ) تفسير نور الثقلين ، ١٨٧/٣.

وهي تأكل وتشرب بفيها ، ولا ترفع بيدها إلى فيها طعاما ولا شرابا غير ابن آدم ، فإنه يرفع إلى فيه بيده طعامه ، فهذا من التفضيل .))^(١)

فهذه النعم التي ذكرناها سابقاً لم تكن بداية للمؤمنين فقط ، بل كانت للكافرين أيضاً ، فهذا يدل أن الله تعالى لم يظلمهم بل كان عادلاً معهم من خلال تساويهم بالنعم مع الذين آمنوا به ، لكنهم كانوا ظالمين مع أنفسهم بعبادة غير الله تعالى^(٢) .

^(١) القمي : محمد رضا، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، ٤٥٠/٧ .

^(٢) ينظر ، الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ١٨٤/٨ .

الفصل الرابع :

خصائص ومميزات القيم الإسلامية

المبحث الأول : القيم الربانية

المبحث الثاني: القيم العالمية

المبحث الثالث : القيم الإنسانية

المبحث الرابع : القيم الوسطية

المبحث الخامس: القيم التكاملية

المبحث السادس : القيم الواقعية

توطئة :

لا شك في أنّ ما أمر به الله تعالى من تكاليف تتميز بمجموعة من المميزات والخصائص ، لأنها أوامر إلهية نزلت من عند مَنْ لا يخطأ ، خالق الأرض والسموات ، لهذا فإنّ كل القيم الإسلامية كانت لها مميزات وخصائص تميزت عنها باقي القيم الوضعية ، وهذا الخصائص والمميزات كانت بلا شك سبباً في نمو المجتمعات وتطورها ، وسبباً في إسعاد الفرد في الدنيا .

فبعد أن بينا كل القيم في الفصول السابقة ، وصلنا إلى هذا الفصل الذي يعد كنتيجة للفصول السابقة إلا وهو بيان خصائص تلك القيم التي سبق ودرسناها

ففي هذا الفصل سنقوم ببيان الخصائص التي تميزت بها القيم الإسلامية

المبحث الأول : القيم الربانية

من الخصائص التي تميزت بها القيم الإسلامية هو أنها من الله تعالى ، فالله تعالى هو الذي أمر بكل تلك القيم الإنسانية التي من شأنها جعل الفرد والمجتمع سعيدين وتوصلهم إلى بر الأمان سواء في الدنيا والآخرة ، لأنَّ الله تعالى أمر بتلك القيم ثم بين ثواب العمل بها وعقاب تركها ، لهذا فإنَّ كل القيم الإسلامية تتصف بأنَّها ربانية .

من جهة أخرى فإنَّ تلك القيم الإسلامية لم تنحصر بالمسلمين أو العرب فقط ، على رغم من كونها من الله تعالى ، لأنها قيم تتميز بأنَّها عالمية ، لأنها تحاكي العقول ، فالعدل والتكافل والصدق ... يرضى بها المسلم والكافر ، فإنَّ القيم الإسلامية هي قيم عالمية وربانية .

وهذا ما سنقوم بدراسته في هذا المبحث ، حيث سنبين إنَّ من خصائص القيم الإسلامية هو أنها ربانية نزلت بأوامر الله تعالى ، وإنَّها عالمية تشمل جميع الناس

اعتمد المسلمون كل الاعتماد في إخذ امور دينهم من عدة مصادر رئيسية ، كانت من أهم تلك المصادر هو القرآن الكريم الذي يعد المصدر الأول ، والسنة النبوية المصدر الثاني ، فالقرآن الكريم هو الذي أمر بكل القيم الاسلامية ، وبيننا ذلك من خلال الآيات التي ذكرناها في كل قيمة ، إضافة إلى شرح السنة النبوية لتلك القيم وتأكيد لها .

لهذه فإن من خصائص القيم الإسلامية هو أنها ربانية المصدر والاساس وهذا ما سنبحثه في هذا المبحث .

إنَّ ما نقصده من إلهية المصدر هو ((أنها قيم إلهية ، فالله تعالى خلق آدم (عليه السلام) ونفخ فيه من روحه ، ومنه تعالى انغرست القيم في النفس الإنسانية ، وقد تجلّى ذلك في حب الإنسان للخير وبغضه للشر))^(١) فكل القيم الدينية مصدرها هما القرآن الكريم والسنة النبوية ، فهما يُعتبران الأساسين في البحث عن القيم الإسلامية^(٢) .

فمن أهم خصائص القيم الإنسانية إنها جاءت من الله تعالى ، أي أنَّ مصدرها رباني وليس وضعي ((من خصائص القيم الإسلامية انها ربانية المصدر . لأنَّ القيم الإسلامية تصدر من القرآن والسنة . القرآن كتاب الله والسنة شارحة له . كلاهما مليئة بالتوجيهات الربانية))^(٣)

وأنَّ التشريع الإلهي هو فيض قدسي ونعمة ربّانية أنزلها عزّ وجلّ لإسعاد الإنسان وتكامله ، وجعل صفوة خلقه محطاً لنزول هذا الفيض المبارك ، ابتداءً أبو الأنبياء نوح (عليه السلام) وختاماً بمحمّد حبيب الله (صلّ الله عليه وآله وسلم)^(٤) ، فإنَّ أول خصائص التصور الإسلامي ومصدرها أيضاً هي ربانية المصدر ، فهو تصور اعتقادي موحى به من عز وجل ، فهو يتميز عن الآراء الفلسفية التي ينشئها العقل البشري الناقص^(٥)

(١) عبيد : زينب حكيم، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات (دراسة تحليلية) ، ص ٣٠.

(٢) ينظر ، صوكو : سهام ، واقع القيم لدى المراهقين : دراسة ميدانية بثنائية بوحنة مسعود، ص ٤٥.

(٣) الحق : محمد أمين، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع ، ، ص ٣٣٨.

(٤) المرعشي: شهاب الدين ، (ت: ١٤١١ هـ) ، القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد ، ٦٢/١ .

(٥) ينظر ، سيد قطب : ابراهيم حسين ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، ص ٤٥.

فما تتميز به هذه القيم بهذه الخاصة أنها لا تنافي معطيات العلم وهذا ما يؤكد السيد محمد باقر الصدر (ت: ١٤٠٠ هـ) حيث يقول : ((وقد جاء هذا التطابق الرائع بين معطيات العلم الحديث وكثير من تفصيلات الشريعة وما قررته من أحكام وآداب ، دعما باهرا لموقف الشريعة وتأكيدا راسخا على إنها ربانية .))^(١)

فبالرغم من أن الثقافة الإسلامية بما تتضمنه من قيم أنسانية هي ربانية المصدر إلا أنها لا تلغي حركة الإنسان وتفكيره من خلال استخدام العقل في شتى مجال الحياة^(٢)

فالقيم الإنسانية هي عبارة عن شرائع وقوانين إلهية نزلت من أجل تنظيم أحوال الانسان الاجتماعية والشخصية^(٣)

فتتميز القيم بربانية المصدر على أنها غير معرضة للخطأ حيث يقول مغنية (ت: ١٤٠٠ هـ) : ((أن علم الإنسان عرضة للخطأ ، لأنه عبارة عن نظريات وفروض تخطئ وتصيب . وكم رأينا العلماء يجمعون على نظرية ، وإنها صحيحة مائة بالمائة ثم اكتشفوا ، أو من جاء بعدهم من العلماء أنها خطأ مائة بالمائة . . والقرآن معصوم عن الخطأ))^(٤)

فبالتالي فإن هذه قيم تتميز بأنها ثابتة لا تتغير وتشمل الجميع لأنها ربانية المصدر، حيث إن القوانين والنظم والشرائع إن كانت وضعية فهي تتغير ، لأن الواضع يتأثر بمجموعة عوامل كالبيئة والعرف والعادة ، وبالزمان والمكان أيضاً ، فلا تكون أحكامه وقوانينه ملائمة للجميع بحسب تلك المؤثرات^(٥)

^(١)الصدر : محمد باقر (ت: ١٤٠٠ هـ) ، الفتاوي الواضحة ، ص ٥٩٦ .

^(٢) ينظر ، محمد : صباح، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، ص ٦٨٩ .

^(٣) ينظر ، الخراساني : وحيد، منهاج الصالحين، ١/٥٤٠ .

^(٤)مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ١/٤٠ .

^(٥) ينظر ، علي : محمد، تاريخ الفقه الإسلامي، ص ١٣ .

وأن كانت كذلك فهي تتميز بالاستمرارية أيضاً لأنها عبارة عن قيم موضوعية ، أي أنها من جاءت بأوامر إلهية، حيث إن الإنسان لا يستطيع من تلقاء نفسه أن يبني لحياته نظاماً صالحاً ، ولا يمكنه أن يؤسس منظومة قيمية تساعد على أداء دوره الاجتماعي في الأرض ^(١)

من هنا يتضح لنا أن الإسلام قد وضع قواعد نظرية أخلاقية متكاملة تقود إلى الفضائل في أحسن ما تكون عليه، وهذا الأمر نابع بطبيعة الحال من غاية رسالة الإسلام التي هي رحمة للعالمين ^(٢)

فلقد حدد الإسلام القيم الأخلاقية السلمية والفضائل النبيلة التي يجب على أي فرد أو جماعة أو مجتمع الالتزام بها، وبعد هذا الهدي المحدد للقيم الأخلاقية يصبح واجب المفكرين والمصلحين الاجتهاد في شرح وتفصيل تلك القواعد، ودعوة الناس الى الالتزام بما شرعه الله لعباده وبما جاء في سيرة الرسول الكريم ^(٣) حيث أن ما يصدر من القرآن الكريم والسنة لا يتعلق فقط بالأمور العبادية ، بل يشمل كل ما له علاقة وارتباط بحياة المسلمين من معاملات ، وإخلاق فاضلة التي تعد أساس القيم الدينية كلها ^(٤)

وما يدل على ربانية تلك القيم ، هو الآيات التي دلت على ربانية كل شيء

١- قوله تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

لِّلْمُسْلِمِينَ ۝ ﴾ ^(٥)

يقول الجصاص (ت: ٣٧٠ هـ) : ((تبيان كل شيء من أمور الدين بالنص والدلالة ، فما من حادثة جليلة ولا دقيقة إلا والله فيها حكم قد بينه في الكتاب نصاً أو دليلاً)) ^(٦) فهذا القول يبين أن

^(١) ينظر ، صوكو: سهام ، واقع القيم لدى المراهقين : دراسة ميدانية بثنائية بوحنة مسعود ، ص ٤٦ .

^(٢) ثابت : خولة، مصادر القيم في الفكر الإسلامي ، عابد الجابري - نموذجاً ، ص ١٦ .

^(٣) احمد : موزة، القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة ، ص ١١٧ .

^(٤) عليلي : محمد، مراتب القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط ، ص ١٦٠ .

^(٥) سورة النحل ، من الآية ٨٩ .

^(٦) الجصاص : أحكام القرآن ، ، ٢٤٦/٣ .

كل ما في حياتنا - وبضمنها القيم - هي جاءت بأمر بالله تعالى ، بهذا يقول ابن العربي (ت : ٦٣٨ هـ) بأنه الآية تعني تبياناً لحقية كل شيء ^(١)

٢- قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٢)

يقول الطبري (ت : ٣١٠ هـ) : ((يقول تعالى ذكره : وما من مكتوم سر وخفي أمر يغيب عن أبصار الناظرين في السماء والأرض إلا في كتاب وهو أم الكتاب الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من لدن ابتداء خلق خلقه إلى يوم القيامة)) ^(٣)

فهذه آية من الآيات التي تبين أن كل الشرائع والأحكام ربانية المصدر بما أنها مذكورة جميعاً في القرآن الكريم ^(٤) فبالتالي أن كل ما بيناه من القيم إنما هي كانت بأوامر الهية موجودة في القرآن الكريم

٣- قوله تعالى : ﴿ مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ^(٥)

يقول الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) : ((ما قرطنا في القرآن من شيء يحتاج إليه في أمور الدين والدنيا الا وقد بيناه إما مجملاً أو مفصلاً ، فما هو صريح يفيد لفظاً ، وما هو مجمل

بينه على لسان نبيه وأمر باتباعه)) ^(٦) فإن الله تعالى قد ذكر في كتابه الكريم كل الأعمال والأرزاق والآجال ، فكل ما نفعه هو موجود في كتابه الكريم ^(٧)

فإن كانت جميع الأعمال مذكورة في القرآن الكريم ، فهذا يعني بأن كل القيم مصدرها رباني مذكورة ومأمور بها في القرآن الكريم فورد عدد من الأحاديث التي تؤكد ذلك منها.

^(١) ينظر ، ابن عربي : تفسير ابن عربي ، ، ٣٨٨/١ .

^(٢) سورة النمل ، الآية ٧٥ .

^(٣) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ١٤/٢٠ .

^(٤) ينظر ، البروجردي : حسين ، تفسير الصراط المستقيم ، ٩/٢ .

^(٥) سورة الأنعام ، من الآية ٣٨ .

^(٦) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ١٢٩/٤ .

^(٧) ينظر ، الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفاسير ، ٣٨٨/٢ .

و وردت عدد من الأحاديث التي تبين مصدرية كل شيء الله تعالى

١- وعن أبي جعفر عليه السلام : ((إنَّ الله لم يدع شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا أنزله في كتابه وبينه لرسوله ، وجعل عليه دليلاً عليه ، وجعل على من تعدى ذلك الحدَّ حدًّا))^(١)

٢- وفي الكافي عن الامام الصادق عليه السلام : ((إنَّ الله أنزل في القرآن تبيان كلِّ شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد ، حتى لا يستطيع عبد أن يقول : لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه))^(٢)

المبحث الثاني: القيم العالمية

من المميزات التي امتاز بها الإسلام بأحكامه وشرائعه هو عالميته ، حيث أنه لم يكن للمسلمين فقط ، بل أنَّ خطابه كانت تشمل الجميع ، وذلك يشمل كل القيم الإنسانية التي أمر بها الإسلام ، فهي لم تكن دعوى للمسلمين فقط للإلتزام بها ، بل أن ما أمر به الله تعالى في كتابه الكريم من قيم كانت دعوة عالمية تفيد الجميع .

وهذا ما سنبينه في هذا المبحث ، فحيث أن الاسلام امتاز بعالميته فبالتالي تمتاز القيم بالعالمية أيضاً .

أولاً عالمية الإسلام وقيمه : إنَّ المقصود من عالمية الإسلام هو أنَّ الرسالة الإسلامية ((جاءت لجميع الناس في العالم دون استثناء على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأجناسهم وثقافتهم ولغاتهم ، وخطاب الإسلام جاء لجميع النَّاس ، ولا يقتصر هذا الخطاب على قوم دون قوم ، فهذه الرسالة وإنْ نزلت على رجل عربي ، ولكنها ليست مختصة بالعرب))^(٣)

(١) الكليني : محمد بن يعقوب ، الكافي ، ٥٩/١ باب الرد إلى الكتاب والسنة وأنه ليس شيء من الحلال

والحرام وجميع ما يحتاج الناس إليه إلا وقد جاء فيه كتاب أو سنة ، حديث ٢.

(٢) المجلسي : محمد باقر، بحار الأنوار ، ٢٣٧/٦٥ ، باب الفرق بين الايمان والاسلام .

(٣) أشكناني : محمد، عالمية الإسلام ، ٣٦/١.

فمن ألقى نظرة - ولو كانت عابرة - على القرآن الكريم يدرك - بكل وضوح - عمومية دعوته ومنها أنه يخاطب الناس جميعا في آيات كثيرة (يا أيها الناس) أو (يا بني آدم) ويرى هدايته شاملة لجميع البشر (الناس) و (العالمين) ويرى الهدف من نزول القرآن الكريم على النبي صل الله عليه وآله وسلم هو إعلاء الإسلام وإظهاره على سائر الأديان^(١) حيث ((إن من معالم الدين الاسلامي عالميته لأنه لكلّ الناس ويخاطب الناس بإنسانيتهم ، وهذا لا يعني أنّ عالمية الرسالة والدين يكفي فيها توجيه النداءات إلى الناس أجمعين))^(٢) ومما يؤكد على عالمية الإسلام هو قيام الرسول محمد (صل الله عليه وآله وسلم) بإرسال الرسائل إلى زعماء العالم الذين كانوا خارج الجزيرة العربية ، حيث دعا كل من كسرى والنجاشي وقصير إلى الإسلام ، إضافة إلى ذلك قيام اتباعه بنشر الدعوة الإسلامية بكافة أرجاء العالم^(٣) حيث ((إن عالمية الدين الإسلامي من ضروريات هذا الدين الإلهي وحتى غير معتنقيه يعلمون بأن الدعوة الإسلامية عامة شاملة هناك الكثير من الشواهد والدلائل التاريخية التي تدل على أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد بعث الرسائل لرؤساء وملوك الدول القائمة آنذاك أمثال قيصر الروم وشاه إيران وحكام مصر والشام والحبشة ورؤساء القبائل العربية المختلفة ودعاهم جميعا لاعتناق هذا الدين المقدس))^(٤)

فبالتالي بما أن القيم التي دعا الله اليها وأمر بها تُعد جزءاً من الإسلام ، والإسلام يمتاز بعالميته ، فتكون تلك القيم تمتاز بعالميتها أيضاً

فالإسلام يختلف عن باقي الأنظمة التي تدعي بأنها عالمية ، لأنه أهتم بالقيم الإنسانية أي أنه أهتم بالجانب الروحي للإنسان ((وهناك دعوات عبّرت عن نفسها أنها عالميّة (كالرأسماليّة والشيوعيّة والاشتراكيّة) إلّا أنها لم تكن عالميّة أبداً لأنها مادّيّة كفرت بالإنسان يوم جردته من مصدر عظّمته وهو جانبه الروحي وهو مصدر إنسانيته الوحيد ، وإذا لم تكن إنسانية لم تكن عالمية بينما الاسلام : اعترف بالإنسان واعترف بالجانب الروحي له وأشبع حاجاته الروحية كما

(١) الإبراهيمي : عبد الجواد، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية ، ص ١٥٨.

(٢) الجواهري : حسن، بحوث في الفقه المعاصر ، ، ١٣١/٤.

(٣) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٧٤/١٥.

(٤) الإبراهيمي : عبد الجواد، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية، ص ١٥٨.

أشبع حاجاته الجسمية المادية ، فهو دين الإنسان المكوّن من الروح والجسم إذن هو دين عالمي . ((^(١)

وعلى هذا فإنّ كل القيم الإسلامية تتميز بأنها عالمية ، فهي عقلاً ليست منحصرة بالمسلمين ، لأن هذه القيم هي قيم ذات طابع اخلاقي يعمل بها من كان له عقل وإخلاق ((حيث لا يختلف اثنان من ذوي الالباب أن العدل حسن والظلم سيء، والصدق مزين، والبخل والشح مكروهان، والسخاء والبذل مطلوبان مهما اختلفت الملل والنحل))^(٢) وعلى هذه فتتميز القيم الإسلامية بأنها قيم عالمية لا تتحد بحدود الزمان والمكان بل هي تشمل جميع الأفراد المسلمين وغيرهم وتشمل الأماكن جميعها^(٣)

ثانيا الآيات الدالة على العالمية :

١- قوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤)

ذهب المفسرون إلى أنّ الآية تدل على أن النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) أرسل لجميع البشر حيث يقول الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) مفسراً لقوله تعالى ﴿إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ : ((ومعناه أرسلناك إلى الخلق كافة بأجمعهم))^(٥) حيث بين الله تعالى أن نبوة رسولنا الكريم هي نبوة عامة وغير خاصة بفئة دونها ، فهو رسول للعرب والعجم وكافة الأمم^(٦) حيث أن الآية تدل على الدعوة العالمية ، وأن هذه الصفة عُدت من مفاخر الرسول العظيمة^(٧)

(١) الجواهري : حسن، بحوث في الفقه المعاصر ، ، ١٣١/٤ .

(٢) الصمدي : خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية ، ص١٥ .

(٣) عبيد : زينب حكيم، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات (دراسة تحليلية)، ص ٣٠ .

(٤)سورة سبأ ، الآية ٢٨ .

(٥)الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن، ٣٩٦/٨ .

(٦) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير، ٤٤٢/٥ .

(٧) ينظر ، الشيرازي: ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل، ٤٥٠/١٣ .

فهذا يدل على أن الرسالة الإسلامية هي رسالة عالمية غير مختصة بالعرب ، وأن كانت كذلك فتكون القيم الإنسانية ذات طابع عالمي لأنها جزء من الرسالة الإسلامية .

٢- قوله تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾^(١)

يقول مجاهد جبير (ت: ١٠٤ هـ) : ((واختلف العلماء في وجوه إعجاز القرآن . وإنما إعجاز عندنا ، في رسالته العليا النافعة للناس كافة ، تدعوهم إلى وحدانية الله وتذكرهم آلاء وتهيب بهم إلى خيرهم وما فيه صلاحهم ، وسعادتهم الدنيوية والأخروية . الرسالة التي تبعث الحياة ، وتجعل القافلة الإنسانية مسرعة في سيرها إلى الصراط المستقيم ، إلى ما هو أنفع وأحسن للناس أجمعين . لأنها رسالة للعالمين إلى يوم الدين ، لا تخص أمة دون أمة ، ولا عصرا دون عصر ، ولا أرضا دون أرض))^(٢)

فالقرآن ما يتضمنه من تشريعات هو كتاب إلهي لكل الناس ، يتعظ به كل من له عقل ولب^(٣) فهذا القرآن نزل لجميع الأنس والجن ((يعني ما هذا القرآن إلا عظة للجن والإنس))^(٤) فعلى ذلك تكون القيم الإنسانية متماز بأنها عالمية ، وذلك لأنها جزء من القرآن وأنها ربانية المصدر كما بينا سابقاً ، أي فيما أن القرآن كتاب عالمي لا يختص بفئة دون غيرها تكون القيم كذلك ((وليس إلا لان القرآن كتاب عام دائم لا يتقيد بزمان أو مكان ، ولا يختص بقوم أو حادثة خاصة))^(٥)

وورد عدد من الأحاديث منها

أ- ما رواه أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١ هـ) : ((قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت خمسا بعثت إلى الأحمر والأسود وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا وأحللت لي الغنائم

(١) سورة ص ، الآية ٨٧.

(٢) بن جبير : مجاهد، تفسير مجاهد ، ١٢/١.

(٣) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٤/٢٣.

(٤) السمرقندي: أبو الليث، تفسير السمرقندي، ٥٣١/٣.

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ٣٣٩/٥.

ولم تحل لمن كان قبلي ونصرت بالرعب شهرا وأعطيت الشفاعة وليس من نبي الا وقد
سأل شفاعة واني أخبأت شفاعتي ثم جعلتها لمن مات من أمتي لم يشرك بالله شيئا ((^(١))

ب- ((حدثنا سعيد بن محمد ، عن بكر بن سهل ، عن عبد الغني ، عن موسى بن عبد
الرحمن عن ابن جريح ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قوله تعالى : " قل " يا محمد " ما
أستلکم عليه " أي على ما أدعوکم إليه من مال تعطونيہ " وما أنا من المتكلفين " يريد ما أتکلف
هذا من عندي " إن هو إلا ذکر " يريد موعظة " للعالمين " يريد الخلق أجمعين " ((^(٢))

٣- قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾^(٣)

يقول الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله أن يخاطب الخلق ،
ويقول لهم إني رسول الله أرسلني إليكم يعني إلى الناس أجمع " الذي له ملك السماوات والأرض
((^(٤)) وهذا ما تميز به الإسلام من حيث دين لكافة العالم على عكس الاديان ، حيث أن النبي
محمد (صل الله عليه واله وسلم) مبعوث إلى سائر الخلق أما باقي الانبياء فهم مبعوثون إلى
أقوامهم فقط .^(٥)

وعلى هذا فقد تميزت القوانين الإلهية الداعية إلى القيم الانسانية بانها قوانين عامة إلى كل البشر
((والقانون العالمي الوحيد الذي يصلح لحكم الحياة الإنسانية وإصلاحها ، ويسع الناس على
اختلاف الزمان والمكان هو -الشرعية الإسلامية ، فقد أراد الحق تبارك وتعالى أن يكون الدين
الإسلامي ديناً لجميع البشر ، والشرعية الإسلامية شريعة للناس كافة ((^(٦)

^(١) ابن حنبل : احمد، مسند أحمد ، ، ٤ / ٤١٦ .

^(٢) المجلسي : محمد باقر، بحار الأنوار ، ، ٩ / ٢٣٣ .

^(٣) سورة الأعراف ، من الآية ١٥٨ .

^(٤) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥ / ٥ .

^(٥) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير ، ٢ / ٦٠٩ .

^(٦) الأشقر : عمر سليمان، خصائص الشريعة الإسلامية، ص ٤٩ .

بالتالي ((عالمية الثقافة الاسلامية مستمدة في الأصل من عالمية الاسلام عقيدة وشريعة ومن عالمية كتابه ومن عالمية بعثته صلى الله عليه وآله وسلم إلى العالمين ومن عالمية حاجة البشرية إليه))^(١)

المبحث الثالث : القيم الإنسانية

توطئة : لا يختلف إثنان من اصحاب العقول السليمة على إن الإسلام قد راعى الإنسانية في كل تشريعاته وأحكامه ، ومن تلك التشريعات هو القيم الإنسانية التي أمر بها تعالى ، فنستطيع أن نقول أنه بمجرد الأمر بها يعد فعلاً إنسانياً ، وعلى هذا فإن كل تلك القيم التي أمر بها الله تعالى تتصف بأنها إنسانية تراعي الحالات الإنسانية وتحاكيها ، وهذا ما سنثبته في هذا المبحث .

لم تكن الإنسانية موجودة ومعروفة قبل ظهور الإسلام أي في عصر الجاهلية حيث يقول الاردبيلي (ت: ٩٩٣هـ) : ((هبطت رسالة الله على الأرض يحملها أعظم إنسان عرفته السماء ، فبشر بدعوته في مجتمع لم يتنفس نسمة من الحياة ، ولم يكن له بالحضارة والتربية الإنسانية عهد قريب ولا بعيد ، ولم يمت إلى المفاهيم السامية والخلق الرفيع بصلة في حاضره ولا ماضيه القريب))^(٢)

حيث إنَّ البشر يتشابهون في وطبيعتهم الإنسانية و جوهرهم الإنساني ، وهذه الطبيعة الإنسانية جُبلت وتقوت على يد بارئ حكيم^(٣)

فإنَّ القرآن الكريم يحتوي على الغاية الأسمى التي يهدف إليها الإنسانية ويبينها بأتم الوجوه ، لأن الوصول إلى الغاية الأسمى لا يمكن الا بالنظرات الواقعية للكون والعمل بالأصول الأخلاقية والقوانين العملية ، وهذا ما يتولى شرحه القرآن بصورة كاملة^(١)

(١) محمد : صباح، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، ، ص ٦٩٤.

(٢)الأردبيلي : أحمد بن محمد ، مجمع الفائدة، ٥/١.

(٣) ينظر ، الخميني : روح الله (ت: ١٤٠٩ هـ) ، روح التوحيد رفض عبودية غير الله ، ص ١٣.

بالتالي فإنَّ القرآن بالذات جامع الثقافات الصحيحة والمعرفة الصادقة ، ودعوته دعوة للحضارة الأصيلة الشاملة ، فهو ليس كتاباً روحانياً محضاً يرتل للعبادة فحسب ، بل هو نظام حياة كاملة في جميع قطاعاتها المادية والروحية ، إنه يدعو إلى العلم والعمل والتطور والنهوض ، ويربى جيل قوي العقيدة ، مستقيم الفكر ، صافى النفس متين الخلق، جديراً بحياة كلها قوة ورخاء وازدهار^(٢)

حيث أن ((الشرائع السماوية المنزلة من عند الله العليم الخبير الحكيم، وكل شريعة من هذه الشرائع منهج كامل لحياة الفرد وحياة الجماعة، وقد جاءت الشرائع السماوية، بالعقائد الصافية، والاخلاق الفاضلة، والاعمال الصالحة، ووضعت الحلول للمشكلات التي تواجه الانسانية))^(٣)

وبما إنَّ القيم جزء من القرآن الكريم أي جزء من الشرائع والأحكام فهي إنسانية أيضاً ، وهذه القيم الإنسانية تتأثر بشكل كبير في التوحيد ، لأنَّ نزول التوحيد في مقابل المجتمعات الجاهلية يحيي النفوس الهامدة وينير القلوب ، ويحدث تغييراً في القيم الإنسانية والأخلاقية^(٤)

فإنَّ ((القيم الإسلامية تحتوي كافة جوانب الإنسان وتوجهاته ، وتستوعب حياته كلها من جميع جوانبها طبقاً للتصور الاسلامي ، فتركز على سلوك الإنسان وتعمل على تقويمه ، وكذلك تقوم ببناء الانسان وجدانياً واخلاقياً واجتماعياً وعلمياً ، وتنظم علاقة الافراد ببعضهم في جو الاخوة الإنسانية والصدق والعدل والمساواة))^(٥) ، فترتبط القيم الإسلامية ارتباطاً وثيقاً بالفرد من حيث إنها تتأثر باهتمامات الفرد ميوله وبياناته وتأملاته الطبيعية ومعتقداته^(٦)

(١) الطباطبائي : محمد حسين ، القرآن في الإسلام، ص ٢١.

(٢) محمد : صباح، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها، ، ص ٦٨٥.

(٣) سليمان : عمر، خصائص الشريعة الإسلامية، ، ص ١٤.

(٤) ينظر ، الخميني : روح الله (ت: ١٤٠٩ هـ) ، روح التوحيد رفض عبودية غير الله، ص ٢٣.

(٥) ، عبد الصمد : الطيب احمد، الاساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء

التحديات المعاصرة ، ص ٦٩.

(٦) عتيق : احلام، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من المنظور الإسلامية ، ص

فإنَّ القيم الأخلاقية في القرآن الكريم لامست كل جوانب الحياة الإنسانية ، سواء كانت روحية ، أو جسمانية ، أو عقلية ، أو عاطفية ، أو دينية ، فقد رسمت تلك القيم الأخلاقية المنهج الصحيح والأمثل للسلوك الرفيع بشكل يختلف عن المناهج الأخلاقية البشرية ^(١) وبهذا فالقيم ((تتعلق بالطبيعة النفسية والسيكولوجية للإنسان التي تشمل الرغبات والميول والعواطف ، وهذه العوامل غير ثابتة لأنها تتغير من لحظة إلى أخرى ومن شخص لآخر)) ^(٢)

ثانيا : الآيات الدالة على الإنسانية :

١- قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ^(٣)

مما يدلُّ على الإنسانية في هذه الآية هو أن الله تعالى قد راعى ظروف البشر في أداء الوظائف التكليفية ، حيث إنَّ معنى قوله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ هو ((ما يتيسر عليها ويتسع فيه طوقها ، وهذا إخبار عن عدله ورحمته)) ^(٤) فمعنى الوسع هنا هو ((لوسع ما تسعه قدرة الإنسان ويدخل في وسعها ونسب الوسع إلى النفس بهذا الاعتبار والمعنى الا ما تسعه قدرتها . وقد تمجد الله بذلك دلالة على تقدسه في كماله عن العبث والقبح في التكليف بغير المقدور)) ^(٥)

فإنَّ الله تعالى رحم هذه الأمة وذلك بأنه جعل التكليف بحسب القدرة البشرية ، ومن ليس له قدرة يسقط عنه التكليف الإلهي ^(٦) وبهذا الصدد يقول الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((ومن البين أيضا أن الإنسان أنما يقول : " طاعة " فيما يقبل مطاوعة الجوارح وأدوات العمل ، فإن الإطاعة هي مطاوعة الانسان وتأثر قواه وأعضائه عن تأثير الأمر المؤثر مثلا ، وأما ما لا يقبل

^(١) ينظر ، الصلابي : علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم، ط١، ص ٤٥١.

^(٢) حنان : كبش، القيم الأخلاقية في محتوى كتاب التربية الإسلامية، ص ٣٥.

^(٣) سورة البقرة ، من الآية ٢٨٦.

^(٤) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ١/ ٢٦٠.

^(٥) البلاغي : محمد جواد (ت: ١٣٥٢ هـ) ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ١/ ٢٥٢.

^(٦) ينظر ، الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ٢/ ١٥٠.

المطاوعة كأن يؤمر الانسان ان يسمع ببصره ، أو يحل بجسمه أزيد من مكان واحد ، أو يتولد من أبويه مره ثانية فلا يقبل إطاعة ولا يتعلق بذلك تكليف مولوي))^(١)

فبالتالي إن كانت الأحكام الشرعية تأخذ الطابع الإنساني في التعامل ، فذلك يصل بنا إلى نتيجة مهمة إلا وهي بأن ما أمر به الله تعالى من قيم هي ذات طابع إنساني أيضاً خاصة وإن جميع الأحكام الشرعية تتطوي تحت هذه الآية ((لذلك يمكن القول بأن كل الأحكام يمكن تقييدها وتفسيرها بهذه الآية حيث تتحدد في إطار قدرة الإنسان ، ومن البديهي أن المشرع الحكيم والعادل لا يمكن أن يضع قانونا على نحو آخر))^(٢)

٢- قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾^(٣)

ويبين الله تعالى أنه لم يجعل على المسلمين في الدين من حرج عليهم ^(٤) وهذه آية أخرى تبين التعامل الإنساني من قبل الله تعالى على المسلمين ، فبين للمسلمين أن الإسلام وتعاليمه سهلة ليس فيها حرج عليهم ((لم يضيق الدين عليكم ، ولكن جعله واسعاً لمن دخله ، وذلك أنه ليس مما فرض عليهم فيه ، إلا ساق إليهم ، عند الاضطرار رخصة ، والرخصة في الدنيا فيها وسع عليهم رحمة منه ، إذ فرض عليهم الصلاة في المقام اربع ركعات ، وجعلها في السفر ركعتين ، وعند الخوف من العدو ركعة ، ثم جعل في وجهه رخصة أن يومئ إيماء إن لم يستطع السجود ...))^(٥)

فلو أراد الله تعالى أن يتعامل بطريقة غير إنسانية -حاشى الله تعالى - لكان قد أمرهم بفعل كل الواجبات مهما كانت ظروفهم ، لكنه جعل التكاليف بحسب طاقاتهم وقدرتهم . لهذا فإن الله جعل

^(١)الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن، ٤٤٤/٣ .

^(٢)الشيرازي: ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ٣٦٧/٢ .

^(٣) سورة الحج ، من الآية ٧٨ .

^(٤) ينظر ، الطبري : محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣٨/٨ .

^(٥)الرازي : ابن ابي حاتم ، تفسير القرآن العظيم، ٢٥٠٦/٨ .

للمسلمين دين وملة سهلة مثل ملة نبيينا ابراهيم (عليه السلام) ، فليس في الإسلام ضيق بل هو دين واسع ، كلف به الله المسلمين بحسب قدرتهم^(١)

وورد عدد من الأحاديث في معنى الآية

١- ما رواه الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) : ((أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن علي بن الحسن بن رباط عن عبد الأعلى مولى آل سام قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام عثرت فانقطع ظفري فجعلت على إصبعي مرارة فكيف أصنع بالوضوء ؟ قال : تعرف هذا وأشباهه من كتاب الله عز وجل قال الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ امسح عليه .))^(٢)

٢- روى المجلسي (ت: ١١١١ هـ) في بحار الأنوار : ((هارون ، عن ابن زياد ، عن جعفر ، عن أبيه ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : مما أعطى الله أمتي وفضلهم به على سائر الأمم أعطاهم ثلاث خصال لم يعطها إلا نبي ، وذلك أن الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبيا قال له اجتهد في دينك ولا حرج عليك . وإن الله تبارك وتعالى أعطى ذلك أمتي حيث يقول ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ يقول : من ضيق))^(٣)

المبحث الرابع : القيم الوسطية

توطئة : من الخصائص التي تميزت بها القيم الإسلامية هو إنها قيم وسطية ، فهي حالها حال باقي الشرائع التي أمر بها الله تعالى ، حيث أمر الله تعالى الوسطية في كل الأمور الحياتية ، حتى الإيمانية منها . وهذا ما سنبينه في هذا المبحث.

(١) ينظر ، السمرقندي: أبو الليث، تفسير السمرقندي، ٤٧٢/٢.

(٢) الطوسي : محمد بن الحسن ، الاستبصار، ٧٧/١ ، باب المسح على الجبائر ، حديث ٣.

(٣) المجلسي : محمد باقر ، بحار الأنوار ، ٣٠٠/٥ باب من رفع عنه القلم ، ونفى الحرج في الدين ، وشرائط صحة التكليف وما يعذر فيه الجاهل وأنه يلزم على الله التعريف ، حديث ١.

أولاً : مفهوم الوسطية ودورها في الشرائع الإسلامية :

اختلف المؤلفون في بيان مفهوم الوسطية فمنهم من ذهب بتعريفها إلى معنى العدل والاعتدال : ((إنَّ أعدل الشيء وسطه ، لأنَّ حكمه مع سائر أطرافه على سواء وعلى اعتدال))^(١) بينما ذهب بعضهم إلى أنَّ معناها الجودة : ((والوسط هنا : الخيار والأجود ، كما يُقال لقريش : أوسط العرب نسباً وداراً ، أي خيرها))^(٢)

أما المعنى الذي اختارته الباحثة وهو ما يتناسب لبحثها ((هو معنى يتسع ليشمل كل خصلة محمودة لها طرفان مذمومان ، فإنَّ السخاء وسط بين البخل والتبذير ، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور ، والإنسان مأمور أن يتجنب كل وصف مذموم ، وكلا الطرفين هنا وصف مذموم ويبقى الخير والفضل للوسط))^(٣) .

فما اريد اثباته من خلال الوسطية هو أن كل ما ذكرناه من القيم تتميز بالوسطية ، لأن الانسان مثلاً لا يمكن ان يلتزم بأيمان بشكل مفرط يؤدي إلى ترك دوره في الحياة وكذا الحال في كل القيم الإنسانية ، فما يؤكد على سبب اختيارنا لهذا التعريف من الوسطية هو تعريف آخر لها ((فالوسطية في الإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا ولم يهتم بالآخرة ، وبين من غلا في أمر الآخرة ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد ، وهكذا))^(٤)

ثانياً : الوسطية والقيم

والقيم شأنها شأن باقي شرائع الإسلام تتسم بالوسطية : ((وهذه الوسطية والعدلية ممتدة مع امتداد الأمة الإسلامية في كل عصر وزمان ، فالأمة الإسلامية في مراحل لاحقة هي أمة وسط في عقيدتها وشريعته وتطبيقها للمنهج الإسلامي ، وفي مرحلتها الراهنة حينما نقول إن الأمة الإسلامية أمة وسط أو أمة عادلة))^(٥) . إذ ((تمتاز المبادئ والقيم في التربية الإسلامية

(١) الرازي : فخر الدين (ت ٦٠٦ هـ) ، مفاتيح الغيب ، ، ٨٩/٤ .

(٢) ابن كثير : اسماعيل بن عمر ، تفسير ابن كثير ، ، ١٩٦/١ .

(٣) الصلابي : علي محمد الوسطية في القرآن الكريم ، ص ٣٧ .

(٤) التركي : عبد الله ، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة الى الله، ص ١٣ .

(٥) مركز الرسالة : الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ، ص ٣٠ .

بالوسطية والإعتدال ، فلا غلو ولا جنوح ، بل توازن واعتدال في كل الأمور الإنسان الدينية والدنيوية ((^(١)

فإنَّ الإسلام يتصف بالوسطية والاعتدال في شرائعه وأحكامه ، فمنع التهاون في الأعمال الخيرية التي تنفع الإنسان والجماعة ، وفي نفس الوقت ليس هناك تشدد أو إرهاق فما أمر من الأعمال التكليفية ، لأنَّ الإسلام دين سهل وسمح ، قليل المطالب والتكاليف ، لا إفراط ولا تفريط فيه ، ولا تجاوز فيه للضوابط و القيود الشرعية المشرعة لمراعاة مصالح الناس ومنافعهم^(٢) .

فهذا يؤكد بأنَّ القيم تتسم بالوسطية ، لأنَّه إن كانت من مميزات الدين الإسلامي التوسط والاعتدال ، فمن مميزات القيم التوسط والاعتدال ايضاً لأنها جزء من الدين ((من مميزات الإسلام التي لا تُعدُّ ولا تُحصى التوسط والاعتدال في كل شأن من الشؤون ومن مزاياه الرحمة والحكمة والصبر وسائر الأخلاق الكريمة ... والإسلام فيه اعتدال وفيه توسط في عقائده ومناهجه و شرائعه وأحكامه ، وما رسمه من أخلاق))^(٣)

فبالتالي فإنَّ كل قيمة أخلاقية وإنسانية تتميز بأنَّ من خصائصها الوسطية فمثلا فيما يخص قيمة التكافل المادي التي ذكرناها سابقاً نقول : ((هذا لا يعني أنْ ينفق الإنسان من المال دون حساب ، لكي يكون سخياً محموداً ، كلا ، فإنَّ للإنفاق حد ، إذا جاوزه أصبح إسرافاً ، وهو مذموم))^(٤) حيث إنَّ الله تعالى قد أمر أن تكون علاقة الفرد بالمجتمع علاقة معتدلة في اداء الألفة والرحمة ، وترك الغلو والمغالاة والافراط والتفريط في تلك العلاقات الإنسانية^(٥)

وهناك من ذهب إلى أنَّ ما يدل على وسطية القيم هو أنَّ القيم الأخلاقية قد راعت الظروف الاستثنائية التي تمر على المسلمين كالحروب مثلاً ، فيستطيع المسلم فعل ما لا يستطيع فعله في السلم كحرق الأشجار وهدم المباني ، اضافة إلى ذلك فإنَّ ما يدل على وسطية تلك القيم هو

(١) جميل : محمد، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، ص ٨٠.

(٢) ينظر ، الزحيلي: وهبة، التفسير الوسيط ، ١/٤٩٠.

(٣) عمير : ربيع بن هادي، وسطية الإسلام ، ص ٧.

(٤) محمد : فريد، الوسطية في الإسلام : مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها ، ص ٢٩٨.

(٥) ينظر ، بخاري: عبد الغفار، فقه الوسطية عند الصحابة في العلاقات الإجتماعية، ص ١٤١.

أن الله تعالى قد جعل أمهات وأصول تلك القيم واضحة في ذهن المسلمين فحث على الفضائل ونهى عن الرذائل^(١)

لكن فيما يخص دليله الأول فهذا يدل على مرونة تلك القيم وليس على وسطيتها ، أما في الدليل الثاني فهو يدل على الوسطية من حيث أن تعالى عندما أوضح للمسلمين الفضائل والرذائل من القيم فيتوجب على المسلم اختيار القيم الفضيلة التي يستطيع فعلها .

وورد عدد من الآيات التي تدل على وسطية الشرائع :

١- قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾^(٢)

وأن معنى الأمة في الآية الكريمة هو ((خطاب لجميع الأمة : أولها وآخرها ، من كان منهم موجودا في وقت نزول الآية ومن جاء بعدهم إلى قيام الساعة))^(٣) أما معنى قوله تعالى { وَسَطًا } فهو التوسط بين الغلو والتقصير^(٤) وهذا ما امتاز به الدين الإسلامي عن بقية الأديان ((يعني الذي ليس فيه غلو ولا تقصير . وذلك دين الإسلام ؛ لأن النصارى غلوا في دينهم ، واليهود قصرُوا . وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط))^(٥) فالمسلمون لم يفعلوا مثل النصارى عندما غلو وجعلوا النبي عيسى (عليه السلام) إلهاً لهم ، ولم يقصروا مثل اليهود حينما اتهموا مريم بأنها زانية وابنها عيسى (عليه السلام) بابن زانية^(٦)

ويبين الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ) معنى الوسطية في الآية فيقول : ((خيارا وهى صفة بالاسم الذي هو وسط الشئ ، ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، ونحوه قوله عليه

(١) ينظر ، الصلابي : علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم ، ، ص ٤٦٥ .

(٢) سورة البقرة ، من الآية ١٤٣ .

(٣) الجصاص : أحكام القرآن ، ، ١٠٨/١ .

(٤) ينظر ، الثعلبي : احمد بن محمد ، تفسير الثعلبي ، ٨/٢ .

(٥) السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ١٤٩/١ .

(٦) ينظر ، النسفي: عبد الله بن احمد ، تفسير النسفي ، ، ٧٥/١ .

الصلاة والسلام " وأنطوا الثبجة " يريد الوسيطة بين السمنية والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر))^(١)

فبالتالي نقول إذا اتصفت الأمة الإسلامية بالوسطية في كل تعاملاتها ، فلا شك في إن القيم الإسلامية تتصف بالوسطية أيضاً لأنها من تعاملات المسلمين مع بعضهم.

٢- قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا﴾^(٢)

وسبب نزول الآية يدل على الوسطية في التعامل ((فإنه كان سبب نزولها أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان لا يرد أحدا يسأله شيئاً عنده فجاءه رجل فسأله فلم يحضره شيء فقال يكون إن شاء الله ، فقال يا رسول الله أعطني قميصك وكان عليه السلام لا يرد أحدا عما عنده فأعطاه قميصه فأنزل الله ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا

مَحْسُورًا﴾ فنهاه أن يبخل أو يسرف ويقعد محسورا من الثياب))^(٣)

فالآية على الرغم من أن ظاهرها يدل على عدم البخل أو الاسراف في الأموال إلا أنها في الحقيقة لا تدل على اليد الحقيقية الجارحة لان فيها استعارة عن اليد ، وكناية عن التبذير بشكل عام^(٤)

حيث أن لليد معاني خمسة ((وأما اليد فإنها تستعمل على خمسة أوجه : أحدها - الجارحة . والثاني - النعمة . الثالث - القوة . الرابع - الملك . الخامس - تحقيق إضافة الفعل ، قال الله تعالى " أولى الأيدي والابصار معناه القوى))^(٥) .

^(١)الزمخشري : محمود بن عمر ،الكشاف ، ٣١٧/١ .

^(٢) سورة الأسراء ، آية ٢٩ .

^(٣)القمي : علي بن ابراهيم ، تفسير القمي ، ١٨/٢ .

^(٤) ينظر ، الشريف الرضي : محمد بن الحسين ، تلخيص البيان في مجارة القرآن ، ، ص ٧٤ .

^(٥)الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٥٨٠/٣ .

فالآية تنهي عن الإمساك والبخل والشح والإسراف^(١) حيث ((والمعنى : لا تكن ممّن لا يعطي شيئاً ولا يهب ، فتكون بمنزلة من يده مغلولة إلى عنقه لا يقدر على الإعطاء . وهذا مبالغة في النهي عن الشحّ والإمساك . ولا تعط أيضاً جميع ما عندك ، فتكون بمنزلة من بسط يده حتّى لا يستقرّ فيها شيء . والمقصود الأمر بالاعتصام بينهما الذي هو الكرم))^(٢)

وهذه آية أخرى تدل على وجوب التعامل بوسطية مع الآخرين ، وهي تفيد من وجه آخر بوسطية القيم الإنسانية، خاصة وإنّ قيمة التكافل الاجتماعي تتعلق بإعطاء الأموال إذا قال قائل إنّ الآية الكريمة تتعلق بالأموال.

المبحث الخامس: القيم تكاملية

امتازت الشرائع الإسلامية عن باقي الشرائع الأخرى بأنّها تتناول القضايا البشرية جميعها ، بحيث إنّ الإنسان بوجود تلك الشرائع الإسلامية لا يحتاج إلى غيرها من أجل الإستمرار في حياته ، وكذا الحال بالنسبة إلى القيم الإسلامية كونها جزءاً من تلك الشرائع ، فهي تمتاز بأنّها تتناول كل القضايا الإنسانية . وهذا ما سنحاول أن نبينه في هذا المبحث.

((تمتاز الشرائع بأنها لم يبق موضوع إلا وتناولته تشريعاً وتقنياً ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الشريعة الإسلامية ليست وليدة الفكر البشري المتناهي وإنما هي أثر العلم والقدرة الواسعين غير المتناهيين))^(٣).

ووصية النبي (صل الله عليه واله وسلم) إلى معاذ بن جبل عندما ولاه على أحد البلدان ، تبين تلك التكاملية : ((يا معاذ علمهم كتاب الله وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة ، وانزل الناس منازلهم - خيرهم وشرهم - وانفذ فيهم أمر الله . . . وأمت أمر الجاهلية إلا ما سنه الاسلام ،

(١) المصدر السابق ، ٦/٤٧٠ لا يصح

(٢) الكاشاني : فتح الله ، زبدة التفسير ، ٤/٢٨.

(٣) البهقي: قطب الدين (ت: ق ٦) ، إصباح الشيعة بمصباح الشريعة، ص ٤.

وأظهر أمر الاسلام كله ، صغيره وكبيره ، وليكن أكثر همك الصلاة فإنها رأس الاسلام بعد
الاقرار بالدين ، وذكر الناس بالله واليوم الآخر واتبع الموعظة))^(١)

فبالتالي ((يتميز الفكر الإسلامي عن غيره من الأفكار الفلسفية الأخرى باتصافه (بالتكاملية)
التي هي أعلى وأكمل من الشمولية التي أخذت بعض الأفكار الفلسفية بإطلاقها))^(٢)

لهذا فإن الشرائع الإسلامية فهي قد راعت كل الظروف الاجتماعية والنفسية والسياسية والعادات
والثقافات التي كان يعيشها الإنسان سابقا في العصر الجاهلي ، ولم تكن تلك الشرائع والأوامر
الهيبة بعيدة لو غير متصلة ومقتربة بتلك الظروف بل كانت تحاكيها جميعها^(٣)

وبسبب تلك الكمالية في الشرائع - من ضمنها القيم الانسانية - أصبح المسلمون أعلم من
غيرهم في كافة المجالات ((فصارت الشريعة الإسلامية كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في
السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ، وصار المسلمون مراجع في الكلام والعقيدة ، وأساتذة
في الأخلاق وعباقة العلوم ، وعلماء شامخين في الحقوق ، استغنوا في ظل التشريع الإسلامي
عن أي تشريع سواه))^(٤) ، حيث تتصف كل القيم بالتكامل ، فهي شاملة لجميع جوانب
الإنسان ونواحيه ، وهذا التكامل هو تكامل موضوعي لأنه لم يفصل الدولة عن الدين ، ولا
شؤون الآخر عن الحياة الدنيا ، وهو تكامل إنساني ، خاطب الجماعة والفرد ، وخاطب السلوك
والفكر ، وهو تكامل في علاقة الإنسان بالله تعالى ، وأيضا علاقة الإنسان مع مجتمعه ونفسه^(٥)
وعلى هذا فإن كل القضايا الأخلاقية في الإسلام هي عبارة عن قيم مطلقة كلية صادقة في كل
مكان وزمان^(٦)

(١) مركز الرسالة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ص ١٣ .

(٢) مدلول : محمد طالب ، موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، د.ت
، ص ٢٧٥ .

(٣) ينظر ، الحكيم : علوم القرآن ، محمد باقر ، ص ٣٢١ .

(٤) ، تذكرة الأعيان ، ص ١٩٢ .

(٥) ينظر ، مسفر : سلطان ، بناء القيم الإيمانية وأثره على استقامة الفكر لدى الطلاب ، ص ٢ ١٣ .

(٦) ينظر ، السبحاني : جعفر ، رسالة في التحسين والتقبيح ، ص ١٥٩ .

حيث اعتمد الإسلام على مبدئين مهمين في تلك التكاملية ((١) . الفطرة الإنسانية التي تتحد في جميع الأفراد . ٢ . بلاغات الوحي ونوره الذي نزل لإنقاذ البشر من الضلالة إلى الهداية))^(١) وهناك من وضع مبدئين آخرين وهما أولاً الشؤون الثابتة التي لا يمكن أن لا يمكن أن تتغير أو تتبدل في كل ظروف من الظروف أو حال من الأحوال ، مثل احكام الارث والزواج وما شابهها ، فوضع لها قوانين ثابتة وأنظمة محددة ، ويدخل في ذلك جميع الأحكام الثابتة ، ثانياً الشؤون التي تتغير وتتبدل ، والتي لا يمكن حدها بحدود ، أي لا تكون ضمن أطر ضابطة ثابتة ، فكان لها قواعد وأصول عامة تتغير وتتبدل في نطاقها ، فتكون القوانين ثابتة لكن ما يتغير هو الأصول والقواعد التي تنطبق عليها^(٢)

١- قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا ﴾^(٣)

قال الطوسي (ت: ٤٦٠ هـ) في معنى قوله تعالى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ : ((أكملت لكم فرائضي وحدودي وأمري ونهيي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما أنزلت ، وتبياني ما بينت لكم ، فلا زيادة في ذلك ، ولا نقصان منه بالنسخ بعد هذا اليوم . وكان ذلك اليوم عام حجة الوداع قالوا : ولم ينزل بعد هذا على النبي صلى الله عليه وآله شيء من الفرائض في تحليل شيء ، ولا تحريمه))^(٤)

فكمال الدين يعني أنه متكامل في شرائعه وأحكامه ، فالله تعالى أعطى الناس الإسلام بحيث يرجعون إليه في كل امورهم^(٥) حيث يقول ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨ هـ) : ((أنه لم ينزل

(١) المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

(٢) ينظر ، العاملي : جعفر ، الآداب الطبية في الإسلام ، ص ٩٤ .

(٣) سورة المائدة ، من الآية ٣ .

(٤) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٣/٤٣٥ .

(٥) ينظر ، الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ١/٤٧٤ .

بعدها شيء وعاش النبي (ص) بعده أحد وثمانين يوما فلا بد أن يكون ذلك أمرا عظيما من على المسلمين به وتم دينهم ببيانه ومعلوم أنه تعالى قد شرع جميع الشرائع قبل ذلك))^(١)

فإن كانت كل الشرائع والأحكام ، بل أن كان كل الدين الإسلامي يتمتع بصفة التكاملية ، فلا شك من أن القيم الإسلامية أيضاً تتمتع بتلك الصفة . حيث ((تتميز القيم الإسلامية بأنها شاملة لأنها لا تقتصر على جانب واحد من شخصية الإنسان ، وإنما هي تنظر الى الإنسان نظرة تشمل جميع جوانبه الجسمية والفكرية والاجتماعية))^(٢)

فبالتالي تعد المقاصد والقيم الإسلامية البرنامج الإسلامي المتكامل الذي يقدمه من أجل ضمان السعادة للناس أجمع ، ولهذا يجب لفت أنظار الناس اليها ، وبيان مكانتها حيث عجزت الأفكار والأحزاب والفلسفات عن الإتيان بمثلها^(٣)

٢- قوله تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾^(٤)

يقول الشيخ الطوسي (ت : ٤٦٠ هـ) في معنى قوله تعالى ((ومعناه أحصيناه في كتاب ظاهر ، وهو اللوح المحفوظ . والوجه في احصاء ذلك في إمام مبين اعتبار الملائكة به إذا قابلوا به ما يحدث من الأمور ، وكان فيه دليل على معلومات الله على التفصيل))^(٥) . فمعلومات الله تعالى التفصيلية التي تمثلت في الإسلام سواء في القرآن الكريم ، أو السنة النبوية المطهرة يدل على التكاملية في الشرائع في الإسلام .

فالقرآن الكريم بما أنه قد نزل من الله تعالى فهو يحتوي على كل المعارف والحقائق بما لا نهاية لها ^(٦) ومما يدل على التكاملية الإسلامية إننا لم نجد كتابا تفسيريا يوضح كل تلك الحقائق الموجودة فيه ((ولم يكتب في تاريخ الإسلام تفسير للقرآن يبين جميع الحقائق التي يحويها القرآن

^(١) ابن شهر آشوب : متشابه القرآن ومختلفه ، ٢٩/٢ .

^(٢) حدادي : وليدة ، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ، ص ٧٣ .

^(٣) ينظر ، مدلول : محمد طالب ، موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ، ، ص ٢٧٦ .

^(٤) سورة يس ، من الآية ١٢ .

^(٥) الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٤٤٧/٨ .

^(٦) ينظر ، الأملي : حيدر (ت : ٧٨٢ هـ) ، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، ١٨/١ .

، بل إلى الآن لم يصل أحد إلى أعماق ذلك المحيط الذي لا ساحل له ، بل لم يقم أحد بالسباحة فيه ولم يعرف حدود ساحله بعد .))^(١)

وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ المقصود من الإمام هو علي بن ابي طالب (عليه السلام) واستند بذلك على ((ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية قام رجلان ، فقالا : يا رسول الله ، أهو التوراة ؟ قال : « لا » . قالوا : فهو الإنجيل ؟ قال : « لا » . قالوا : فهو القرآن ؟ قال : « لا » . فأقبل أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال : « هذا هو الذي أحصى الله فيه علم كل شيء ، وإن السعيد كل السعيد من أحب عليا في حياته ، وبعد وفاته ، وإن الشقي كل الشقي من أبغض هذا في حياته ، وبعد وفاته » .))^(٢)

فإنَّ الله تعالى قد أعلم نبيه (صل الله عليه واله وسلم) وأهل بيته (عليهم السلام) بكل ما في السماوات والأرض وما فوقهن وما تحتهن وما فيهن وما بينهم ، وكل تلك المعرفة هي علم إحاطة^(٣)

بالتالي فإنَّ هذه الآية تدل على تكاملية الشرائع في الإسلام بما فيها من القيم الإنسانية التي أمر بها

٣- قوله تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^(٤)

والآية تدل على تكامل علم الله تعالى بما هو موجود أو غير موجود ((يقول تعالى ذكره : ولا تسقط ورقة في الصحاري والبراري ولا في الأمصار والقرى إلا الله يعلمها . ولا حبة في ظلمات

(١) المصدر نفسه ، ١٨/١ .

(٢) البحراني : هاشم ، البرهان في تفسير القرآن ، ٥٧٠/٤ .

(٣) ينظر ، البروجدي : حسين ، تفسير الصراط المستقيم ، ٩/٢ .

(٤) سورة الأنعام ، الآية ٥٩ .

الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين يقول : ولا شيء أيضا مما هو موجود أو ما سيوجد ولم يوجد بعد ، إلا وهو مثبت في اللوح المحفوظ ، مكتوب ذلك فيه ومرسوم عدده ومبلغه والوقت الذي يوجد فيه والحال التي يفني فيها . ويعني بقوله مبين : أنه يبين عن صحة ما هو فيه بوجود ما رسم فيه على ما رسم .^(١) فإذا كان الله يتصف بهذه الصفة ، وقد أنزل القرآن الكريم وفيه كل شيء ، وبما أن القيم الإنسانية أساسها القرآن الكريم فهي أيضاً تتصف بالتكاملية ، فقد بين الله تعالى في كتابه الكريم كل شيء فيُعرف بعضه من خلال الإستنباط والاستدلال ويُعرف بعضه من خلال التفسير ^(٢) فمعنى قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ هو : ((البحر : القرى والأمصار هاهنا ، (والبر : المفاوز) ، يقال : هذا المصر بحر ، وهذه القرية بحر ؛ لاجتماعها وكثرة أهلها ، وقيل : هو البر والبحر المعروف))^(٣) أما قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا ﴾ هو أن الله تعالى يعلم بكل شيء حتى سقوط ورق الأشجار فيعلم عدد الأوراق التي سقطت وكم مرة تقلب حتى وصلت الى الأرض^(٤) .

أما معنى قوله تعالى ﴿ وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ ﴾ هو : ((وذلك لأن الحبة في غاية الصغر وظلمات الأرض موضع يبقى أكبر الأجسام وأعظمها مخفياً فيها فإذا سمع أن تلك الحبة الصغيرة الملقاة في ظلمات الأرض على اتساعها وعظمتها لا تخرج عن علم الله تعالى البتة))^(٥) أي أن الله عالماً بكل الأمور التي تحدث والتي سوف تحدث فضلاً عما حدث سابقاً ، ثم تبين الآية وصفاً آخر من أوصاف الله تعالى ﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ ﴾ والرطب واليابس وصفان مجازيان يراد بهما علم الله تعالى بكل شيء ^(٦) ثم بين الله تعالى أن كل تلك الأوصاف من العلمية الكاملة موجودة في القرآن الكريم ، حيث إنَّ أحد معاني الكتاب المبين هو القرآن

^(١) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٢٧٨/٧ .

^(٢) ينظر ، السمرقندي : أبو الليث ، تفسير السمرقندي ، ٤٧٤/١ .

^(٣) السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني ، ١١٠/٢ .

^(٤) ينظر ، البغوي : الحسين بن مسعود ، تفسير البغوي ، ١٠٢/٢ .

^(٥) الرازي : فخر الدين ، التفسير الكبير ، ١٠٣/١٠ .

^(٦) الأندلسي : أبو حيان ، البحر المحيط ، ١٥٠/٤ .

الكريم ^(١) فيقول الطباطبائي (ت: ١٤٠٢ هـ) : ((تدل على أن هذا الكتاب في عين أنه يشتمل على جميع مشخصات الحوادث وخصوصيات الاشخاص المتغيرة المتبدلة لا يتبدل هو في نفسه ولا يتسرب إليه أي تغير وفساد .))^(٢)

فإنَّ القيم الإنسانية اتصفت بالتكاملية لأنها جاءت عن طريق القرآن الكريم ، والقرآن الكريم هو معجزة إلهية ، جاء من الله تعالى العالم بكل شيء ((وقد ثبت أنَّ القرآن معجزة إلهية سماوية ، نزل من عند الخالق الباري تعالى - العالم بجميع ما خلق في عالم الوجود - جامع لما يحتاجه الإنسان في شؤونته الثقافية والعبادية والاجتماعية والسياسية وغيرها ، وأنه أمَّ القوانين والعناوين في الأمور المختلفة))^(٣)

المبحث السادس : القيم الواقعية

من الأسباب المهمة التي أدت إلى تفوق الشرائع الإسلامية - بضمنها القيم - هو أنها لم تكن شرائع مثالية يستحيل أو يصعب تطبيقها ، بل كانت تتماشى مع الواقع الإنساني ، فهي شرائع وقيم قابلة للتطبيق جاءت موافقة لقدرات الإنسان ، ومناسبة لقدراته ، فكل الآيات القرآنية التي تدل أوامر إلهية تدل على تلك الواقعية في الشرائع القيم ، فالقيم التي أمر الله تعالى بها لم تكن قيم ذات صفة مستحيلة في تطبيقها ، بل كانت قيم سهلة التطبيق على الإنسان ، وهذا سنوضحه أكثر في هذا المبحث .

تعتبر هذه الصفة أو الخاصية من أبرز الصفات والخصائص للقيم الإسلامية ، لأنَّ الواقعية تعني أنه يمكن تطبيق تلك القيم في أرض الواقع ، وأنها ليس أمور مثالية أو نظرية لا يمكن تطبيقها ، وكل ذلك في حدود قدرة الإنسان وطاقته ، بدون أي مشقة أو تكلف ، فالعبادات والأخلاق والقيم كلها واقعية^(٤) ، ((فالعدل على سبيل المثال قيمة إسلامية راسخة ، ولكن تحقيقه

^(١) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير ، ٤٠٤/٢ .

^(٢) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ١٢٧/٧ .

^(٣) النجفي : عبد الله الصالحي، فضائل القرآن الكريم وخواص سوره وآياته ، ٦/١ .

^(٤) ينظر ، عبد الصمد: احمد، الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء التحديات المعاصرة ، ص ٦٨ .

في القواقع مدافعه للظلم بقدر الإستطاعة))^(١) ولهذا قال النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) : ((إنما أنا بشر يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صدق فأقضي له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليأخذها أو ليتركها))^(٢)

فبيّن أنّ القيم الإسلامية ليست مجرد ضرباً من الخيال بل هي حقيقة موجودة يمكن تطبيقها ((تتميز القيم الإسلامية بالواقعية ، فهي ليست ضرباً من المثاليات ، ولا هي من قبيل الخيال الذي يعلو على الواقع ، ولا يمكن تحقيقه وتنفيذه في ميدان الحياة ، وإنّما القيم ممارسات راقية تتحقق في واقع البشر بالفعل ؛ لأنها تتوافق تماماً مع هذا الواقع))^(٣) وهذا القيم الواقعية هي تمثل الخلاصة بالنسبة إلى الرسالة الإسلامية ، حيث عالجت قضايا المجتمع ووضعت الحلول لكل مشكلاته والقضايا المعقدة فيه^(٤)

وتلك الواقعية تلزم الإنسان المسلم الوجوب بتطبيق تلك القيم ((يُعتبر الأفراد ملزمون بالخضوع لمنظومة القيم الإسلامية ، التي تستمد إلزامها بما يترتب على عدم الإلتزام من الجزاء الأخروي ، وهكذا يحسم القرآن الكريم في شأن السلوك الإنساني على أساس تلك القيم ، إلا أنّ ذلك يكون حسب قدرات الأفراد وقابليتهم للإلتزام بها . لذلك يراعي الدين الإسلامي في إلزامية القيم إمكانية التطبيق))^(٥) ، فتلك القيم واقعية ممكنة التطبيق ؛ لأنها تتناسب مع عالم الواقع وليس مع الواقع المنحرف^(٦)

١- قوله تعالى : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾^(٧)

ومعنى قوله تعالى هو : ((أي : بقدر ما تطيقونه ولا يجحف بكم))^(٨) ، فالآية الكريمة تدل على واقعية ما أمر به الله تعالى - بضمنها القيم الإسلامية - لأنها لو لم تكن واقعية وتحاكي

(١) الصمدي : خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية ، ص ١٥ .

(٢) البخاري : محمد بن اسماعيل صحيح البخاري ، ، ١٢/٤ ، باب هدايا العمال .

(٣) القيم بين الإسلام والغرب ، ص ١٦٤ .

(٤) ينظر ، عبيد : زينب حكيم، القيم الإسلامية واسهامها في تكافل المجتمعات ، ، ص ٣٠ .

(٥) حدادي : وليدة، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، ، ص ٧٤ .

(٦) القيم بين الإسلام والغرب ، ص ١٦٤ .

(٧) سورة التغابن ، من الآية ١٦ .

واقع الإنسان لما أمر الله بقوله { مَا اسْتَطَعْتُمْ } ، حيث أن معنى الاستطاعة هنا هو أن أمر الناس بأن يتقوه بحسب طاقاتهم ، فهو تعالى لا يكلف الإنسان بما لا يقدر عليه^(٢) فوجود شرط الإستطاعة في التكاليف الإسلامية دليل كافي على واقعية القيم الإسلامية ((أن التكليف لا يلزم العبد إلا فيما يطيق ، وكل ما أمر الله به ، فلا بد أن يكون مشروطا بالاستطاعة))^(٣) .

فلو لم تكن تلك التكاليف جميعها ذات خصائص واقعية لأمر الله تعالى الإنسان بما لا يستطيع فعله مثل أن يأمر الاعمى بالنظر والمقعد بأن يسير ، وأن يأمر البشرية بالطيران ، ولأمر أيضاً الأشجار والنباتات والجمادات بالتكاليف^(٤) فبما أن تلك الأحكام وبضمنها القيم - كانت بحسب قدرات الناس وقدراتهم فهي أحكام وقيم واقعية لأنها راعت ظروف الناس واختلافهم بحسب قدراتهم : ((وينتج ذلك أن يقع الجميع في صراط التقوى إلا أنهم في مراحل مختلفة وعلى درجات مختلفة على طبق ما عندهم من الافهام والهمم وعلى ما يفاض عليهم من توفيق الله وتأييده وتسديده))^(٥)

٢- قوله تعالى : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٦)

توضح هذه الآية واقعية الأحكام الشرعية التي أمر بها الله تعالى ، فراعت الآية الكريمة الطبيعة الإنسانية ولو كانت على وجه مخصوص بزواج الأمة ، وهذه المراعاة هي أصل الواقعية ، حيث معنى قوله تعالى ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ : ((يريد الله أن ييسر عليكم بإذنه لكم في نكاح الفتيات المؤمنات إذا لم تستطيعوا طولا لحرة))^(٧)

ولا شك في أن هذا الأمر فيه قيمة إسلامية مهمة إلا وهي قيمة عدم الزنا وحفظ النسل ، فراعت الآية ظرف الإنسان الذي يمنعه من الزواج الرسمي من خلال زواج الأمة ، حتى لا يزني ويقع

(١) الشريف الرضي : محمد بن الحسين ، حقائق التأويل ، ، ص ٢٠٤ .

(٢) ينظر ، الطوسي : محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، ٢٥/١ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ٣٤/١٠ .

(٤) ينظر ، ابن شهر آشوب : متشابه القرآن ومختلفه ، ، ١٤٦/١ .

(٥) الطباطبائي : محمد حسين ، الميزان في تفسير القرآن ، ٣٦٨/٣ .

(٦) سورة النساء ، الآية ٢٨ .

(٧) الطبري : محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ٤٢/٥ .

في الفاحشة . فمعنى التخفيف كما بينه الجصاص (ت: ٢١٥ هـ) : ((التخفيف هو تسهيل التكليف وهو خلاف التثقل))^(١) وفي الآية معنى عام حيث يكون معناها يخفف الله عن المسلمين بكل ما شرعه وبينه رسوله (صل الله عليه واله وسلم)^(٢) وبهذا قال السمعاني (ت: ٤٨٩ هـ) : ((أي : يسهل عليكم ، وقد سهل هذا الدين))^(٣)

أما معنى قوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ هو : ((أنه تعالى لضعف الانسان خفف تكليفه ولم يثقل))^(٤) فإنَّ الله تعالى خالق الإنسان وعارف ضعفه وعدم قدرته لهذا كانت كل الأحكام الشرعية بما يقدر عليه الإنسان^(٥) حيث يقول الطهراني (ت: ١٣٥٣ هـ) : ((عاجزا عن مخالفة هواه حيث لا يصبر عن اتِّباع الشهوات ولا يستخدم هواه في مشاقِّ الطاعات))^(٦) . فالآية راعت ضعف الإنسان في عدم مقاومته البواعث و الدواعي إلى الملمات والطيبات ، ولهذا أحلت التمتع بالنساء لكن بحدود معينة^(٧) وهذه المراعاة لضعف الإنسان تدل على واقعية القيم الإنسانية لأنَّها تشمل الشرائع جميعها : ((ومن أجل هذا تتفق شريعة الله في سهولتها وسماحتها موافقة تامة مع فطرة الإنسان وطبيعته .))^(٨)

٣- قوله تعالى : ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾^(٩)

تبين الآية تميز الشرائع بأنَّها واقعية تناسب الظروف البشرية عن باقي الأديان السماوية ((يعني الثقل الذي كان على بني إسرائيل وهو أنَّه فرض الله عليهم الغسل والوضوء بالماء ولم يحل لهم التيمم ولا يحل لهم الصلاة الا في البيع والكنائس والمحاريب ، وكان الرجل إذا أذنب خرج نفسه

(١) الجصاص : أحكام القرآن ، ، ٢/٢١٥ .

(٢) ينظر ، النيسابوري: الواحدي، تفسير الواحدي، ١/٢٦١ .

(٣) السمعاني : منصور بن محمد ، تفسير السمعاني، ١/٤١٨ .

(٤) الرازي : فخر الدين ، التفسير الكبير، ١٠/٦٨ .

(٥) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير، ٢/٤٩ .

(٦) الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر، ٣/٨٧ .

(٧) ينظر ، مغنية : محمد جواد ، التفسير الكاشف، ٢/٣٠٢ .

(٨) مغنية : محمد جواد ، التفسير المبين، ص ١٠٤ .

(٩) سورة الأعراف ، من الآية ١٥٧ .

منتنا فيعلم أنه أذنب ، وإذا أصاب شيئاً من بدنه البول قطعوه))^(١) فالآية هي عبارة عن كناية عن التسهيل في أداء التكاليف وتحميل المسلمين العبء الخفيف الذي ليس فيه مشقة عليهم^(٢)

فإن كانت تلك الشرائع الإسلامية بما تتضمنه من عبادات ومعاملات وقيم تتصف بأنها مناسبة لقدرات البشر ، فذلك يدل على واقعيتها وبالتالي واقعية القيم الإسلامية ، فمعنى الإصر في الآية هو ((الثقل الذي يأصر صاحبه أي : يحبسه من الحراك لنقله ، وهو مثل لثقل تكليفهم نحو قتل الأنفس في التوبة))^(٣) ومعنى الأغلال هو العهود التي كانت على ذمم بني اسرائيل والأشياء الشاقة في شرائعهم^(٤)

فتميزت القيم الإسلامية بواقعيتها من خلال مراعاتها للظروف البشرية ، فجاء الدين الإسلامية سمحاً سهلاً قابل للتطبيق ، حيث بُعث النبي محمد (صل الله عليه واله وسلم) بالدين السمح سهل التطبيق على خلاف باقي الأديان الأخرى التي اتسمت بالمشقة^(٥)

(١) القمي : علي بن ابراهيم، تفسير القمي ، ٢٤٢/١ .

(٢) ينظر ، الشريف الرضي : محمد بن الحسين ، حقائق التأويل، ص ٢٠٤ .

(٣) الطبرسي : الفضل بن الحسن ، جوامع الجامع ، ٧١٠/١ .

(٤) ينظر ، الكاشاني : فتح الله، زبدة التفاسير ، ٦٠٨/٢ .

(٥) ينظر ، الطهراني : علي ، مقتنيات الدرر ، ١٥٢/٢ .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ،واحمده على ما أنعم علينا من نعمة الطلب والإقبال في كتابه العزيز ، فلقد مضت ساعات هائلة ومباركة في صحبته انظر في معانيه وإنهل من فيضه الروي واقطف من بستان اهل العلم والمعرفة الفوائد التي أصبوا إلى نيلها . فالحمد والشكر لله على فضله ومنه ،واعرض ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج وهي كما يأتي :

١- أن منهج القران في الحياة قائم على منظومة قيم ومبادئ تستوعب جميع التغيرات وقادرة على التفاعل معها دون أن تتعارض مع كينونة الإنسان، ودعوة القران دعوة عالميّة تقي الانسان الضلال في كل معانيه ،الجهل والتّخلف والفقر والتّبعيّة والأزمات والفساد والاستبداد.

٢- أن القران يشكل منظومة معرفية متكاملة وشاملة لجميع الأبعاد لايشوبها شك ولا نقص تكونت وفق بناء معرفي رباني .

٣-أبرزت القيم العقائدية (التوحيدية والايمانية والعبادية) التركيز على مفهوم الوحدانية للمعبود الواحد، يقابل ذلك فك وإطلاق قيد الإنسان من كل مظاهر الاستعباد لأي مخلوق كائن مهما يكن وتحريره .

٤- لقد جاء الإيمان بالله تعالى، في مقدمة طريق الحياة البشرية، ويقود المرء من الإيمان التقليدي إلى الإيمان الحقيقي المرتبط بالأعمال الصالحة، فيبدأ من التأمل إلى المعرفة إلى التصديق إلى الاعتقاد وصولاً إلى التسليم، وبين كل تلك المفاصل عملاً صالحاً يشدّ أزره.

٥- أن الحياة في الاسلام تتكامل فيها الرغبة في تحقيق السّعادة الدنيوية والاخروية والرغبة في الكمال الاخلاقي فقيم الاسلام عالمية شاملة لكل مناحي الحياة، تستغرق الازمان كلها ومهيمنة على كل تفاصيل حياة الإنسان فلا فصل بين الروحي والمادي، ولا بين الفردي والجماعي، ، ولا بين القول والفعل ،بل وحده بين الدين والنظام الاجتماعي البشري.

٦-أبرز البحث مقارنة بين القيم في الإسلامية والغرب ،واستعرض المساوي التي نالت القيم الغربية كيف كانت قاصرة ومتذبذبة والسبب لأنها فصلت الدين وابعده عن حياتها وجعلته مقتصرًا فقط بالكنيسة فلم تتمكن من تحقيق السعادة على المستويين الفردي والاجتماعي.

٧- أبرزت القيم الدور الفعال الذي تبنته الدعوة في مسيرتها وما حقته من نجاح من خلال نهجها السلوك القويم الذي رسمته لها رسالة الإسلام فأصبحت مشعل وضاء لجميع الدعوات .

٨- أبرزت المبادئ الأخلاقية في سور الدعوة السرية دورها وأثرها في تلك المرحلة لما خلفتها الحقبة المظلمة من مساوئ، مما جعلها الاسلام أولى المرتكزات في نجاح دعوته . -.

٩- أبرزت قيمة الصدق وهي من القيم الأخلاقية التي احتوتها سور الدعوة السرية على آيات تضمنت صدق الله وصدق الأنبياء وصدق المؤمنين مما عزز أهميتها بالدعوة إلى التمسك بهذه القيم والتعامل بها .

١٠- أبرزت قيمة الصبر أهميتها من القرآن الكريم لأنها كانت منهج الانبياء والاولياء في ابلاغ رسالة السماء من خلال القصة القرآنية التي ذكرت صبر الانبياء على اقوامهم في تبليغ الدعوة الالهي.

١١- أبرزت القيم الاجتماعية المستوحاة من سورة الدعوة السرية احقيتها بالاتباع لأنها برهنة عدالتها على الصعيد الفردي والمجتمعي والاممي بتوزيع الحقوق بأكمل وجه .

١٢- أبرزت القيم الاجتماعية في سور الدعوة السرية التصور الإسلامي للإنسان بأنه لا يستغني عن الغير ولا يمكن أن يعيش بمفرده بدون التبادل بين أفراد جنسه في الولاية من الاشراف والتساند والتكافل في أمور الحياة وشؤون المجتمع في العمل والتعامل ومد يد العون من باب التراحم والتعاطف والمحبة والألفة في ما بينهم كما وصف القرآن الكريم المؤمنون بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَىٰهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر ٩].

١٣- برهنت قيمة الاخوة في فصل القيم الاجتماعية التي ركز عليها القرآن الكريم منذ تأسيسه في بداية دعوته على أهميتها في المجتمع لما تحققه من التآزر والتلاحم والألفة والمحبة كما عرفناه من خلال قصص الأنبياء التي بينتها آيات الدعوة السرية .

١٤- تعد قيمة العدل من القيم الإنسانية الأساسية التي جاءت بها آيات الدعوة السرية وجعلها من مقومات الحياة سواء على الصعيد الفردي أو الأسري أو الاجتماعي مما

جعل القرآن الكريم هدف الرسالات السماوية اجمعها ،وثمة تنويه بقيمة العدل أعظم لأنه بالعدل ارسل الله الرسل وبالعدل أنزلت الكتب وبالعدل قامت السموات والأرض، اذا حقيقة العدل هو ميزان الله على الارض يعد من أيسر الطرق لأقامت الحق لحصول المجتمع على الاطمئنان مما يثبت عنده ايماناً بعقيدته .

١٥- أن التعامل بالعدل بين الناس كان المحور الاساس لتلك المرحلة لنصرة المظلومين واسترجاع حقوقهم وحققهم في الحياة.

١٦- أن المنهج القرآني هو المصدر الاساس لهذه القيم حاول منذ وجوده تحقيق التوازن في الحياة حتى لا يطغى جانب على آخر، ولا يطغى الانسان على أخيه الإنسان، وتلك غاية دستور الاسلام ، فالشريعة الاسلامية تستمد قيمها ووجاهتها وقوتها وثباتها من خلال القرآن الكريم و ملائمتها لصريح المنطق والمعقول، ومن خلال مطابقتها للفطرة البشرية ومراعاتها لطبيعة الانسان، ومن خلال مرونتها في تطبيق مفاهيمها على الواقع.

١٧- أن كل المبادئ والأحكام والأوامر والنواهي التي جاء بها القرآن الكريم اشتمل القسم الأكبر منها في أولى دعوته لعادة تنشئة الفرد وتربيته من جديد واستئصال جذور الجاهلية .

١٨- تشكل القيم القرآنية مجموعة من المعتقدات والقناعات ترتبط بأفكار وعواطف الإنسان وسلوكه ومنسجمه مع بعضها البعض تعزز من ربط هذه القيم بالواقع الحي مما يولد عند الإنسان عمق وتجسيد هذه العقيدة في نفسه .

١٩- ينال البحث قيمته وأهميته عبر تسليط الضوء على دور القيم القرآنية في المجتمعات الإسلامية من خلال تفعيلها في جميع المؤسسات.

التوصيات :

١ :الاهتمام بهذا الجانب وإضفاءه في التعليم وتنميته إنتاجها وابداعا لمواكبة المسيرة العلمية لما للقيم من دور فعال في دفع المجتمع إلى الافضل وتطويره .

٢ : العمل الجاد والواعي على إيداع هذه القيم المستقاة من القرآن والسنة وجعلها منظومة إسلامية مصدرا تأسيسا في بناء المجتمع والأمة، وإبعاد الذين يحاولون أن يبعدوا الدين وتنحيه عن الحياة وجعله في ايطار المسجد فقط .

٣ : جعل القيم القرآنية منطلقا أساسيا في التنمية التعليمية لما يمتلكه من قواعد ومبادئ وأحكام تتحكم في توجيه السلوك الإنساني.

٤: ينبغي على المؤسسات التربوية والتعليمية من تفعيل دور هذه القيم بجميع دوائرها لما تحظى هذه القيم من قدرات ومقومات تدفع الشباب المسلم لمعرفة دينهم الصحيح وغرسها في وجدانهم ومزجها مع قيمهم الروحية لتقوية الترابط بينها ، وتبعدهم عن الثقافات المنحلة التي أصبحت لها دور فاعل في مجتمعاتنا

٥: على الأمة الإسلامية أن تكون القدوة والمبادر الأول في تطبيق الشريعة الإسلامية ، و متمسكا بالأخلاق العملية والواجبات مثل الصدق والحق والعدل والتسامح...وغيرها من الاخلاق السامية .

٦: أقامة دورات تتبناها كل من وزارتي التربية والتعليم وفق اساليب وانشطة ووسائل تعليمية لتنمية هذه القيم لدى الطلبة .

٧: أعادة النظر في صياغة المناهج الدراسية على أساس قيمي مخطط له لكي نستطيع من خلالها غرس وتنمية القيم في نفوس الطلبة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع :

أولاً المصادر الرئيسية : -

• القرآن الكريم

١-الإبراهيمي : عبد الجواد، نظرة حول دروس في العقيدة الإسلامية ، مؤسسة أنصاريان -

قم - إيران ، ١٤١٧هـ ، ط ١

٢-الابطحي : حسين، بين يدي الاستاذ، ، مكتبة الفقيه، الكويت، ٢٠٠٢م ، ط ١

٣-ابن ابي الزمنين : عبد الله بن محمد (ت: ٣٩٩هـ)، الفاروق الحديثه ، القاهرة -

مصر ، ٢٠٠٢م ، ط ١

٤-ابن الأزرق : بدائع السلك في طبائع الملك، وزارة الإعلام -العراق ، د.ت ، د.ط

٥-ابن الجوزي : عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ)، التبصرة ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت-

لبنان ، ١٩٨٦م ، ط ١

٦-ابن الجوزي: عبد الرحمن (ت: ٥٩٧هـ) ، زاد المسير في علم التفسير، دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ١٩٨٧ م، چاپخانه شرکت سهامی طبع

كتاب ، ط ١

٧-ابن السّاعي : علي بن أنجب بن عثمان بن عبد الله أبو طالب، تاج الدين، (ت :

٦٧٤هـ) ، الدر الثمين في أسماء المصنفين ، تحقيق وتعليق: أحمد شوقي بنين -

محمد سعيد حنشي ، دار الغرب الاسلامي، تونس ، ٢٠٠٩م ، ط ١

٨-ابن العربي (ت: ٦٣٨هـ): الفتوحات المكية، ١٩٧٨م، ط ١

٩-ابن القاضي : أبو العبّاس أحمد بن محمد المكناسي (ت : ٩٦٠ - ١٠٢٥هـ) ، ذيل

وفيات الأعيان المسمى درّة الحجال فى أسماء الرّجال ، تحقيق : الدكتور محمد

الأحمدى أبو النور ، دار التراث ، القاهرة - مصر ، المكتبة العتيقة - تونس ١٩٧١م ،

ط ١.

١٠-ابن النديم (٤٣٨هـ) : الفهرست ، د.ت ، د.ط

١١-ابن سليمان : مقاتل (ت: ١٥٠هـ) ، تفسير مقاتل ابن سليمان ، دار الكتب

العلمية ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٣ ، ط ١

- ١٢- ابن شهر آشوب (ت: ٥٨٨ هـ)، متشابه القرآن ومختلفه ، چاپخانه شركت سهامی طبع كتاب ، ١٣٢٨ هـ ، د.ط
- ١٣- ابن فارس : أحمد بن زكريا (ت: ٣٩٥ هـ) ، معجم المقاييس ، مكتبة الإعلام الإسلامي ، ١٤٠٤ هـ ، د.ط
- ١٤- ابن كثير : أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤ هـ) ، البداية والنهاية ، ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٩٧ م، ط ١
- ١٥- ابن كثير : إسماعيل بن عمر (ت : ٧٧٤ هـ) ، السيرة النبوية ، دار المعرفة ، بيروت-لبنان ، ١٩٧٦ م.
- ١٦- ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت: ٧٧٤ هـ) تفسير ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، ١٩٩٢ م، د.ط
- ١٧- ابن منظور : محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، لسان العرب ، (ت: ٧١١ هـ) دار صادر ، بيروت - لبنان ، ، ١٤١٤ هـ ، ط ٣
- ١٨- أبو المعاطي : علي ماهر، نحو سياسة اجتماعية متكاملة من منظور إسلامي ، دورية : التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية : المنهج والمجالات ، القاهرة - مصر ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٧ م .
- ١٩- أبو حبيب : سعدي، موسوعة الاجماع في الفقه الإسلامي ، د.ت ، ط ١
- ٢٠- أبو زهرة : محمد (ت : ١٣٩٤ هـ) ، خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ، ، دار الفكر العربي - القاهرة - مصر، ١٤٢٥ هـ ، د.ط
- ٢١- أبو زهرة : محمد (ت: ١٣٩٤ هـ) ، التكافل الاجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة - مصر ، د.ت ، د.ط .
- ٢٢- أبو غدة : عبد الستار، نظام التأمين التكافلي من خلال الوقف ، الندوة العالمية حول التأمين التعاوني من خلال نظام الوقف ، ٢٠٠٨ م .
- ٢٣- أحمد : مصطفى، المدخل الى نظرية الالتزام العامة ، جامعة الشرق ، دمشق - سوريا ، ١٩٦٠ م ، ط ٤

- ٢٤- أحمد :موزة، القيم الأخلاقية بين الفكرين الإسلامي والغربي في عصر العولمة ، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ط١
- ٢٥- أحمد : محمد عبد القادر، طرق تعليم التربية الإسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦م.
- ٢٦- الأردبيلي: احمد بن محمد (ت: ٩٣٣هـ) ، مجمع الفائدة ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، د.ت ، د.ط
- ٢٧- الاسترأباداي : محمد ابراهيم (ت: ١٠٢٨هـ) ، آيات الأحكام ، ، مكتبة المعراجي ، د.ت ، د.ط
- ٢٨- اسماعيل : قباري محمد، قضايا علم الأخلاق ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة -مصر ، ٢٠٠٦ م.
- ٢٩- الأشقر : عمر سليمان، خصائص الشريعة الإسلامية ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٢م ، ط١
- ٣٠- أشكناني : محمد، عالمية الإسلام ، موقع ديوانية الشيخ محمد أشكناني ، ٢٠١٩م، ط١ .
- ٣١- الأصفهاني : الراغب (ت: ٤٢٥هـ) ، مفردات الفاظ القرآن ، طليعة النور ، قم-ايران ، ١٤٢٧هـ، ط٢ .
- ٣٢- الاصفهاني : محمد حسين (ت: ١٣٢٩هـ) ، نهاية الدراية في شرح الكفاية ، د.ت ، د.ط
- ٣٣- أكرم ضياء :قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، قطر ، ١٤١٤هـ ، ط١
- ٣٤- آل سعدي : عبد الرحمن بن ناصر، الحق الواضح المبين، في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ط٢
- ٣٥- الآملي : جواد، نظرية المعرفة في القرآن الكريم ، د.ت ، د.ط

- ٣٦- الآملي : حيدر (ت: ٧٨٢هـ) ، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ، ، مؤسسه فرهنگي و نشر نور علي نور ، ١٤٢٢هـ ، ط١
- ٣٧- امين :احمد، كتاب الاخلاق ، د.ت ، د.ط
- ٣٨- أمين : عبده، الإسلام رسالة السلام والتسامح ، ، د.ت ، د.ط
- ٣٩- الأندلسي : ابن عطية (ت: ٥٤٦هـ) ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، ٢٠٠١م، ط١
- ٤٠- الانصاري : عبد الله، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت _لبنان، ١٩٨٨م، د. ط
- ٤١- بحر العلوم : محمد، المنهج التربوي عند الإمام الكاظم، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٩١م، ط١
- ٤٢- بخاري : عبد الغفار، فقه الوسطية عند الصحابة في العلاقات الاجتماعية ، د.ت ، د.ط .
- ٤٣- البخاري : محمد بن اسماعيل (ت: ٢٥٦هـ) ، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ١٩٨١م ، د.ط
- ٤٤- البروجردي : حسن (١٣٤٠هـ) ، تفسير الصراط المستقيم ، د.ت ، د.ط
- ٤٥- البصري : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي(ت : ٢٣٠هـ) ، الطبقات الكبرى ، البغدادي المعروف بابن سعد ، ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٩٩٠م ، ط١
- ٤٦- البلاغي : محمد جواد (ت: ١٣٥٢هـ) ، آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، ، د.ت ، د.ط
- ٤٧- بن أبي طالب : الإمام علي^(ع)، نهج البلاغة ، شرح محمد عبده، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط ١ ، ١٤٢٩ هـ/ ٢٠٠٨ م، الحديث ٢٢٨
- ٤٨- بن الدباغ : عفاف بنت إبراهيم، المنظور الإسلامي للرعاية الاجتماعية (سلسلة إسلامية المعرفة التوجيه الإسلامي للخدمة الاجتماعية المنهج والمجالات) ، مكتبة العهد ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٦م

- ٤٩- بن حنبل :أحمد (ت: ٢٤١هـ)، مسند أحمد ، دار صادر ، بيروت - لبنان ، د.ت ، د.ط
- ٥٠- بن خلدون : عبد الرحمن (ت: ٨٠٨هـ) ، المقدمة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة - مصر ، د.ت ، ط٣
- ٥١- بن خلدون : عبد الرحمن، شفاء السائل لتهديب المسائل ، تحقيق : محمد تاووت الطنجي ، مطبعة عثمان يالجن ، أستنبول - تركيا ، كلية الإلهيات - جامعة أنقرة - تركيا ، ١٩٥٧ هـ .
- ٥٢- بن علي : سعيد، الزكاة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة ، د.ت ، د.ط
- ٥٣- بناهيان : علي رضا، دور العبادة في اسلوب الحياة ، مكتبة البلاغ المبين ، د.ط
- ٥٤- بنت ناصر : هيا، الصبر جنة المؤمن ، مؤسسة دار رسالة البيان ، الرياض - السعودية ، ٢٠١٤م ، ط١ .
- ٥٥- البهي : محمد، الفكر الإسلامي في تطوره ، دار الفكر ،القاهرة- مصر ، ، ١٩٧١م ، ط١ .
- ٥٦- البهقي : قطب الدين (ت: ق ٦) ، إصباح الشيعة بمصباح الشريعة ، ، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، قم-ايران ، ١٤١٦هـ ، ط١
- ٥٧- البيضاوي: ناصر الدين (ت: ٦٨٢هـ) ، تفسير البيضاوي، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان ، ١٩٩٨ م، ط١
- ٥٨- التستري : سهل عبد الله (ت: ٢٨٣هـ)، تفسير التستري ، دار الكتب العلمية - بيروت -لبنان ، ١٤٢٣هـ ، ط١
- ٥٩- التميمي :محمد خليفة علي، الصفات الإلهية تعريفها وأقسامها ، د.ت ، د.ط
- ٦٠- تنمية المجتمعات المحلية ، نموذج المشاركة في إطار ثقافة المجتمع ، الأزرطة - أسكندرية - مصر ، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩٩ م، د.ط.
- ٦١- التيمي : معمر (ت: ٢١٠هـ) ، مجاز القرآن ، مكتبة الخانجي ، دار الفكر ، لبنان-بيروت ، ١٩٧٠م، ط٢.

- ٦٢- الثعلبي : احمد بن محمد (ت: ٤٢٧هـ)، تفسير الثعلبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٢م، ط ١
- ٦٣- الجابري : محمد عابد، فهم القرآن الحكيم ، الدار البيضاء ،المغرب ، ٢٠٠٨م، ط ١
- ٦٤- جار الله : عبد الله، الأخوة الإسلامية وآثارها ، ، د.ن ، د.ت
- ٦٥- جبر : عبد الله، الاسلام والتعايش السلمي، ، د.ن، ٢٠١٧م ، ط ١
- ٦٦- الجرجاني : علي بن محمد(ت: ٨١٦هـ) ، التعريفات ، دار الطلائع، دمشق - سوريا، ٢٠١٢م، ط ١
- ٦٧- الجزائري :ابو بكر، عقيدة المؤمن ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة-مصر ، ١٩٧٨ م، ط ٢ .
- ٦٨- الجصاص(ت: ٣٧٠هـ) : أحكام القرآن، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ١٩٩٥م ، ط ١
- ٦٩- جعفر السبحاني :مفاهيم القرآن ، مؤسسة التاريخ العربي ، بيروت-لبنان ، ٢٠١٠ م، ط ١ .
- ٧٠- جمعة : عثمان، مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية ، مكتبة السوادي ، ١٩٩٣م ، ط ١
- ٧١- جمعة : علي، المساواة الإنسانية في الإسلام بين النظرية والتطبيق ، دار المعارف ، القاهرة -مصر ، ٢٠١٤ م، ط ١
- ٧٢- جميل : محمد، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، مكتبة الملك فهد ، مكة المكرمة -السعودية ، ١٩٩٦ م
- ٧٣- الجنابي : مهدي قيس، مصطلحات علم التوحيد ، مجلة الجامعة الإسلامية ، العدد السادس عشر ، د.ت
- ٧٤- الجنزوري : سمير، الأسس العامة لقانون العقوبات مقارناً بأحكام الشريعة ، ، مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة - مصر ، ١٣٩٧هـ ، د.ط
- ٧٥- الجواهري : حسن، بحوث في الفقه المعاصر ، مجمع الذخائر الإسلامية ، قم-ايران ، ١٤٢٧هـ ، ط ١

- ٧٦- الجوزية : ابن القيم (٧٥١ هـ) ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، دار عالم الفوائد ، د.ت ، د.ط
- ٧٧- الجوزية : ابن القيم ، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ٢٠٠٣م، ط٣
- ٧٨- الجوهري(ت: ٣٩٣ هـ) : الصحاح ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٧ م، ط٤
- ٧٩- الجويني : البرهان ، ، د.ت ، د.ط
- ٨٠- الجيلاوي : محمد عباس، التعايش السلمي، دراسة في المأثور عن الامام علي عليه السلام في عهد مالك الاشر، مؤسسة نهج البلاغة، كربلاء - العراق، ٢٠١٧ م، ط١
- ٨١- الحائري : عبد الكريم (ت: ١٣٥٥ هـ) ، درر الفوائد ، مؤسسة النشر الإسلامي ، قم-ايران ، د.ت ، ط٥
- ٨٢- الحائري : كاظم الحسيني، تزكية النفس ، مؤسسة الفقه ، قم- ايران، ١٤٢١ هـ، ط١
- ٨٣- الحر العاملي (ت: ١١٠٤ هـ) : الفوائد الطوسية ، المطبعة العلمية ، قم - ايران ، ١٤٠٣ هـ، د.ط
- ٨٤- حسن : حنان، من هدى السنة النبوية في التعايش مع الآخر، مجلة الدراية ، د.ت ، د.ط
- ٨٥- الحسن : طلال، روحانية العبادات، دروس في الأخلاق التعليمية والواقعية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٩٦ م .
- ٨٦- الحسني : نذير، دروس في علوم القرآن ، مركز المصطفى للنشر ، قم-ايران ، ١٤٣٥ هـ، ط١
- ٨٧- الحكيم :محمد باقر (ت: ١٤٢٤ هـ)، علوم القرآن ، مجمع الفكر الإسلامي ، قم-ايران ، ١٤١٧ هـ
- ٨٨- الحكيم : محمد باقر (ت: ١٤٢٥ هـ) ،الوحدة الاسلامية من منظور الثقلين، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، النجف الأشرف، ٢٠١٨ م ، ط١

- ٨٩- الحكيم : محمد سعيد (ت: ١٤٤٢هـ) ، أصول العقيدة ، ، دار الهلال ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٦ م ، ط ١
- ٩٠- الحلب : أبو المجد، اشارة السبق ، ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم-ايران ، ١٤١٤ هـ ، ط ١
- ٩١- الحلو : خالد، المفيد في علوم القرآن ، ، د.ت ، د.ط
- ٩٢- الحلي :ابن ادريس (ت: ٥٩٨هـ) ، المنتخب من تفسير القرآن والنكت المستخرجة من كتاب التبيان، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة - قم المقدسة ، ١٤٠٩ هـ ، ط ١
- ٩٣- الحلي : ابن ادريس (ت: ٥٩٨هـ) ، السرائر ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم -ايران، ١٤١٠ هـ ، ط ٢
- ٩٤- الحمد :محمد ابراهيم، الكذب ، مظاهره ، علاجه ، د.ت ، د.ط
- ٩٥- حوى : سعيد(ت : ١٤٠٩ هـ)، الأساس في السنة وفقهها - السيرة النبوية ، ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ١٩٩٥ م ، ط ٣
- ٩٦- الحيدري :فاضل، الصبر مسكن القلوب ، د.ت ، د.ط .
- ٩٧- الحيدري :كمال، الفلسفة ، دار فراقد للطباعة والنشر ، قم-ايران ، ٢٠٠٨ م ، ط ١
- ٩٨- الخازن :لباب التأويل في معاني التنزيل ، المطبعة الميمنية ، القاهرة -مصر ، ١٣١٧ هـ
- ٩٩- الخرسان : محمد صادق محمد رضا، التوحيد ، دار البزرة ، النجف الأشرف-العراق ، ٢٠١٩ م ، ط ٢
- ١٠٠- الخرساني : وحيد، منهاج الصالحين، د.ت ، د.ط
- ١٠١- خسروبناه :عبد الحسين، الكلام الإسلامي المعاصر ، ترجمة : محمد حسين الواسطي ، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية ، العتبة العباسية المقدسة ، النجف الأشرف - العراق ، ٢٠١٩ م ، ط ٢
- ١٠٢- الخميني : روح الله (ت: ١٤٠٩ هـ) ، روح التوحيد رفض عبودية غير الله ، د.ت ، د.ط .

- ١٠٣- الخميني : روح الله الموسوي (ت: ١٤٠٩ هـ) ، الأربعون حديثاً، تعريب محمد الغروي، دار زين العابدين، بيروت، ط ١ ، ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م
- ١٠٤- الخميني: روح الله (١٤١٠ هـ)، النية والاخلاص، دار المحجة البيضاء، بيروت لبنان، ٢٠٠٥ م، ط ١
- ١٠٥- الخوئي: عبد المجيد (ت : ١٤١٣ هـ) البيان في تفسير القرآن ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٥ م ، ط ٤
- ١٠٦- الدامغاني : عبد الله (ت: ٤٧٨ هـ) ، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، د.ت ، د.ط
- ١٠٧- ذهبيات : عباس، التكافل الإجتماعي في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، سلسلة المعارف الإسلامية ، د.ت ، د.ط .
- ١٠٨- الرازي : ابن ابي حاتم (ت: ٣٢٧ هـ)، تفسير القرآن العظيم ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، د.ت ، د.ط
- ١٠٩- الرازي : فخر الدين (ت: ٦٠٦ هـ) التفسير الكبير، د.ت ، د.ط
- ١١٠- الراوندي : قطب الدين (ت: ٥٧٣ هـ) ، فقه القرآن ، مكتبة آية الله العظمى النجفي المرعشي ، ١٤٠٥ هـ ، ط ٢ .
- ١١١- رسالة في التحسين والتقبيح ،السبحاني ، ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، قم-ايران ، ١٤٢٠ هـ.
- ١١٢- رسلان : صلاح الدين، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية ، دار الثقافة ، القاهرة-مصر ، ١٩٩٠ م، د.ط
- ١١٣- الرفاعي :عبد الجبار، مبادئ الفلسفة الاسلامية ، دار الهادي ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠١ م، ط ١ .
- ١١٤- الريشهري :محمد، المحبة في الكتاب في السنة ، دار الحديث ، قم-ايران ، ١٤٢٨ هـ ، ط ٤
- ١١٥- الزبيدي : محمد مرتضى الحيني، تاج العروس من جواهر القاموس ، ، (ت : ١٢٠٥ هـ) تحقيق مجموعة من الباحثين ، دار الهداية، بيروت-لبنان، د.ت ، د.ط

- ١١٦- الزحيلي : وهبة، التفسير الوسيط ، دار الفكر المعاصر ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٦م ، ط٢
- ١١٧- الزركشي ، بدر الدين (ت: ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ١٩٥٧م ، ط١
- ١١٨- زكي : ماجد، تعلم القيم وتعليمها ، ، دار المسيرة للطباعة والتوزيع-، عمان الأردن ، ٢٠٠٧م ، ط٢
- ١١٩- الزمخشري : محمود بن عمر (ت: ٥٣٨هـ) ،الكشاف ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء ، ١٩٦٦م ، د.ط
- ١٢٠- زيدان : عبد الكريم، أصول الدعوة ، ، مؤسسة الرسالة ، القاهرة-مصر ، ٢٠٠١م ، د.ط
- ١٢١- سالم :محمد رشاد، المدخل الى الثقافة الاسلامية ، دار القلم ، الكويت ، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ط٦
- ١٢٢- السامرائي : انس صلاح احمد، القيم الضابطة لنظام حياة البشرية ، دراسة في قيم الشريعة التكاملية .
- ١٢٣- السبحاني : جعفر،العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ترجمة : جعفر الهادي ، د.ت ، د.ط
- ١٢٤- السبحاني : جعفر ، الإلهيات ، ، لدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، ١٩٨٩م ، ط١
- ١٢٥- السبحاني : جعفر ، تذكرة الأعيان ، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام ، قم-ايران ، ١٤١٩هـ
- ١٢٦- السبحاني : جعفر، التوحيد والشرك في القرآن الكريم ، انتشارات أسوة ، قم-ايران ، ١٩٩٢م ، ط٢
- ١٢٧- السبزواري : عبد الأعلى (ت: ١٤١٤هـ) ، التوحيد في القرآن ، دار الكاتب العربي ، بيروت-لبنان ، ٢٠١١م ، ط١

- ١٢٨- سبع : توفيق محمد، قيم حضارية في القرآن الكريم عالم ما قبل القرآن ، دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة - مصر ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٤م ، ط٢.
- ١٢٩- سرور : إبراهيم، العقائد في القرآن الكريم من مواهب عبد الأعلى السبزواري، دار الكاتب العربي ، بيروت-لبنان ، ٢٠١١م ، ط١ .
- ١٣٠- سعد الدين :صالح، العقيدة الإسلامية في ضوء العلم الحديث ، دار الصفا ، مصر ، ١٩٩١م ، ط١.
- ١٣١- سعيدة : أحلام محمد، منظومة القيم وعلاقتها بالعقيدة في ظل التحولات العالمية المعاصرة ، ، مجلة الجامعة الإسلامية ، د.ت
- ١٣٢- سل : كانون، تطور القرآن التاريخي ، ، ترجمة : مالك مسلماني ، ١٩٢٣م ، ط٤
- ١٣٣- السمرحاني : العدل فريضة إسلامية والحرية ضرورة انسانية ، د.ت ، د.ط
- ١٣٤- السمرقندي: أبو الليث (ت : ٣٨٣ هـ)، تفسير السمرقندي، دار الفكر ، بيروت-لبنان ، د.ت ، د.ط
- ١٣٥- السمعاني : منصور بن محمد(ت: ٤٨٩ هـ) ، تفسير السمعاني، دار الوطن ، الرياض -السعودية ، ١٩٩٧م ، ط١
- ١٣٦- السنهوري : عبد الرزاق، مصادر الحق في الفقه الإسلامي : دراسة مقارنة بالفقه الغربي ، ، منشورات الحلبي، بيروت-لبنان ، ١٩٩٨م ، ط٢
- ١٣٧- سهام :عبير، مبادئ القانون الطبيعي وتطوره في الفكر السياسي الغربي ، المجلة السياسية والدولية ، د.ت
- ١٣٨- سويد : محمد نور، منهج التربية النبوية للطفل ، دار ابن كثير، دمشق، ط ٢، ١٩٩٩م
- ١٣٩- السياني : احمد بن مسعود، منظومة القيم القرآنية في مجال الكلامي الاخلاقي ، عمان-الأردن ، ٢٠١٤م ، د.ط

- ١٤٠- السيد المرعشي: شهاب الدين (ت: ١٤١١ هـ) ، القول الرشيد في الاجتهاد والتقليد ، مكتبة آية الله العظمى السيد المرعشي النجفي قدس سره - قم - إيران ، ٢٠٠١ م.
- ١٤١- سيد سابق : دعوة الإسلام ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٧٣ م ، ط ١ .
- ١٤٢- سيد قطب : ابراهيم (ت: ١٣٨٦ هـ) ، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، بيروت-لبنان ، د.ت ، ط ١٧ ،
- ١٤٣- سيد قطب : ابراهيم ، العدالة الاجتماعية في الإسلام ، دار الشروق ، بيروت-لبنان ، ١٩٩٥ م ، ط ١ .
- ١٤٤- سيف : حبيبة ، التكافل بين النظرية والتطبيق ، مجلة الشريعة والقانون ، د.ت
- ١٤٥- السيوري :المقداد (ت : ٨٢٦ هـ) ، كنز العرفان في فقه القرآن ، المكتبة الرضوية - طهران-إيران ، ١٣٨٥ هـ ، د.ط
- ١٤٦- السيوطي: جلال الدين (ت: ٩١١ هـ) الاتقان في علوم القرآن ، دار الفكر ، لبنان-بيروت ، ١٩٩٦ م، ط ١
- ١٤٧- الشاكري : حسين، موسوعة المصطفى والعترة ، نشر الهادي ، قم - إيران، ١٤١٧ هـ ، ط ١
- ١٤٨- شبر : عبد الله (ت: ١٢٤٢ هـ) ، تفسير القرآن الكريم ، ، السيد مرتضى الرضوي ، ١٩٦٦ م ، ط ٣
- ١٤٩- شبيب : محمد نجاح، الشرائع والاخلاق بين الحضارة والانحطاط ، دار الفكر ، للطباعة والتوزيع والنشر ، دمشق - سوريا ، د.ت ، د.ط.
- ١٥٠- شرف الدين : جعفر، الموسوعة القرآنية، خصائص السور ، تحقيق : عبد العزيز بن عثمان التويجزي ، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية ، بيروت - لبنان، ١٤٢٠ هـ ، ط ١
- ١٥١- الشريف الرضي : محمد بن الحسين (٤٠٦ هـ) ، حقائق التأويل ، دار المهاجر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، د.ت ، د.ط

- ١٥٢- الشريف الرضي : محمد بن الحسين (ت: ٤٠٦ هـ) ، تلخيص البيان في مجازات القرآن ، ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة- مصر ، ١٩٥٥ م ، ط ١
- ١٥٣- الشريف المرتضى : علي بن الحسين (ت: ٤٣٦ هـ) ، مسائل الشريف المرتضى ، تقديم : السيد أحمد الحسيني / إعداد : السيد مهدي الرجائي ، دار القرآن ، قم-إيران ، ١٤٠٥ هـ
- ١٥٤- الشريف المرتضى : علي بن الحسين (ت: ٤٣٦ هـ) ، رسائل الشريف المرتضى ، دار القرآن الكريم ، ١٤٠٥ هـ .
- ١٥٥- شلبي : رؤوف، الدعوة الإسلامية في عهد المكي مناهجها وغاياتها ، دار القلم ، د ت ، ط ٣ .
- ١٥٦- شلتوت : محمود، الإسلام عقيدة وشريعة ، ، دار الشروق ، القاهرة -مصر ، ١٩٨٣ م ، ط ٢
- ١٥٧- الشيخ الحويزي : عبد علي (ت: ١١١٢ هـ) ، تفسير نور الثقلين ، مؤسسة اسماعيليان ، قم-إيران ، ١٣٧٠ هـ ، ط ١
- ١٥٨- الشيخ المفيد : محمد بن محمد (ت : ٤١٣ هـ) ، تفسير القرآن المجيد ، ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم-إيران ، ١٤١٤ هـ ، ط ١
- ١٥٩- الشيرازي : السيد محمد الحسيني (ت : ١٤٢٢ هـ) ، تقريب القرآن الى الأذهان ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ٢٠٠٣ م ، ط ١
- ١٦٠- الشيرازي : صدر الدين (ت: ١٠٥٠ هـ) ، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٣٨٣ هـ ، د.ط.
- ١٦١- الشيرازي : صدر الدين محمد (ت: ١٠٥٠ هـ) ، أسرار الآيات ، انتشارات انجمن اسلامي حكمت و فلسفه ايران ، ١٤٠٢ - آبان ١٣٦٠ ش ، د.ط
- ١٦٢- الشيرازي : محمد، الفضيلة الإسلامية ، ١٩٨٢ م ، ط ٣.
- ١٦٣- الشيرازي: ناصر مكارم، الأمل في تفسير كتاب الله المنزل ، د.ت ، د.ط
- ١٦٤- صالح : محمد، الصبر ، مجموعة زاد للنشر ، جدة -السعودية ، ٢٠٠٩ م ، ط ١

- ١٦٥- الصدر ، محمد باقر (ت: ١٤٠٠ هـ) ، الفتاوي الواضحة ، مطبعة الآداب -
النجف الأشرف ، د.ت ، د.ط ، ص ٥٩٦
- ١٦٦- الصدوق: محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ) ، الأخوان ، د.ت ، د.ط
- ١٦٧- الصدوق: محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ) ، ثواب الأعمال ، منشورات الرضي
، قم-إيران ، ١٣٦٨ هـ ، ط ٢
- ١٦٨- الصدوق: محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ) ، عيون أخبار الرضا ، منشورات
الشریف الرضي، قم-إيران ، د.ت ، د.ط
- ١٦٩- الصدوق: محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ) ، من لا يحضره الفقيه ، مؤسسة
النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم-إيران ، ١٤٠٤ هـ ، ط ٢
- ١٧٠- الصدوق: محمد بن علي (ت: ٣٨١ هـ) ، الخصال ، جماعة المدرسين في
الحوزة العلمية ، قم-إيران ، د.ت ، د.ط
- ١٧١- الصلابي : علي محمد، العدالة من المنظور الإسلامي ، دار المعرفة ،
بيروت-لبنان ، د.ت ، ط ١
- ١٧٢- الصلابي : علي محمد، الوسطية في القرآن الكريم ، مكتبة التابعين ، القاهرة-
مصر ، ٢٠٠١ م ، ط ١
- ١٧٣- صليبا : جميل، المعجم الفلسفي ، دار الكتب اللبناني ، بيروت-لبنان ،
١٩٨٢ م ، ط ١.
- ١٧٤- الصمدي :خالد، القيم الإسلامية في المناهج الدراسية ، ، المنظمة الإسلامية
للتربية والعلوم والثقافة ايسيكو ، د.ت ، د.ط
- ١٧٥- الصنعاني : عبد الرزاق (ت: ٢١١ هـ) ، المصنف ، منشورات المجلس العلمي
، د.ت ، د.ط ،
- ١٧٦- صوفي : عبد القادر بن محمد عطا، المفيد في مهمات التوحيد ، دار الاعلام،
١٤٢٣ هـ ، ط ٢
- ١٧٧- طالب : مها، ادلة التوحيد في التدبير والربوبية واثرها في تربية النشء، ،
مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد ٩٢ ، ٢٠١٥ م

- ١٧٨- الطباطبائي : محمد حسين (ت: ١٤٠٢ هـ) ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم-إيران ، د.ت ، د.ط
- ١٧٩- الطباطبائي : محمد حسين ، الإسلام الميسر موسوعة في العقائد والأخلاق والأحكام ، ، مؤسسة أم القرى ، ١٤١٩ هـ ، ط ١
- ١٨٠- الطباطبائي: محمد حسين (١٤٠٢ هـ) ، القرآن في الاسلام ، د.ت ، د.ط
- ١٨١- الطباطبائي: محمد حسين(ت: ١٤٠٢ هـ) ، حاشية الكفاية ، د.ت ، د.ط
- ١٨٢- الطبرسي : الفضل بن الحسن (٥٤٨ هـ) ، جوامع الجامع ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم-إيران ، ١٤١٨ هـ ، ط ١
- ١٨٣- الطبري : محمد بن جرير(ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٥ م ، د.ط
- ١٨٤- طبلية : القطب محمد القطب، الإسلام وحقوق الإنسان ، (دراسة مُقارنة) ، دار الفكر ، بيروت - لبنان ، د ط ، ١٣٩٦ هـ
- ١٨٥- الطريفي : عبد الله بن ابراهيم، الثقافة الإسلامية ، تخصصا ومادة وقسما وعلماء ، ١٤١٧ هـ ، ط ١.
- ١٨٦- الطهراني : علي(ت: ١٣٥٣ هـ) ، مقتنيات الدرر ، الشيخ محمد الآخوندي مدير دار الكتب الإسلامية، ١٣٣٧ هـ ، د.ط
- ١٨٧- الطوسي : محمد بن الحسن (ت: ٤٥٠ هـ) ، التبيان في تفسير القرآن، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، قم -إيران ، ١٤٠٩ هـ ، ط ١
- ١٨٨- الطوسي : محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) الاستبصار ، ، دار الكتب الإسلامية - طهران - إيران ، ١٣٦٣ هـ ، ط ٤
- ١٨٩- الطوسي : محمد بن الحسن (ت : ٤٦٠ هـ) ، الأمالي ، ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم -إيران ١٤٠٤ هـ ، ط ١
- ١٩٠- الطوسي : محمد بن الحسن (ت: ٤٦٠ هـ) ، تهذيب الأحكام ، دار الكتب الإسلامية ، طهران-إيران ، ١٣٦٥ هـ ، ط ٤
- ١٩١- الطوسي : محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠ هـ) الرسائل العشر ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، بقم -إيران، د.ت ، د.ط

- ١٩٢- الطويل : توفيق، أسس الفلسفة ، ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة-مصر ، د.ت ، ط٣
- ١٩٣- الطويل : توفيق، فلسفة الاخلاق (نشأتها وتطورها)، مطبعة دار نشر الثقافة ، القاهرة ، نشر : دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة ، ، سنة ١٩٨٥ م، ط٤ .
- ١٩٤- الطويل : توفيق، مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ، ١٩٥٣ م ، ط١.
- ١٩٥- العاملي : الحر (١١٠٤ هـ)، وسائل الشيعة ، مؤسسة اهل البيت عليهم السلام، قم - إيران، ١٤١٤ هـ ، ط٢
- ١٩٦- العاملي : جعفر، الآداب الطبية في الإسلام ، ، د.ن ، ١٩٩١ م، ط١
- ١٩٧- العباد : عبد الرزاق بن عبد المحسن، عبدالرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة ، ، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢ ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ١٩٨- عبد الجليل عبد الرحمن :كتاب الوقف ، دار الآفاق ، القاهرة -مصر ، ٢٠٠٠ م، ط١
- ١٩٩- عبد الرحمن : طه ، روح الحداثة (المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية) ، مركز الثقافة العربي ، الدار البيضاء - المغرب ، بيروت - لبنان ، ط١ .
- ٢٠٠- عبد الرحيم : سامية عبدالرحمن، القيمة الأخلاقية ، ط دار الشباب للطباعة ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٢ م، ط١
- ٢٠١- عبد الرزاق : علي، المجتمع والثقافة الشخصية ، دار النهضة العربية ، بيروت-لبنان ، ١٩٨٤ م، د.ط
- ٢٠٢- عبد العال : حمدي، الأخلاق ومعاييرها بين الوضعية والدين ، ، دار القلم للطباعة والنشر ، دولة الكويت ، ١٩٨٥ م ، ط٣
- ٢٠٣- عبد العزيز : عبد الرحمن، تحفة المورد بفضل الصدقة والجود ، ، مدار الوطن ، الرياض -السعودية ، ٢٠١٢ م، ط١
- ٢٠٤- عبد الكريم :ناصر، مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة وموقف الحركات الإسلامية المعاصرة ، دار الوطن ، الرياض-السعودية ، ١٣١٢ هـ ، ط١

- ٢٠٥- عبد الواحد: ، حقوق الإنسان في الإسلام ، دار نهضة مصر ، القاهرة -مصر ، ١٩٧٩م ، ط ٥ .
- ٢٠٦- عفيفي: محمد الهادي، في أصول التربية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧ م
- ٢٠٧- علي :محمد، كشف اصطلاحات الفنون ، د.ت ، د.ط
- ٢٠٨- علي :مقداد يالجن محمد، علم الأخلاق الإسلامية ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢م ، ط ١ .
- ٢٠٩- علي : اسماعيل الأخوة الإسلامية فريضة شرعية وضرورة عصرية ، ، دار الكلمة ، ٢٠١٢ م، ط ١
- ٢١٠- علي :حوراء عبد، جدلية العلاقة بين العقيدة والاخلاق في المجتمعات الاسلامية ، د.ت ، د.ط،
- ٢١١- عليان : أحمد، في الشريعة الإسلامية ، ، الناشر : دار النشر الدولي ، ط مطابع الحميضي ، الرياض - المملكة العربية السعودية ٢٠٠٠م ، ط ٣
- ٢١٢- عمارة : محمد، الإسلام والامن الاجتماعي ، ، دار الشروق ، القاهرة-مصر ، ١٩٩٨ م، ط ١
- ٢١٣- العمري : أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية ، ، الناشر: مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٤م . ط ١
- ٢١٤- عمير : ربيع بن هادي، وسطية الإسلام ، ، الميراث النبوي للنشر ، برج الكيفان -الجزائر ، ٢٠١٠ م، ط ١
- ٢١٥- عميرة : عبد الرحمن، منهج القرآن في تربية الرجال ، مكتبات عكاظ ، ١٩٨١م ، ط ١
- ٢١٦- العناني : حنان عبد الحميد، المفاهيم الاجتماعية الدينية والاخلاقية في الطفولة المبكرة ، دار الفكر ؛ ناشرون وموزعون ، عمان . الاردن ، ٢٠٠٥ م .
- ٢١٧- العوشن :محمد بن عبد الله، ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، دار طيبة د.ت ، د.ط .

- ٢١٨- العيتي : ياسر، دور القيم الانسانية للارتقاء بواقع الانسان والمرأة في العالم العربي ، ، د.ت ، د.ط .
- ٢١٩- الغرابي : مها نادر عبد محسن، التربية عند أهل البيت، (دراسة فلسفية) ، ، د.ت ، د.ط
- ٢٢٠- الغزالي : محمد(ت: ٥٠٥ هـ)، البداية والنهاية، مطبعة العني ، بغداد ، ١٩٨٨ م، د.ط
- ٢٢١- غلوش : أحمد أحمد، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ، مؤسسة الرسالة . ٢٠٠٣ م ، ط ١ .
- ٢٢٢- فداد : العياشي الصادق، مسائل في فقه الوقف ، المعهد الإسلامي للبحوث ، ٢٠٠٨ م، د.ط
- ٢٢٣- الفراهيدي : الخليل بن أحمد(ت: ١٧٠ هـ) ، العين ، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة ، ايران - قم، ١٤٠٩ هـ ، ط ٢
- ٢٢٤- فرح : محمد سعيد، البناء الاجتماعي والشخصية ، المطبعة المصرية للكتاب ، الإسكندرية - مصر، م ١٩٨٠ ، د.ط
- ٢٢٥- فريد : احمد، الحب في الله وحقوق الأخوة ، دار العلوم الإسلامية ، القاهرة - مصر ، ١٩٩٠ م ، ط ١
- ٢٢٦- قاطرجي : نهى، القيم الغربية وأثرها على الأسرة المسلمة ، بيروت - لبنان ، د.ت ، د.ط
- ٢٢٧- القرطبي : محمد بن احمد (ت: ٦٧١ هـ)، تفسير القرطبي ، ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، ١٩٨٥ م ، ط ١
- ٢٢٨- القطب : محمد، محاضرات في الإسلام والحقوق ، دار الفكر العربي ، بيروت-لبنان ، ١٩٨٤ م ، ط ٢
- ٢٢٩- القطيفي : نزار آل سنبل، توحيد العبادة ، د.ت ، د.ط
- ٢٣٠- القمي : علي بن ابراهيم (ت: ٣٢٩ هـ) ، تفسير القمي ، مطبعة النجف ، النجف الاشرف-العراق ، ١٣٨٧ ، د.ط

- ٢٣١- القمي : محمد رضا (ت: ١١٢٥هـ) ، كنز الدقائق وبحر الغرائب ، مؤسسة الطبع والنشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي ، ١٩٩٠م ، ط ١
- ٢٣٢- الكاشاني : الفيض (ت: ١٠٩١هـ) ، مقامات القلب، ذوو القربى، قم ايران، ١٤٢٦هـ، ط ١
- ٢٣٣- الكاشاني : الفيض (ت : ١٠٩١ هـ) ، التفسير الصافي ، ، مكتبة الصدر ، طهران - ايران ، ١٤١٦هـ ، ط ٢
- ٢٣٤- الكاشاني : فتح الله (ت: ٩٨٨هـ) ، زبدة التفاسير ، مؤسسة المعارف الإسلامية - قم - ايران ، ١٤٣٣هـ ، ط ١
- ٢٣٥- كاظم : محمد ابراهيم، التطور القيمي وتنمية المجتمعات الدينية ، مكتبة نور ، صادر عن المركز القومي ، ١٩٩٧ م ، د.ط
- ٢٣٦- كتاب في الاخلاق والعرفان، لاحد الحفاظ الشيعة في القرن الخامس او السادس مجمع البحوث الاسلامية ، مشهد-ايران ، ١٣٨٧هـ ، ط ٢
- ٢٣٧- الكردي : راجح عبد الحميد، نظرية المعرفة بين التراث والفلسفة ، مكتبة المؤيد ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، إصدار المعهد العالمي للفكر الإسلامي - أمريكا ، ، ١٩٩٢م ، ط ١
- ٢٣٨- كرم : يوسف، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ، مؤسسة هنداوي ، ٢٠١٤م ، ط ١
- ٢٣٩- الكليني (ت: ٣٢٩هـ) : محمد بن يعقوب ، الكافي ، دار الكتب الإسلامية - طهران - ايران ، ١٣٦٣ ، ط ٥
- ٢٤٠- الكليني : محمد بن يعقوب ، (ت : ٣٢٩ هـ-)، اصول الكافي ، دار المرتضى، بيروت-لبنان ٢٠٠٥م، ط ١
- ٢٤١- الكوراني : علي، فلسفة الصلاة، دار الزهراء، بيروت-لبنان، ١٤٠٥هـ ، ط ٦.
- ٢٤٢- لمعاينة : عبد الرحمن، علم النفس الاجتماعي ، د.ت ، د.ط
- ٢٤٣- المازندراني : محمد صالح (ت: ١٠٨٦هـ) ، شرح أصول الكافي ، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان ، ٢٠٠٠ م ، ط ١
- ٢٤٤- المامقاني : عبد الله، مرآة الرشاد في الوصية الى الاحبة والذرية والاولاد ، دليل ما، ايران، ١٤٢ هـ، ط ٨

- ٢٤٥- المانع : مانع بن محمد بن علي، القيم بين الإسلام والغرب ، دراسة تأصيلية مقارنة ، دار الفضيلة ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، ٢٠٠٥ م، ط ١
- ٢٤٦- الماوردي :علي بن محمد(ت: ٤٥٠ هـ) ، أدب القاضي، د.ت ، د.ط
- ٢٤٧- مبارك : زكي، التصوف الاسلامي في الأدب والاخلاق ، ، مطبعة الاعتماد ، القاهرة-مصر ، ١٩٣٨ م، ط ١
- ٢٤٨- مبروك : امل، مفهوم الخير في الفلسفة الحديثة ، مجلة كلية الاداب ، العدد (١٠٠) ، د.ت
- ٢٤٩- المجلسي : محمد تقى (١٠٧٠ هـ)، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه ، ، نياذ فرهنك اسلامي حاج محمد حسين كوشانيور، د.ت ، د.ط
- ٢٥٠- المجلسي: محمد باقر (١١١١ هـ) ، بحار الأنوار ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٣ م، ط ٣
- ٢٥١- محفوظ : علي، هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ، دار الاعتصام ، القاهرة - مصر ، ، ١٩٧٩ م، ط ٩
- ٢٥٢- المحقق البحراني : يوسف (ت: ١٨٨٦ هـ) ، الحقائق الناطرة، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة ، قم-إيران ، ١٤٠٥ هـ
- ٢٥٣- المحقق الحلي: جعفر بن الحسن (ت: ٦٧٦ هـ) ، شرائع الاسلام، انتشارات استقلال - طهران ، ١٤٠٩ هـ ، ط ٢ .
- ٢٥٤- المحقق الكركي : علي (ت: ٩٤٠ هـ)، جامع المقاصد ، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث ، قم -إيران ، ١٤٠٨ هـ ، ط ١
- ٢٥٥- محمد :نظير، العلاقة بين العقيدة والشريعة ، مجلة الأزهر ، القاهرة -مصر ، ٢٠٢٠ م .
- ٢٥٦- محمد : جمال الدين، الاسلام والمشكلات السياسية المعاصرة ، ، دار الكتاب المصري ، القاهرة-مصر ، ١٩٩٢ م
- ٢٥٧- محمد : عصام، المساواة بين الرجل والمرأة ، مجلة كلية العلوم الإسلامية ، د.ت .

- ٢٥٨- محمد : يحيى، المنهج الأخلاقي وحقوق الإنسان في القرآن الكريم ، د.ت ، د.ط
- ٢٥٩- مدلول : محمد طالب، موقف القرآن الكريم من الفكر المادي ، ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، د.ت ، د.ط
- ٢٦٠- مرتضى مطهري (ت: ١٤٠٠ هـ) ، دار المحجة البيضاء ، بيروت -لبنان ، ٢٠٠٩ م ، ط ١
- ٢٦١- مركز الرسالة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ، مركز الرسالة ، قم- إيران ، ١٤٢٠ هـ ، ط ١
- ٢٦٢- مركز الرسالة : الصحابة في القرآن والسنة والتاريخ ، مركز الرسالة - قم - إيران ، ١٤١٩ هـ ، ط ١
- ٢٦٣- المزي: جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاءي الكلبى (ت : ٧٤٢ هـ) ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق : د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ١٩٨٠ م ، ط ١
- ٢٦٤- مسفر : سلطان، بناء القيم الإيمانية وأثره على استقامة الفكر لدى الطلاب ، ، د.ت ، د.ط
- ٢٦٥- مصطفىوي : حسن، التحقيق في كلمات القرآن ، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران -إيران ، ١٤١٧ هـ ، ط ١
- ٢٦٦- المطعني : عبد العظيم، الإسلام في مواجهة الإيديولوجيات المعاصرة مكتبة وهبة القاهرة - مصر ، ١٩٨٧ م ، ط ٤
- ٢٦٧- المطهري : مرتضى، سلوك وأخلاق الإسلام ، شبكة الفكر ، دار الارشاد ، بيروت -لبنان ، ط ١ ، ١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م .
- ٢٦٨- المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ، طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، مصر ، ١٩٧٩ م ، د.ط
- ٢٦٩- المغذوي : عبد الرحيم بن محمد، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية ، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض . السعودية ، ، ١٤٣٠ هـ ، ط ٢

- ٢٧٠- مغنية : محمد جواد (ت : ١٤٠٠هـ) ، التفسير الكاشف ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ، ١٩٨١م ، ط٣
- ٢٧١- مغنية : محمد جواد (٤٠٠ ات: هـ) ، التفسير المبين ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، ١٩٨٣م ، ط٢
- ٢٧٢- المفيد: محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ) ، الأمالي ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان ، ١٩٩٣م ، ط٢
- ٢٧٣- المفيد: محمد بن محمد (ت: ٤١٣هـ) : أوائل المقالات، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان، ١٩٩٣م ، ط٢
- ٢٧٤- المقداد : فاضل، الاعتماد في شرح واجب الاعتقاد ، ، د.ت ، د.ط
- ٢٧٥- ملكاوي : محمد، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، مكتبة دار الزمان ، القاهرة- مصر ، ١٩٨٥م ، د.ط.
- ٢٧٦- منصور : سيف، الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم ، ، دن ، د.ت ، د.ط
- ٢٧٧- المهدي :حسين، صيد الافكار في الادب والاخلاق، دار الكتاب، القاهرة_مصر، ٢٠٠٩م.
- ٢٧٨- ناصح : عبد الله، الأخوة في الإسلام ، ، دار السلام ، الرياض -السعودية ، د.ت ، د.ط
- ٢٧٩- ناصح : عبد الله، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، دار السلام ، القاهرة - مصر ، د.ت .
- ٢٨٠- ناصر : ساجد، حقوق الإنسان السياسية في الإسلام والنظم العالمية ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٥م .
- ٢٨١- النجفي : عبد الله الصالحي، فضائل القرآن الكريم وخواص سوره وآياته ، الناشر : المؤلف ، د.ت ، ط١.
- ٢٨٢- النحاس (ت: ٣٣٨هـ): معاني القرآن ، جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٩هـ ، ط١
- ٢٨٣- النسفي: عبد الله بن احمد (ت: ٥٣٧هـ)، تفسير النسفي، د.ت ، د.ط

- ٢٨٤- النيسابوري : الواحد (ت: ٤٦٨ هـ) ، تفسير الواحدي ، دار القلم ، بيروت - لبنان ، ١٤١٥ هـ ، ط ١
- ٢٨٥- النيسابوري : مسلم (ت ٢٦١ هـ) ، صحيح مسلم ، دار الفكر - بيروت - لبنان ، د.ت ، د.ط
- ٢٨٦- النيشابوري : محمد بن فتال، روضة الواعظين ، منشورات ديل ما، قم - إيران، ٢٠١٠ م، ط ٢
- ٢٨٧- هاشم البحراني (ت: ١١٠٧ هـ) ، البرهان في تفسير القرآن ، ، د.ت ، د.ط
- ٢٨٨- هلال : سعود، التربية والقيم والسياسية ، ، مؤسسة غراس للنشر ، الكويت ، ٢٠٠٢ م ، ط ١
- ٢٨٩- وغلانت : فاطمة الزهراء، البعد المقصدي لمبدأ التكافل في الإسلام ، ، أطروحة دكتوراه ، ٢٠١٠ م
- ٢٩٠- وهبي : يونس، حقيقة الاستحسان والإجماع ودورهما في التشريع الاسلامي ، دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان ، ٢٠١٢ م.
- ٢٩١- اليزدي : محمد تقي المصباح (١٤٤٢ هـ) ، دروس في العقيدة الإسلامية ، دار الرسول الأكرم ، بيروت-لبنان ، ٢٠٠٨ م ، ط ٢
- ٢٩٢- اليعقوبي : أحمد (ت: ٢٨٤ هـ) ، تاريخ اليعقوبي ، دار صادر - بيروت - لبنان ، د.ت ، د.ط
- ٢٩٣- اليمين : بن منصور، دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية ، د.ت ، د.ط .

ثانيا الرسائل الجامعية : -

- ١- ثابت : خولة، مصادر القيم في الفكر الإسلامي عابد الجابري - نموذجاً ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد بوضياف ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠١٦ م
- ٢- حسين : زينب، السرائر في ضوء القرآن الكريم ، رسالة ماجستير ، فلسطين، الجامعة الاسلامية ، كلية أصول الدين ، ٢٠٠٩ م.

- ٣- حسين : مريم، المنهاج القرآني في البناء الأخلاقي للإنسان ، واثره في رواد مراكز القرآن الكريم وعلومه في قطر ، رسالة ماجستير ، قطر ، جامعة قطر ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، ٢٠١٧م.
- ٤- حنان : كبيش، القيم الأخلاقية في محتوى كتاب التربية الإسلامية ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد الصديق بن يحيى ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، ٢٠١٥م.
- ٥- دحمان : زيرق، دور المدرسة القرآنية في تنمية القيم الاجتماعية للتلميذ ، رسالة ماجستير ، الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد خيضر ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، ٢٠١٢م
- ٦- رحالي : صليحة، القيم الدينية والسلوك المُنضبط الكشافة الإسلامية الجزائرية أنموذجا ، دراسة ميدانية للأفواج الكشفية لمدينة المسيلة، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية ، جامعة الحاج لخضر ، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٨م
- ٧- صوكو : سهام، واقع القيم لدى المراهقين : دراسة ميدانية بثنائية بوحنة مسعود ، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية ، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، ٢٠٠٩م
- ٨- الطريفي : عبدالله إبراهيم، الحكومة الإسلامية ، رسالة ماجستير ، المعهد العالي للقضاء ، ١٣٩٧هـ.
- ٩- عبد الصمد: الطيب احمد، الاساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء التحديات المعاصرة ، ، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية ، جامعة أم القرى ، كلية التربية ، ١٤٢٩هـ
- ١٠- عبد الله :شواط، مؤسسات التكافل الاجتماعي في الحضارة العربية الإسلامية " الزكاة نموذجا " ، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، كلية الآداب والفنون ، ٢٠١٦م.
- ١١- عتيق : احلام، مفهوم القيم وأهميتها في العملية التربوية وتطبيقاتها السلوكية من المنظور الإسلامية ، مجلة العلوم التربوية والنفسية ، العدد (٢) ، ٢٠١٩ .

- ١٢- محمد : فريد، الوسطية في الإسلام : مفهومها وضوابطها وتطبيقاتها ، رسالة ماجستير ، المملكة العربية السعودية ، جامعة محمد بن مسعود ، كلية الدعوة والأعلام، ١٤١١هـ
- ١٣- محمد : نبيل، التقوى في القرآن الكريم ، رسالة ماجستير، فلسطين ، جامعة النجاح ، ٢٠٠٨م.
- ١٤- مداح : لامية، الخير والشر في فلسفة توما الإكويني ، رسالة ماجستير، الجمهورية الجزائرية ، جامعة محمد بوضياف، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية ، ٢٠١٧م .
- ثالثا البحوث المنشورة : -
- ١- ابراهيم : خالد، دور التكافل الاجتماعي في تفعيل القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية وترسيخها ولا سيما قيم (التعاون والأخاء والكرم والمساواة والرحمة) ، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي ، الاصدار الرابع ، ٢٠٢٠ م.
- ٢- إبراهيم : رياض أحمد، أثر العقيدة في سلوك الفرد المسلم ، مجلة كلية التربية الأساسية ، العدد السابع والاربعون ، ٢٠٠٦م
- ٣- أمين : محمد، القيم الإسلامية في التعليم وآثارها على المجتمع ، دراسات الجامعة الإسلامية العالمية ، ٢٠١٢ م، المجلد (٩)
- ٤- الأنصاري (ت: ١٢٨١هـ) : الحاشية على استصحاب القوانين ، المؤتمر العالمي بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لميلاد الشيخ الأنصاري ، قم-إيران ، ١٤١٥هـ ، ط ١
- ٥- باغستاني : محمود، صور من حقوق الإنسان في القرآن الكريم ، ترجمة عبد الرحمن النجار ، مجلة البصائر ، د.ت
- ٦- باقر : محسن، الحقوق والحريات من منظار علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، مجلة أهل البيت (عليهم السلام) ، العدد (٣)
- ٧- التركي : عبد الله، الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة الى الله ، المجلة العربية ، العدد (٢) ، ١٩٩٧ م

- ٨- جاسم : كريم حمزة حميدي ، عقيدة التوحيد في شرح (نهج البلاغة) للسيد هادي كمال الدين الحلي، مجلة المحقق ، العدد الخامس ، السنة الثالثة ، ٢٠١٨ م
- ٩- حامد : محمد نجي، القيم بين النسبية والثبات : دراسة في المصادر والنتائج ، كلية الدراسات الإسلامية والانسانية للبنات ، القاهرة -مصر ، العدد (٣٦) ، د.ت
- ١٠- حدادي :وليدة، القيم من المنظور الغربي والإسلامي ، مجلة النداء التربوي ، العدد (٢٣-٢٤)، ٢٠١٩م.
- ١١- الحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، مكتب الأمم المتحدة لحقوق الإنسان ، سلسلة التدريب المهني ، العدد (١٢) ، ٢٠٠٥ م.
- ١٢- حمدان : اياد فوزي، الصبر على الابتلاءات الخاصة والعامة ، دراسات دعوية ، العدد (٢١) ، ٢٠١١ م.
- ١٣- الخزرجي : صفاء الدين، العلاقة بين العقيدة والسلوك عقيدة الإرجاء نموذجاً، مجلة الدليل العدد الأول ، السنة الأولى ، ٢٠١٧ م
- ١٤- الخطيب : محمد عبد الفتاح، قيم الاسلام الحضارية نحو انسانية جديدة ، الدوحة - قطر وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ٢٠١٠م
- ١٥- الدلالات النفسية لبعض الآيات القرآنية في سورة يوسف (عليه السلام) ، محمد مصعب و مجاد محمد ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، العدد (السابع) ، المجلد (٢٥) ، ٢٠١٨م
- ١٦- رشيد : عباس محمد، العدل وعدم الظلم في القرآن الكريم - دراسة موضوعية ، مجلة الطريق للتربية والعلوم الاجتماعية ، العدد (٦) ، ٢٠١٩ م.
- ١٧- سليمان : خالد احمد، القيم الإسلامية المتضمن في كتاب التربية الإسلامية للصف الثالث لطلبة العراق ، مجلة جامعة كركوك للدراسات الانسانية ، العدد (١) ، ٢٠١٣
- ١٨- شدرة : عباس، العدالة في تصور القرآن ، مجلة لنكاوي ، العدد (١) ، المجلد (١) ، ٢٠١٥م
- ١٩- صالح :محمد راشد، الزكاة : آلية الإقتصاد الإسلامي لمعالجة الفقر ، مجلة رقاد ، العدد (٤) ، ٢٠١٨م.

- ٢٠- صالح : فائز، التسامح وقبول المختلف في الفكر العربي الإسلامي ، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية ، العدد (٢) ، ٢٠٠٩م
- ٢١- صالح : عبد الله محمد، المصالح المرسله وتطبيقاتها المعاصرة ، مجلة جامعة دمشق ، العدد (١٦) ، ٢٠٠٠م.
- ٢٢- صباح : عامر، دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح في المجتمع ، مجلة مداد الآداب ، عدد خاص بالمؤتمرات ، ٢٠١٩ م
- ٢٣- الصغير : علي محمد، مقاصد التوحيد وعلاقتها بالحكم الشرعي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإسلامية ، العدد (٤٦) ، السنة الحادية عشر ، ٢٠٢٠ م
- ٢٤- الصمدي : خالد، مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة ، مجلة البيان ، العدد (١٩٤) ، ٢٠٠٣م.
- ٢٥- عبد العزيز : محمد، العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة ، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية ، جامعة الملك فيصل ، كلية الآداب ، ١٤٣٠هـ
- ٢٦- عبيد : زينب حكيم، القيم الإسلامية وإسهامها في تكامل المجتمعات (دراسة تحليلية) ، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، العدد (١) ، ٢٠٢٠م
- ٢٧- عزيزي : مصطفى، معايير صحة العقيدة ، مجلة الدليل ، العدد (١) ، السنة الأولى ، ٢٠١٧ م.
- ٢٨- علي : حكمت، حقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية في ضوء مصدريها القرآن والسنة ، مجلة كلية التربية ، جامعة الأزهر ، العدد (١٦٤) ، ٢٠١٥ م
- ٢٩- علي : محمد، مراتب القيم الأخلاقية في المجتمعات الإسلامية في العصر الوسيط ، مجلة القرطاس ، العدد (٥) ، ٢٠١٧م.
- ٣٠- عوفي : مصطفى، القيم الإسلامية ودورها في حفظ التماسك الأسري ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية ، العدد (٢٤) ، ٢٠١٧م
- ٣١- غوري : محمد علي، مدخل الى نظرية الجمال في النقد العربي القديم ، مجلة القسم العربي ، العدد (١٨) ، ، ٢٠١١م، ط١

- ٣٢-فرحان : مكي، الصبر-الايمان ، من مظاهر الشخصية المطمئنة نفسيا ، شخصية
الأمام زين العبادين (عليه السلام) (مثلا، وتمثلا) ، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية
، العدد (١) ، المجلد العشرون ، ٢٠١٧م.
- ٣٣-الفضلي : عبد الرحمن، الأخوة في ضوء القرآن الكريم ، المجلة الاردنية في الدراسات
الإسلامية ، العدد (٢) ، ٢٠١٩م
- ٣٤-فضيلة : عاقل، التكافل الإجتماعي في الإسلام وأبرز صوره ، أعمال المؤتمر الدولي
العاشر حول التضامن الإنساني ،
- ٣٥-كاظم : أمل،المساواة بين الرجل والمرأة في ضوء القرآن الكريم دراسة تفسيرية -
موضوعية ، مجلة التراث العلمي العربي ، العدد (٣) ، ٢٠١٦م
- ٣٦-محمد : سلوى، دور الوقف في تحقيق التكافل الاجتماعي ، بحث مقدم الى المؤتمر
الثالث للأوقاف بالمملكة العربية ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ٢٠٠٩ م.
- ٣٧- محمد : ابو القاسم، حقوق الإنسان وموقف النبي (صل الله عليه واله وسلم)
،مجلة القسم العربي ، العدد (١٧) ، ٢٠١٠ م.
- ٣٨- محمد : صباح، مفهوم الثقافة الإسلامية وتحدياتها ، مجلة ديالى ، العدد (٤٤)
(، ٢٠١٠ م .
- ٣٩-محمد : عبد الله، معايير الجمال في الرؤيتين : الإسلامية والغربية ،مجلة العلوم الشرعية
، العدد (٣٨) ، ١٤٣٧هـ، ط١
- ٤٠-منصور: رقية، أثر العقيدة في ترسيخ التمكين عند المسلمين ، مجلة التراث العلمي
العربي ، العدد الاول ، ٢٠١٦م
- ٤١-ناظم : مشتاق، العقيدة وأثرها في النفس ، مجلة ديالى ، العدد الثامن والخمسون
، ٢٠١٣م
- ٤٢- نامق : صلاح الدين، الدعوة السرية وفقهها ، مجلة كلية الشريعة ، العدد (٣)
(، د.ت
- ٤٣- هاشم : هناء، أثر التوحيد على المجتمع وأهميته التربوية ، مجلة كلية الإمام
الكاظم (عليه السلام) ، العدد الأول ، المجلد الثالث ، ٢٠١٩ م

٤٤- ياسين : طه ، القيم التربوية في موعظة لقمان لإبنه ، مجلة العلوم التربوية
والنفسية ، ، مؤسسة الأيام للنشر ، البحرين ، العدد (١) ، المجلد ، (٤) ، ٢٠٠٣

م

الملخص

الحمد لله رب العالمين وافضل الصلاة والتسليم على الرسول الأمين ابا القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الكرام المنتجين .

وبعد : لا شك في أنَّ القيم تُعدُّ الأساس الذي يستند عليه المجتمع من أجل تطوره وضمان حقوقه وتحقيق أهدافه ، لهذا فقد ركز الإسلام تركيزاً كبيراً و واضحاً في ترسيخ تلك القيم من أجل مجتمع صحي وجيد .فهدفت الدراسة إلى بيان اهم القيم الانسانية المستمدة من القران الكريم والتعرف على المتغيرات التي أحدثها في المجتمع الجاهلي التي انعدمت فيه القيم وركزها في منهجه الرباني نظريا وعمليا من أجل إنقاذ الأمة عما كانت عليه فبرهنت القيم القرآنية وبالأخص في بداية دعوته المباركة في سور الدعوة السرية أصالتها فقد اشتملت الدراسة على اهم القيم التي أقامت على هداية المجتمع واصلاحه واستقامته، فبينت أولاً مفهوم القيم من ثم عملت مقارنه بين القيم الاسلاميه والغربية والفرق بينهما ثم بينت مراحل الدعوة السرية وسورها فهذا ما كان يخص التمهيد ، أما الرسالة فاشتملت الدراسة على اربع فصول ، تناولنا في ثلاثة فصول أنواع القيم الإسلامية ، ثم درسنا في الفصل الرابع مميزات وخصائص تلك القيم الإسلامية ، أما الفصل الأول كان بعنوان القيم العقائدية في سور الدعوة السرية واشتمل على أربعة مباحث قيمه (العقيدة ، والتوحيد ، والايمان ، والعبادة) ، والفصل الثاني القيم الأخلاقية في سور الدعوة السرية وفيه ثلاثة مباحث قيمه (الصدق ، الصبر ، الحق) والفصل الثالث القيم الاجتماعية في سور الدعوة السرية وفيه ثلاثة مباحث قيمه (التكافل الاجتماعي ، الاخوة ، العدل والمساواة) والفصل الرابع خصائص ومميزات القيم الاسلاميه وأشمل ستة مباحث (الربانية ، العالمية ، والانسانية

، الوسطية ، التكاملية ، والواقعية) ، حيث تناولنا فيها أهمية تلك القيم وبيان معانيها ، مع استنادنا على آيات من سور الدعوة السرية من أجل إثبات تلك القيم ، لهذا فالباحثة حاولت بأن يكون بحثها شامل لكل أنواع القيم الإنسانية وإن تخصص في فترة زمنية واحدة ألا وهي الدعوة السرية ، فتلك الشمولية في تناول أنواع القيم الإنسانية والتي كانت على ثلاثة أنواع وهي (القيم العقائدية والقيم الأخلاقية والقيم الاجتماعية) هي ما تميز بها بحثنا هذا عن بقية البحوث السابقة ، وانتهت الدراسة بنتائج وتوصيات .

The summry

Thank God the Lord of both worlds and I prefer to pray and deliver to the Prophet Amin Abba Qasim Muhammad and to the good God of the two cooks and his gracious and generous producers. Having said, there is no doubt that values are the basis on which society develops, guarantees its rights and achieves its goals, The aim of the study was to demonstrate the most important human values derived from the Holy Koran and to identify the changes that he had created in the ignorant society, where values were lacking in theory and practice in order to save the nation. So first I showed the concept of values, then I drew a comparison between Islamic and Western values and the difference between them, and then I showed the stages of secret advocacy and their fence. As for the letter, the study included four chapters, which dealt in three chapters with the types of Islamic values. In chapter IV, we studied the characteristics and characteristics of these Islamic values. Chapter I was entitled Belief Values in the Secret Call Fence and included four valuable

investigators.(Creed, Unification, Faith, Worship), Chapter II Moral Values in Secret Call Wall with three Values Detectives (Honesty, Patience, Right) and Chapter 3 Social Values in the Secret Call Fence with three valuable investigators (Social Solidarity, Fraternity, Justice and Equality) Chapter 4 Characteristics and Advantages of Islamic Values and the Six Most Comprehensive Investigations (usurpation, universality, humanity, mediocrity, complementarity and realism) Where we addressed the importance and meaning of those values, while basing ourselves on the provisions of the Secret Call Wall in order to prove those values, the researcher therefore tried to make her research inclusive of all kinds of human values and to allocate in a single period of time the Secret Call, that inclusiveness in dealing with the types of human values that were on three types: (Belief values, moral values and social values) are what distinguished our research from the rest of previous research, and the study concluded with conclusions and recommendations.

The REPUBLIC of IRAQ
MINISTRY Of EDUCAYION AND SCIENTIFIC RESEARCH
UNIVERSITY OF BABLYON
DEPARTMENT OF QURANIC SCIENCES
Department of high education



(Human Values in Secret Advocacy - Objective Study-)

master's degree thesis To the Council of the College of
Islamic science / UNIVERSITY OF BABLYON, which is
part of the requirements for obtaining a master's degree
in Qur'an sciences

Master Thesis by
SODAS JWAD ALEWE

Supervised by
Assistant Professor Dr
Mohammad Taleb madlol

1443 AH

2021 AD